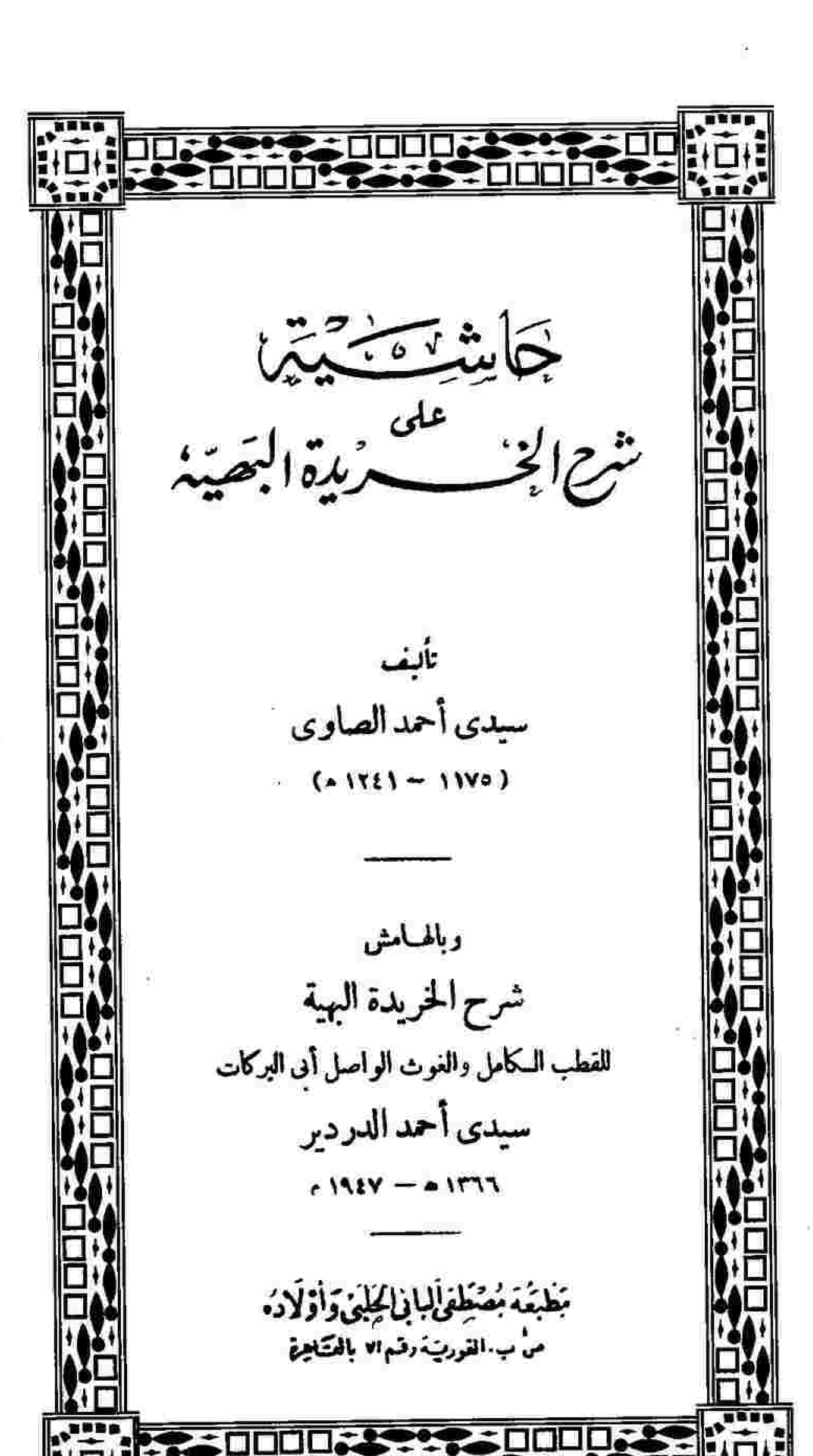


حاشية

على

شرح الخريدة البهية

تأليف

سيدى أحمد الصاوى

(١١٧٥ - ١٢٤١ هـ)

وبالهامش

شرح الخريدة البهية

للقطب الكامل والغوث الواصل أبى البركات

سيدى أحمد الدردير

١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده

ص. ب. الغورية رقم ٧١ بالقاهرة

فاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبقى إلى يوم الدين وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين .

[وبعد] فيقول العبد الفقير الراجي من ربه غفر المساوي أحمد بن محمد المالكي الصاوي لما كان شرح شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى أبي البركات الشيخ « أحمد الدردير » على رسالته المسماة بالخريدة البهية في علم التوحيد من أجلّ الشروح وقد قرأه في حال حياته وتلقيناه عنه بالحال والقال قامت بنا الدواعي الإلهية الآن إلى قراءته وخدمته كما أمرني بذلك الأستاذ مناما المرة بعد المرة فشرعت الآن في ذلك راجيا من الله بلوغ المطالب وحصول المآرب متوسلا بأستاذي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبالنبي إلى الله تعالى فأقول وهو حسبي ونعم الوكيل (قوله بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) سيأتي الكلام على البسملة والحمدلة موضحا في كلام الشارح عند ذكر المتن لهما (قوله الذي نوّر قلوبنا الخ) فيه حسن افتتاح وبراعة مطلع وهي أن يأتي المؤلف أو الخطيب مثلا في مبدإ كلامه بما يشعر بمقصوده والذي اسم موصول جزئي وضعا واستعمالا كما قاله العضد والسيد خلافا لقول السعد كلي وضعا جزئي استعمالا يذكر ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجمل وحق الجملة الموصول بها أن تكون معلومة الانتساب عند المخاطب وهو هنا صفة الله تعالى باعتبار صلته لوروده في القرآن كذلك جيء به للمدح مع زيادة إفادة الغرض المسوق له الكلام من استحقاقه تعالى الحمد وانفراده به وبيان نعمه الموجبة لحمده . لا يقال النعت مشتق والموصول جامد فلا يصح النعت به . لأنا نقول هو مؤول بالمشتق أي الحمد لله الموصوف بكونه نوّر الخ وتعليق الحكم بالمشتق يدل على علية ما منه الاشتقاق فكأنه قال الحمد لله لتنويره فهو حمد في مقابلة نعمة فيثاب عليه ثواب الواجب الزائد على النفل بسبعين درجة . فان قيل تعليق الحكم بمشتق يفيد قصر الحمد على خصوص ذلك المشتق مع أنه يستحق الحمد لذاته وصفاته . أجيب بأن التنوير ليس علة لاستحقاقه المحامد بل علة لإخبار الشيخ بثبوت استحقاقه تعالى لجميع المحامد ونور مشتق من التنوير وهو إيجاد النور الحسي أو المعنوي والمراد هنا المعنوي الذي ضرب الله تعالى مثله بقوله جل من قائل ـ مثل نوره ـ الآية فهو حمد على صفة الفعل بعد إسناده للذات العلية إشارة لكونه تعالى محمودا لذاته ولصفاته وقوله قلوبنا أي عقولنا لأن النور المعنوي ينسب للعقول وسميت العقول قلوبا لحلولها بها (قوله بمعرفة) متعلق

[بسم الله الرحمن الرحيم]
الحمد لله الذي نوّر قلوبنا
بمعرفة عقائد التوحيد

بنور

وحرر عقولنا من ربقة شوائب التقليد والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرة وعلى آله وأصحابه أولى المناقب الفاخرة .
[أما بعد]

بنور والباء سببية وسيأتى معنى المعرفة والعقائد والتوحيد (قوله وحرر) معطوف على نور عطف سبب على مسبب فهو من جملة صلة الموصول والتحرير إخراج الرقبة من الرق فقد شبه العقول التى نارت بالمعارف وخرجت من الجهل والتقليد برقاب كانت فى أسر الرق فأعتقها سيدها على سبيل الاستعارة بالكناية والتحرير تخييل وعبر أولا بالقلوب وثانيا بالعقول تفننا (قوله من ربقة) جار ومجرور متعلق بحرر والربقة فى الأصل الحبل الذى يوضع فى عنق العجل عند جلب أمه والشوائب جمع شائبة بمعنى الأخلاط وإضافة ربقة لما بعده من إضافة المشبه به للمشبه وإضافة شوائب لما بعده بيانية ، والمعنى وخلص عقولنا من التقليد الشبيه بالربقة لأن المقلد مكبل بتقليده كتكبيل العجل بالحبل الذى فى عنقه فتدبر (قوله على سيدنا) أى أشرف بنى آدم فهو سيد غيرهم بالأولى والإضافة فيه لتعريف العهد الخارجى أى السيد المعين المعلوم وقدمه على محمد مع أنه صفة له والأصل تأخير الصفة عن الموصوف إشارة إلى استقلالها بنفسها حتى صارت كالعلم ، والسيد لغة من فاق غيره كرما وحلما قال الشاعر * ينيل وحلم ساد فى قومه الفتى * من ساد يسود سيادة فهو سيد وأصله سيود بكسر الواو قلبت ياء لتحركها واجتماعها مع الساكنة قبلها ثم أدغمت فيها لاجتماع المثلين ، والقاعدة أن المدغم هو الذى يقلب ويرد من جنس المدغم فيه لكن لما كانت الياء أخف من الواو قلبت الواو ياء مطلقا ويطلق فى اللغة أيضا على من كثر سواده أى جيشه أو المتولى للسواد أى الجماعة الكثيرة وعلى الكامل المحتاج إليه عند الشدائد وكل هذه المعانى مناسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم وإطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم ورد فى الأخبار منها رواية أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » وغير ذلك من الأحاديث المتواترة وقوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له ياسيد السيد هو الله فمعناه أنه الحقيق بالسيادة وإطلاقها على غيره إنما هو بطريق العارية فالمقصود منه إعلام الجاهل بالحقيقة فتدبر (قوله محمد) بدل من سيد أو عطف بيان عليه جيء به للمدح كما يجيء النعت لذلك . ان قلت يرد على كونه بدلا قولهم إن البدل منه فى حكم الطرح مع أنه هنا ليس كذلك . وأجيب بأن قولهم المبدل منه فى حكم الطرح من حيث العمل لأن العامل فى البدل غير العامل فى المبدل منه بخلاف سائر التوابع (قوله المؤيد) أى المقوّى من التأييد وهو التقوية (قوله بالمعجزات) جمع معجزة وهو الأمر الخارق للعادة الواقع على يد مدعى النبوة المقرون بالتحدى وسيأتى ذلك (قوله الباهرة) أى الغالبة للخصم (قوله وعلى آله) المراد بالآل جميع الأتباع فعطف الأصحاب من عطف الخاص على العام وقوله أولى المناقب الخ نعت للأصحاب وأتى الشارح بهذه الصيغة لما فى الحديث قال بعض الصحابة « كيف نصلى عليك يارسول الله؟ فقال: قولوا اللهم صل على محمد وآله » رواه الشيخان وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال اللهم صل على محمد وعلى آله وكان قائما غفر له قبل أن يقعد وإن كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم » والآل اسم جمع باتفاق لا واحد له من لفظه بل من معناه (قوله وأصحابه) جمع صحب على غير قياس لأن شرط المراد جمع فعل بفتح فسكون على أفعال كون عينه حرف علة كسيف وأسياف ونوب وأنواب وليس جمع صاحب لأن فاعلا لا يجمع على أفعال وإنما هو جمع اسم ثلاثى ككتاب وأبواب (قوله أولى) أى أصحاب (قوله المناقب) جمع منقبة ضد المثلبة أى الكمالات وقوله الفاخرة أى العظيمة التى يفتخر بها دنيا وأخرى وقد ذكر الله مناقبهم فى غير آية ومدحهم الرسول فى غير حديث (قوله أما بعد) يتعلق بها تسعة مباحث: الأول فى أما الثانى فى موضعها الثالث فى معناها الرابع فى إعرابها الخامس فى العامل فيها السادس فى أصلها السابع فى حكم

فهذا شرح لطيف على مقدمق السماة بالخريدة البهيةالتي نظمتها في العقائد التوحيدية يوضح معانيها ويشيد مبانيها

الإتيان بها الثامن في أول من تكلم بها التاسع في الفاء بعدها فأما أما فهي لمجرد التأكيد نائبة عن مهما ويكن وأما موضعها فيؤخذ من قولهم هي كلة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر أي من غرض إلى آخر فلا تقع بين كلامين متحدين ولا أول الكلام ولا آخره فان وقعت بين كلامين متغايرين بينهما مناسبة كلية سمى تخلصا وان كان بينهما عدم مناسبة أصلا سمى اقتضابا محضا وان كان بينهما نوع مناسبة كما هنا سمى اقتضابا مشوبا بتخلص فمثال الاقتضاب قول الشاعر :

لو رأى الله أن في الشيب خيرا . جاورته الأبرار في الخلد شيبا

كل يوم تبدى صروف الليالى خلقا من أبي سعيد غريبا

ومثال التخلص قول الشاعر أيضا :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وأما معناها فهو نقيض قبل وتكون ظرف زمان كثيرا ومكان قليلا وهى هنا للزمان لاغير وقولهم انها للمكان باعتبار الرقم بعيد كما حققه الشارح رضى الله عنه.وأما إعرابها فلها أربعة أحوال تعرب في ثلاثة وتبنى في حالة كما هو مشهور.وأما العامل فيها فهو أما على أنها من متعلقات الشرط أوالجزاء على أنها من متعلقاته فالتقدير على الأول مهما يكن من شئ بعد ماتقدم وعلى الثاني مهما يكن من شئ فأقول بعد ماتقدم وجعلها من متعلقات الجزاء أولى لأنه يكون وجود المؤلف معلقا على وجود شئ مطلقا.وأما أصلهافهو مهما يكن من شئ كما تقدم.وأما حكم الإتيان بها فالاستحباب اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته وأما أول من تكلم بها فقد نظم الخلاف فيه بعضهم بقوله :

جرى الخلف أما بعد من كان بادئا بها خمس أقوال وداود أقرب

وكانت له فصل الخطاب وبعده فقس فسحبان فكعب فيعرب

وأما الفاء بعدها فهي رابطة للجواب (قوله شرح) اما بمعنى شارح أو الكلام على حذف مضاف أي ذوشرح أو أطلق عليه المعنى المصدرى مبالغة كما في زيد عدل وعلى كل فالإسناد له مجاز وإلا فالموضح والمبين إنما هو الشخص (قوله لطيف) هو في الأصل يطلق على رقيق القوام وعلى الشفاف الذى لايحجب ماوراءه وعلى صغير الحجم والمراد هنا لازمه فهو مجاز مرسل من اطلاق الملزوم وارادة اللازم ويحتمل أنه مجازاستعارة بأن شبه سهولة الأخذ برقة القوام أوالشفاف أوصغير الحجم واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق منه لطيف بمعنى سهل الأخذ على طريق التبعية (قوله على مقدمتى) في الكلام استعارة تبعية حيث شبه ارتباط الشرح بالمقدمة بارتباط مستعل بمستعلى عليه فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات فاستعيرت على الموضوعة للاستعلاء الخاص لمعنى اللام على طريق الاستعارة التبعية والمقدمة في الأصل اسم لمقدمة الجيش أطلقت على تلك الرسالة لأن بها يتوصل إلى معضل كتب التوحيد وهي مأخوذة أما من قدم اللازم بمعنى تقدم لتقدمهاعلى غيرها بسبب سهولتها وجمعها واختصارها أومن قدم للتعدى لتقديمها الطالب الراغب لمعضل الكتب إذا فهمها وهذا على كسر الدال وأما على فتحها فهي من قدم المتعدى لاغيره ومعناه أن الطالب يقدمها لما فيها من المزايا (قوله التي نظمتها) النظم لغة إدخال اللآلئ في السلك واصطلاحا هو الكلام المقفى الموزون قصدا وهي من بحر الرجز وأجزاؤه مستفعلن ست مرات (قوله يوضح معانيها) من الإيضاح وهوالكشف والإظهار والمعانى جمع معنى وهو مايعنى ويقصد من اللفظ (قوله ويشيد) عطف على يوضح من التشييد وهو في الأصل رفع البناء الحسى والمبانى جمع مبنى وهو الألفاظ

سميت

سميت مبانى لابتناء المعانى عليها ومن هنا قولهم الألفاظ قوالب للمعانى والمراد بالتشييد هنا تصحيح الألفاظ وتحسينها بتنزيلها على القواعد العربية فشبهت الألفاظ المخصوصة من حيث افتقارها لمن ينزلها على القواعد العربية ببيت محتاج للرفع وسد الخلل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو التشييد على طريق الأستعارة بالكناية والتشييد تخييل واسناد التوضيح والتشييد للشرح مجاز عقلى حقه أن يسند للمؤلف (قوله اجتنبت) أى تباعدت (قوله الاختصار) هو فى الأصل تقليل اللفظ كثر المعنى أم لا وقوله المخل أى المضيع للمعنى فالاجتناب منصب على القيد وإلا فأصل الاختصار حاصل (قوله وأعرضت) معطوف على اجتنبت وهو بمعنى الاجتناب وغاير تفننا والتطويل ضد الاختصار وقوله الممل أى الموقع فى الملل وهو السآمة فالاعراض منصب على القيد ومقتضى هذه العبارة أن كتابه هذا مختصر غير مخل ومطول غير ممل وهما ضدان لايجتمعان . والجواب أن الاختصار فى مواضع والتطويل فى مواضع على حسب مايقتضيه المقام فى كل (قوله واقتصرت) معطوف على اجتنبت والمعنى جعلت عباراتى مقصورة وقوله على تحرير البراهين أى تخليصها وتبيينها من غير أن أذكر شبها زيادة عليها والبراهين جمع برهان والمراد به الدليل عقليا كان أونقليا وان كان البرهان فى الأصل اسما للدليل العقلى (قوله مع الفوائد) ظرف متعلق بمحذوف حال من البراهين أى حال كون البراهين مصاحبة للفوائد الخ والفوائد جمع فائدة وهى فى الأصل مااستفاده الشخص من خيرات الدنيا والآخرة والمراد بها هنا خصوص المسائل العلمية التى تزاد بعد البرهان زيادة فى إيضاحه كذكر الأدلة النقلية بعد ذكر البراهين العقلية مثلا (قوله التى بها يزداد اليقين) صفة للفوائد والمراد باليقين الجزم بالعقائد فأصل اليقين يحصل بالبراهين وزيادته بتلك الفوائد وقد وصف هذا الشرح بأوصاف ثمانية أولها قوله لطيف وآخرها قوله مع الفوائد وكلها كمالات متغايرة تحمل الراغب على الاعتناء به (قوله والله أسأل الخ) قدم المعمول ليفيد الحصر والسؤال معناه الطلب وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان لأسأل والأصل وأسأل الله النفع به وقوله كل معمول لينفع (قوله من تلقاه بقلب سليم) أى من طالعه بنفسه أوبواسطة معلم خاليا من الاعتراض والأغراض الفاسدة لأن النفع تابع للحب والاعتقاد (قوله وأن يجعله) معطوف على أن ينفع فهو من جملة المسئول وقوله خالصا معمول ليجعل والكريم صفة للوجه والمراد بالوجه الذات عند الخلف وأما السلف فيقولون لله وجه لا كالأوجه منزه عن صفات الحوادث (قوله إنه المولى الخ) اما بكسر الهمزة مستأنفا واقعا فى جواب سؤال كأنه قال سألته لأنه الخ أوبفتحها تعليل للسؤال والمولى له معان منها المنعم وهو المناسب هنا (قوله الرءوف) أى شديد الرحمة والرحيم ذو الرحمة وفى هذه الأسماء من المناسبة بالمطلوب مالايخفى فان من لطائف الدعاء أن الإنسان يخاطب ربه بالاسم المناسب لمطلوبه كدعاء أيوب عليه السلام حيث قال أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ودعاء يونس حيث قال سبحانك إنى كنت من الظالمين ودعاء سليمان عليه السلام حيث قال إنك أنت الوهاب ودعاء زكريا عليه السلام حيث قال وأنت خير الوارثين (قوله فأقول الخ) الظاهر أن الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا تمهد ماذكرت لك فأقول ومقول القول قوله بسم الله الرحمن الرحيم إلى آخر الكتاب متنا وشرحا وقوله وماتوفيقى إلا بالله الخ جملة معترضة قصد بها التبرك والتبرى من الحول والقوة والتوفيق معناه لغة موافقة الشىء للشىء واصطلاحا خلق قدرة الطاعة والداعية إليها فى العبد عند امام الحرمين فالمراد بالقدرة عنده سلامة الأسباب والآلات بناء على أن العرض يبقى زمانين فالكافر غير موفق لعدم الداعية ويشهد لذلك

اجتنبت فيه الاختصار المخلّ وأعرضت فيه عن التطويل الممل واقتصرت فيه على تحرير البراهين مع الفوائد التى يزداد بها اليقين والله أسأل أن ينفع به كل من تلقاه بقلب سليم وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم إنه المولى الرءوف الرحيم فأقول وماتوفيقى إلا بالله العلىّ العظيم .

قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام أى يجعل داعيته ورغبته ومحبته إليه وعند الأشعرى هو خلق ١ الطاعة فى العبد والمراد بالقدرة العرض المقارن للطاعة بناء على أن العرض لايبقى زمانين . أورد عليه أنه قبل الطاعة مكلف فيلزم عليه تكليف العاجز . أجيب بأن التكليف متوقف على سلامة الأسباب والآلات فتحصل أن الخلف من جهة التكليف لفظى لاتفاقهما على أن التكليف متوقف على سلامة الأسباب والآلات وأما من جهة تسمية السلامة قدرة أولا فحقيقى فعند امام الحرمين يسمى قدرة وعند الأشعرى لايسمى قدرة بل القدرة عنده هى العرض المقارن للطاعة والحق فى هذه المسئلة مع امام الحرمين دون الأشعرى (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح كتابه بالبسملة مع أنه شعر وقع الاختلاف فى كراهة افتتاحه بها وعدمها والراجح قول الجمهور باستحباب افتتاحه بها مالم يكن محرما أومكروها وكل شعر فيه النبوّة أو الاسلام أو الحكم أوالزهد أومكارم الأخلاق أوحث على طاعة أو اجتناب معصية فانشاؤه وإنشاده واستماعه طاعة لأنه وسيلة إلى طاعة فقد صح أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان له شعراء يصغى إليهم فى المسجد وغيره منهم حسان وابن رواحة ، وأفرد البسملة عن الشعر ولم يأت بها نظما كما فعل الشاطبى فى قوله :

بدأت ببسم الله فى النظم أولا تبارك رحمانا رحيما وموئلا

لأنه يعسر الإتيان بها على هيئتها من غير تغيير بخلاف الحمدلة ولأنه خلاف الأولى (قوله وإنما قدرنا التعلق فعلا الخ) اعلم أن المقرر أنه يجوز أن يكون المتعلق فعلا أواسما وعلى كل خاصا أوعاما وعلى كل مقدما أومؤخرا فالحاصل ثمانية أوجه الأولى منها ماقاله الشارح لأن الأصل فى العمل للأفعال أى وماعمل من الأسماء كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والمصدر واسم المصدر فهو بطريق الحمل على الفعل ولما فى تقدير الاسم من زيادة الإضمار لأن المحذوف حينئذ عدة كلمات المضاف والمضاف إليه ومتعلق الجار والمجرور بخلاف أؤلف فانه مع فاعله المستتر فيه كلمتان (قوله ومتأخرا) أى عن البسملة لأن تقديم المعمول يفيد الاختصاص أى يفيد قصر التبرك فى التأليف على اسمه تعالى فالباء داخلة على المقصور عليه لأن المشركين كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات والعزى تبركا لااختصاصا لاعترافهم بالتبرك باسمه تعالى فرد عليهم الموحد وهذا القصر اماقصر افراد وهو يخاطب به معتقد الشركة أوقصر قلب وهو يخاطب به معتقد عكس الحكم أوقصر تعيين وهو يخاطب به المتشكك (قوله لأن كل شارع فى شئ) أى تأليف أوغيره (قوله ولافادة حصول البركة) علة ثانية لتقديره خاصا أى فى تقدير المتعلق خاصا تخصيص التبرك بالشروع فيه وتعميم أجزائه بخلاف مالوقدره من مادة الابتداء فانه ليس خاصا بالمشروع فيه ولاعاما فى أجزاء المشروع فيه بل قاصر على التبرك فى البداية فتدبر (قوله والباء للاستعانة) باء الاستعانة الداخلة على الواسطة بين الفاعل ومفعوله ككتبت بالقلم قال بعضهم وفى جعلها للاستعانة ايهام أن اسم الله مقصود لغيره لالذاته فالأولى قول الزمخشرى انها للملابسة أى المصاحبة أى أؤلف مصاحبا كل بيت بركة هذا الاسم فالمصاحب البركة لأن الاسم لم يصاحب كل بيت فتدبر (قوله مادل على مسمى) أى كان فعلا أو اسما أوحرفا بالمعنى المصطلح عليه (قوله وعند النحاة) أى فى اصطلاحهم (قوله مادل) أى لفظ دل الخ وهو جنس يشمل الفعل والحرف وقوله فى نفسه أى لافى غيره خرج الحرف وقوله غير مقترن بزمان وضعا خرج الفعل فانه دال على معنى فى نفسه لكنه موضوع للزمان وان تجرد عنه فى بعض الأفعال كعسى وليس ونعم وبئس ودخلت الأسماء الدالة على الزمان لابالوضع كأسماء الشروط والاستفهام فتدبر

(بسم الله الرحمن الرحيم) أى أؤلف وإنما قدرنا التعلق فعلا لأن الأصل فى العمل للأفعال ومتأخرا لأن تقديم المعمول يفيد الاختصاص وخاصا لأن كل شارع فى شئ ينبغى له أن يقدر ماجعلت البسملة مبدأ له ولافادة حصول البركة لجميع أجزاء الفعل والباء للاستعانة أو للمصاحبة على وجه التبرك والاسم لغة مادل على مسمى وعند النحاة مادل على معنى فى نفسه غير مقترن بزمان وضعا

١ قوله خلق الطاعة ، لعله خلق قدرة الطاعة بدليل مابعده تأمل اه مصححه

(قوله وهو مشتق) أى مأخوذ وقوله من السمو أى فالاسم مشتق من المصدر (قوله أى يظهر) تفسير ليعلو (قوله فأصله سمو) مفرع على قول البصرى وسمو بوزن فعل فالسين فاء الكلمة والميم عينها والواو لامها (قوله بحذف لامه) التى هى الواو (قوله بعد تسكين فائه) هذا التعويض من جملة لغات عشرة فى الاسم جمعها بعضهم بقوله :

لغات الاسم قد حواها الحصر فى بيت شعر وهو هذا الشعر
اسم بحذف همزه والقصر مثلثات مع سمات عشر

(قوله وعند الكوفى) مقابل قوله وعند البصرى وقوله من السمة أى مشتق ومأخوذ من السمة وهو مصدر أيضا لسما (قوله لأنه علامة) أى دال (قوله وأصله وسم) أى على وزن فعل بفتح الفاء فالواو فاء الكلمة والسين عينها والميم لامها (قوله ثم عوض عنها همزة الوصل) أى توصلا للنطق بالساكن (قوله والمراد به هنا الخ) ليس بمتعين لجواز أن يراد به اللفظ الدال على ذات الله لأنه يتبرك ويستعان بالاسم كما يتبرك بالمسمى والإضافة على هذا على معنى اللام (قوله والله علم على الذات الخ) أى شخص جزئى قال السعد وليس من باب الغلبة التحقيقية ولا التقديرية والغلبة أن يكون للفظ شمول لأفراد فيحصل له بحسب الاستعمال تخصيص ببعض أفراده فإن وجد له أفراد فاختص ببعضها كانت الغلبة تحقيقية كالنجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وإن لم يوجد له إلا فرد كانت الغلبة تقديرية خلافا لقول الخلخالى والبيضاوى إنه كلى إذ معناه المعبود بحق فيصح إطلاقه على كل متصف بتلك الصفة ولم يتصف بها إلا الخالق فهو صفة ورد بأنه لو كان كليا لم تفد لا إله إلا الله توحيدا لأنها لم تحصر ذاته لنا على وجه التشخص مع أن الشارع جعلها توحيدا . فان قلت قال السيد عيسى الصفوى عرفوا العلم بما وضع لشخص بعينه والمتبادر منه أن يكون الشخص ملاحظا للواضع أى معلوما له وذات الله بلا ملاحظة صفة غير معقولة للبشر فلا يكون الله علما له لأن العلم ما وضع للذات من غير صفة . أجاب الشهاب تبعا للبيضاوى بأن واضع العلم إن كان هو الله فهو يعلم ذاته وصفاته وإن كان غيره فالتحقيق أن تصور الموضوع له بوجه ما كاف فى واضع العلم كعلمنا ذات الله باعتبار صفاته لأن واضع اللغة لا يفعل إلا ما فيه فائدة يعتد بها بل كل عاقل كذلك وإنما فائدة العلم معرفة الذات من غير صفة إذ لو قصد ما يحصل بوضع الصفة لم يكن فى وضع العلم فائدة سحيمى على عبد السلام (قوله على الذات) أل للعهد أى الذات المعهودة وهى الخالقة للعالم وتاؤها ليست للتأنيث بل للوحدة (قوله الواجب الوجود) أى الذات التى لا يمكن عدمها فى الماضى ولا فى الحال ولا فى الاستقبال والغرض من ذكر واجب الوجود بيان الذات المسمى لا بيان اعتباره فى المسمى لأن المسمى الذات وحدها لا الذات مع الوصف (قوله بنيتا للمبالغة) أى للدلالة على المبالغة مع إفادة دوام الرحمة وثباتها فاندفع ما يقال إن بناءها للمبالغة ينافى كونهما صفتين مشبهتين (قوله من رحم بالكسر) أى من مصدر رحم على مذهب البصريين أو من نفس رحم على مذهب الكوفيين (قوله بأن يقصد اثباته) بيان وتصوير التنزيل (قوله بأن ينقل إلى فعل) تصوير لجعله لازما لأن فعل بالضم لا يكون إلا لازما (قوله وإنما احتيج لذلك) اسم الإشارة عائد على التنزيل أو التحويل (قوله إنما تصاغ من اللازم) أى لقول ابن مالك :

* وصوغها من لازم لحاضر * (قوله والرحمة رقة القلب) أى فى أصل وضع اللغة (قوله فهو غايتها) أى ثمرتها وقوله وهى مبدؤه أى منشؤه (قوله فيراد منها هنا الغاية) أى ففيه مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب وذكر حفيد السعد أن فى الكلام استعارة تمثيلية بأن يقال شبه حال المولى مع خلقه فى الإنعام بجلائل النعم ودقائقها بحال ملك مع رعيته واستعيرت الهيئة الدالة على المشبه به للمشبه

وهو مشتق عند البصرى من السمو وهو العلو لأنه يعلو به مسماه من الخفاء أى يظهر فأصله سمو بكسر فسكون فخفف بحذف لامه وعوض عنها همزة الوصل بعد تسكين فائه وعند الكوفى من السمة وهى العلامة لأنه علامة على مسماه وأصله وسم فخفف بحذف فائه ثم عوض عنها همزة الوصل والمراد بهنا المسمى أى مستعينا بمسمى الله والإضافة للبيان والله علم على الذات الواجب الوجود الخالق للعالم والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة من رحم بالكسر إما بتنزيله منزلة اللازم بأن يقصد إثباته للفاعل فقط من غير اعتبار تعلقه بمفعول وإما بجعله لازما بأن ينقل إلى فعل بالضم وإنما احتيج لذلك لأن الصفة المشبهة إنما تصاغ من اللازم والرحمة رقة القلب أى رأفته وهى تستلزم التفضل والإحسان فهو غايتها وهى مبدؤه فيراد منها هنا الغاية

لاستحالتها عليه تعالى أي الثابت له **(٨)** الفضل والإحسان كثيرا وكذا كل اسم من أسمائه تعالى يوهم ظاهره خلاف

المراد يراد منه غايته ثم إن أريد مريد ذلك كمريد الإنعام فصفة ذات وإن أريد الفاعل كالمنعم فصفة فعل وقدم الرحمن لأنه خاص به تعالى إذ لا يطلق على غيره تعالى ولأنه أبلغ إذ معناه المنعم بجلائل النعم كما وكيفا بخلاف الرحيم فإن معناه المنعم بدقائقها كذلك وجلائل النعم أصولها كالوجود والإيمان والعافية والرزق والعقل والسمع والبصر وغير ذلك ودقائقها فروعها كالجمال وكثرة وزيادة الإيمان ووفور العافية وسعة الرزق ودقة العقل وحدة السمع والبصر وغير ذلك والمعنى أنه تعالى من حيث إنه منعم بجلائل النعم يسمى الرحمن ومن حيث إنه منعم بدقائقها يسمى الرحيم (يقول) هو من باب نصر فأصله يقول بسكون فائه وضم عينه فخفف بنقل حركة العين إلى الفاء (راجي رحمة) بإضافة الوصف إلى معموله أي المؤمل المنتظر انعام (القدير) أي دائم القدرة فهو صفة مشبهة أو الكثير القدرة بمعنى الاقتدار فيكون صيغة مبالغة (أي أحمد) بن محمد

ابن أحمد أي حرف تفسير وبيان لراجي لما بعد أي

وأورد عليه أن الاستعارة التمثيلية لا تكون إلا في المركبات واطلاق الحال على الله لم يرد إذن به وأن الرحمن لم يستعمل في غيره تعالى وأن المشبه به أقوى وهو اساءة أدب. وأجيب بأنه اقتصر على الجزء الأهم من المركب إذ هو مركب بحسب الأصل فإن الأصل ملك رحمن رحيم وإطلاق الحال جائز لضرورة التعليم والحق ثبوت مجازات لا حقائق لها وكون المشبه به أقوى أغلبي وبعد هذا كله فالأحسن الاقتصار على كونه مجازا مرسلا (قوله لاستحالتها) أي رقة القلب (قوله أي الثابت له التفضل الخ) بيان للمعنى المراد اللائق به تعالى (قوله وكذا كل اسم الخ) أي كصبور ورءوف وحكيم وودود (قوله مريد ذلك) أي التفضل والإحسان (قوله فصفة ذات) أي فالرحمة صفة ذات وهي قديمة باتفاق (قوله وإن أريد الفاعل) أي اسم الفاعل وقوله فصفة فعل أي فالرحمة صفة فعل وهي حادثة عند الأشاعرة ويترتب على كل حكم قول من قال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك فإن أراد أن الرحمة صفة فعل جاز لأن المراد اجمعنا في مستقر إنعامك وهو الجنة إن أراد أنها صفة ذات لم يجز لأن المعنى اجمعنا في مستقر إرادتك وهو ذاتك (قوله إذ لا يطلق على غيره تعالى) أي وأما قول الشاعر :

* وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا * في حق مسيلمة الكذاب فشاذ أو لأنه منكر والخاص بالله المعرف أو من تعنتهم في كفرهم (قوله ولأنه أبلغ) معطوف على قوله لأنه خاص أي فقدمه لأمرين وقوله إذ معناه تعليل لأبلغيته (قوله كذلك) أي كما وكيفا وهذا المعنى أشهر التفاسير وحجتهم في ذلك اختصاصه بالله تعالى وكون زيادة البناء تدل على زيادة المعنى بشروط ثلاثة أن يكون ذلك في غير الصفات الجبلية فخرج نحو شره ونهم وأن يتحد اللفظان في النوع فخرج نحو حذر وحاذر فالأول مع قلة حرفه أبلغ من الثاني لكونه صفة مشبهة وأن يتحدا في الاشتقاق فخرج نحو زمن وزمان فالمستوفي للشروط كرحمن رحيم وقطع وقطع (قوله وغير ذلك) أي كالشم والذوق واللمس والنجاة من النار ودخول الجنة (قوله يسمى الرحمن) أي استدل بها على اسمه الرحمن وكذا يقال في قوله يسمى الرحيم وإلا فأسماؤه تعالى وأوصافه أزلية قديمة (قوله بإضافة الوصف إلى معموله) الوصف هو قوله راجي والمعمول قوله رحمة وليست الإضافة متعينة بل يجوز تنوين راجي ونصب رحمة ولا يتغير الوزن ولا المعنى (قوله أي المؤمل الخ) تفسير للراجي لأن الرجاء هو الأمل مع الأخذ في الأسباب (قوله إنعام) تفسير للرحمة فالمراد منها صفة الفعل ويصح أن يراد منها هنا ارادة الإنعام أيضا لأنه يلزم من إرادة الإنعام حصوله لا راد لما قضى وإنما اختار المعنى الأول لكونه أخصر (قوله أي دائم القدرة) فالقدير من أسمائه تعالى ومعناه ذو القدرة الدائمة (قوله بمعنى الاقتدار) دفع به ما يراد من أن القدرة واحدة لا تعدد فيها وإيضاحه أن الكثرة باعتبار الاقتدار وهو عموم تعلق القدرة بسائر الممكنات (قوله فيكون صيغة مبالغة) أي باعتبار التعلقات (قوله أحمد) هو اسم الشيخ وقوله ابن محمد هو اسم أبيه قال الشيخ في شرح كتابه أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك وكان الوالد رحمه الله تعالى رجلا صالحا عالما متقنا القرآن فقد بصره في آخر عمره فاشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله تعالى فحفظ القرآن على يديه خلق كثير وكان يعلم الفقراء حسبة فلا يأخذ منهم صرفة ولا غيرها بل ربما ولسائر من عده وكان كثير السكوت لا يتكلم إلا نادرا وورده في غالب أوقاته صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وكان يبشرني بأن أكون عالما مات رحمه الله شهيدا بالطاعون سنة ثمانية وثلاثين بعد الألف ومائة وعمري نحو العشر سنين وشوهدت له كرامات انتهى وحينئذ فيؤخذ منه أن الشيخ ولد سنة ثمانية وعشرين بعد المائة والألف وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمان خلون من ربيع الأول سنة مائتين وواحد

بعد الألف فسنه ثلاث وسبعون ودفن بمشهده المشهور بالكعكيين وكراماته في الحياة وبعد الممات أظهر من الشمس في رابعة النهار ، وأقول كما قال بعض العارفين :

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه إن لم أكن منهم فلي في حبهم عز وجاه

وأخبرنا الأستاذ الشارح عن والده المذكور أن زوجته كانت تدخل عليه فتجد عنده شموعا موقودة في أوقات الظلام فتسأله عن ذلك فيقول إنها أنوار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرنا أيضا أنهم كانوا في ضيق عيش فتوضع الصحفة فيها الطعام القليل بين يديه فيقرأ عليها سورة قريش فيبارك فيها ويأكل منها الناس الكثيرون قال الشيخ فصرت أقرأ تلك السورة على الأبواب المغلوقة فتفتح بغير مفتاح فشاع عني وأنا صغير أني أفتح الأبواب بغير مفتاح (قوله عطف بيان) أي لأن نعت المعرفة إذا تقدم عليها يعرب بحسب العوامل فلذا أعرب راجي فاعل يقول وتعرب هي منه بدلا أو عطف بيان وحكمة تقديم النعت على المنعوت الاعتناء برجاء رحمة الله ففي الحديث « إن عافيتك أوسع لي ورحمتك أرجى عندي من عملي » وإنما ذكر اسمه على عادة جمهور المؤلفين من تسميتهم أنفسهم في أوائل كتبهم ليرغب الطالب في الكتاب لأن الكتاب المجهول صاحبه غير مرغوب فيه ولا موثوق به (قوله الحمد لله) لما افتتح بالبسملة افتتاحا حقيقيا افتتح بالحمدلة افتتاحا إضافيا وهو ما تقدم على الشروع في المقصود بالذات جمعا بين حديثي البسملة والحمدلة وحمل البسملة على الابتداء الحقيقي والحمدلة على الإضافي لموافقة القرآن العزيز ولقوة حديث البسملة على حديث الحمدلة وهو قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » وهناك أوجه أخر مشهورة لدفع التعارض وجملة الحمدلة إما خبرية لفظا ومعنى بناء على أن المخبر بالحمد حامد وهو الصحيح أو خبرية لفظا إنشائية معنى ، واستشكل بأنه لا يمكن العبد أن ينشيء اختصاصه تعالى بالمحامد أو استحقاقه إياها لقدم ذلك . وأجيب بأن المراد بكونها إنشائية أنها لإنشاء الثناء بمضمونها لا أنها لإنشاء مضمونها إذ هو ثابت أزلا لا يمكن إنشاؤه من العبيد وآثر الاسمية لدلالتها على الثبوت والدوام واقتداء بالكتاب العزيز وأصل الحمد لله أحمد الله حمدا ثم حذف الفعل لدلالة المصدر عليه فبقي حمد الله ثم عدل به من النصب إلى الرفع لدلالة الثبوت والدوام فصار حمد الله ثم أدخلت الألف واللام قال الفاكهاني في شرح الرسالة ويستحب الابتداء بها لكل مصنف ومدرس وخطيب وخاطب ومتزوج ومزوج وبين يدي سائر الأمور المهمة وكذا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله مقول القول الخ) أي لأن القول لا ينصب إلا الجمل أو المفرد الذي في معنى الجملة أو المفرد الذي قصد لفظه ما لم يجر مجرى الظن فينصب المفردات كما هو معلوم من قول ابن مالك :

وكتظن اجعل تقول إن ولي مستفهما به ولم ينفصل

إلى أن قال : وأجري القول كظن مطلقا عند سليم نحو قل ذا مشفقا

(قوله وأل فيه جنسية) أي وهو الأصل في وضعها وأما كونها استغراقية فهو طارىء عليها والمعنى على الجنسية جنس الحمد مستحق لله تعالى وإذا اختص جنس الحمد بالله فلا فرد منه لغيره تعالى فحينئذ ساوت الاستغراقية . إن قلت يرد عليه حمد الحادث للحادث وحمد القديم للحادث . أجيب بأن المراد جميع المحامد لله في الواقع ونفس الأمر لا بحسب الظاهر فهذان الحمدان وإن كانا بحسب الظاهر لغير الله تعالى ففي الواقع ونفس الأمر هما له لأنه المنعم الحقيقي فتدبر (قوله أو استغراقية) أي وعلامتها أن يحل محلها كل وجوز بعضهم أن تكون عهدية والمعهود هو الحمد القديم الأزلي الذي حمد نفسه به أزلا وذلك لأنه لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه أزلا وأظهر ذلك الحمد لخلقه

عطف بيان وقيل عطف نسق بناء على أنها من حروف العطف وهو قول ضعيف (المشهور) أي الذي اشتهر (:) لقب جده (الدردير) بفتح الدال الأولى وكسر الثانية بينهما راء ساكنة وكذا اشتهر أولاد الجد كلهم بهذا اللقب (الحمد لله) هو وما بعده إلى آخر الكتاب مقول القول في محل نصب وأل فيه جنسية أو استغراقية ولام لله

لاستحقاق، والحمد لغة هو الثناء بالجميـل على جميل اختيار على جهة التعظيم سواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل، وفى عرف أهل الشرع فعـل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما ولو على غير الحامد وسواء كان الفعل قولا باللسان

ليحمدوه به (قوله للاستحقاق) أى وضابطها ماوقعت بين معنى وذات وهذا أحد احتمالات أربع : الثانى الملك الثالث التعليـل الرابع الاختصاص فعلى الأوّل معناه جميع المحامد مستحقة لله وعلى الثانى مملوكة له وعلى الثالث ثابتة لأجله وعلى الرابع مختصة به لـكن على جعل أل عهدية لايناسب جعل اللام للملك لأنه يصير المعنى الحمد المعهود القديم مملوك لله والمملوك لايكون إلاحادثا لاقديما لأن المملوك هو المتصرف فيه والقديم لايتصرف فيـه الا أن يقال المراد بالحمد المعهود حمد من يعتد به وهو حمد الله وحمـد أنبيائه وحمد أوليائه فيصح حينئـذ جعلها للملك لأن المعهود حينئذ هو الهيئة المجتمعة من حمد الله وحمد غـيره وهى مركبة من قديم وهو حمد الله وحادث وهو حمـد غيره والمركب من القديم والحادث حادث والحادث يصح تعلق الملك به كذا ذكره شيخنا الدسوقى فى حاشية المصنف ولـكن لما كانت لام الاستحقاق سالمة من الاشكال اقتصر الشارح عليها (قوله لغة) منصوب على التمييز (قوله هو الثناء) بتقديم المثلثة على النون والمد : الذكر بخير وبتقديم النون على المثلثة والقصر ضدّه وحينئذ فقوله بالجميل وصف كاشف على حدّ نظرت بعينى وسمعت بأذنى والمراد به الصادر بالكلام قديما كان أوحادثا فشمل أقسام الحمد الأربعة (قوله بالجميل) بيان للمحمود به وللصيغة الصادرين من الحامد للمحمود (قوله على جميل اختيارى) بيان للمحمود عليـه والمراد بالاختيارى حقيقة كالحمد على صفات الأفعال أوحكما كالحمد على الذات وصفاتها لأنها منشأ أفعال اختيارية وخرج بذلك ماكان جميلا غير اختيارى فالثناء عليه مدح وقوله على جهة التعظيم أقحم لفظة جهة إشعارا بأنه لايكفى فى الحمد التعظيم الظاهرى بل لابد أن يوافق الكلام الجنان كذا قيل لـكن قال الأشياخ الراجح عدم اشتراطه (قوله سواء تعلق بالفضائل) سواء خبر مقدم ومابعده فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والمعنى تعلقه بالفضائل أم بالفواضل مستو والمراد بالفضائل المزايا القاصرة وهى التى لايتوقف تعلقها على تعدى أثرها للغير وإن كانت هى متعدية كالعلم والقدرة والحسن وبالفواضل المزايا المتعدية وهى التى يتوقف تعلقها على تعدى أثرها للغير كالـكرم والتعليم وهـذه العبارة معنى قول غيره سواء كان فى مقابلة نعمة أم لا فتحصل أن أركان الحمد خمسة حامد ومحمود ومحمود به ومحمود عليه وصيغة فإذا حمدت زيدا لكونه أكرمك بقولك زيد عالم فأنت حامد وزيد محمود والإكرام محمود عليه أى محمود به لأجله وثبوت العلم الذى هو مدلول قولك زيد عالم محمود به وقولك زيد عالم هو الصيغة وأن المحمود عليه يشترط فيه أن يكون اختياريا حقيقة أوحكما بأن يكون منشأ لأفعال اختيارية أوملازما لمنشئها فيصدق بقدرة الله وإرادته وعلمه إذا حمد لأجلها فانها وإن كانت غير اختيارية حقيقة لـكنها اختيارية حكما لأنها ينشأ عنها فعل اختيارى وكذا يصدق بذات الله إذا حمد لأجلها فهى اختيارية حكما لما ذكر وكذا يصدق بالسمع والبصر والكلام ونحوها مما لاينشأ عنـه فعل اختيارى إذا حمد لأجلها فهى اختيارية حكما باعتبار أنها ملازمة للذات التى ينشأ عنها فعل اختيارى وأن المحمود به لايشترط فيه أن يكون اختياريا بل تارة يكون اختياريا كالـكرم وتارة لا يكون اختياريا كحسن الوجه وأن المحمود به والمحمود عليه تارة يختلفان ذاتا واعتبارا كأن يكون المحمود عليه الـكرم والمحمود به العـلم وتارة يتحدان ذاتا ويختلفان اعتبارا كأن يكون كل منهما نفس الـكرم لـكنه من حيث كونه باعثا على الحمد يقال له محمود عليه ومن حيث كونه مدلول الصيغة يقال له محمود به (قوله وفى عرف أهل الشرع) المراد بهم بعض المتكلمين وإلا فأهل اللغة والشرع اتفقوا على أن حقيقة الحمد الوصف بالجميل فليس الحمد لغة أعم منه شرعا (قوله ينبئ) أى يخبر غير الحامد لو اطلع عليه فلا يرد أن هذا الإشعار قد يكون بالقلب (قوله ولو على غير الحامد) أى فلا يشترط أن تـكون

واعتقادا بالجنان أوخدمة بالأركان فبينهما العموم والخصوص الوجهى لأن مورد اللغوى خاص وهو اللسان ومتعلقه عام ومورد العرفى عام ومتعلقه خاص وهو الإنعام ؛ وأما الشكر لغة فهو الحمد عرفا وأما الشكر عرفا فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من عقل وسمع وغيرهما إلى ماخلق لأجله وهو أخص مطلقا من الحمد والشكر اللغوى لاختصاصه بالله تعالى وبكونه فى مقابلة النعم التى على الشاكر فقط (العلىّ) من العلو وهو الرفعة فأصله عليو اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء وعلوه تعالى معنوى عبارة عن تنزيهه تعالى عن كل نقص فيتضمن اتصافه تعالى بجميع صفات السلوب ، ولك أن تقول علوه تعالى عبارة عن تنزيهه عن كل نقص واتصافه بكل كمال فيشمل صفات المعانى أيضا (الواحد) أى المنزه عن الشريك فى الذات والصفات والأفعال (العالم) بما يكون ومالا يكون وبما هو كائن أى موجود (الفرد) أى الواحد ذاتا وصفات وأفعالا (الغنى) عن كل شئ فلا يفتقر إلى محل ولا مخصص ولا معين ولا وزير ولا غير ذلك فالغنى المطلق يتضمن اتصافه تعالى بجميع الصفات السلبية والكمالية (الماجد)

النعمة لنفس الحامد وإنما المدار على كونه فى مقابلة نعمة (قوله أو اعتقادا بالجنان) ان قلت الاعتقاد ليس فعلا للقلب وإنما هو كيفية , أجيب بأن المراد بالفعل هنا ماقابل الانفعال فيشمل الكيف (قوله بالأركان) المراد بها الأعضاء الظاهرة غيراللسان . روى أن أعرابيا أتى عليا كرّم الله وجهه فأعطاه درهما فلما استقله ولم يكن عنده غير درع له ناوله إياه فمدحه بقوله :

وماكان شكرى وافيا بجمالكم ... ولكننى حاولت فى الشكر مذهبا
أفادتكم النعماء منى ثلاثة ... يدى ولسانى والضمير المحجبا

(قوله فبينهما العموم والخصوص الوجهى) ضابطه أنهما يجتمعان فى مادة وينفرد كل منهما عن الآخر بجهة (قوله لأن مورد اللغوى خاص الخ) تعليل لماقبله والمراد بالمورد المبدأ وبالمتعلق المنتهى (قوله فهو الحمد عرفا) أى فبينهما الترادف وإنما يختلفان فى التسمية (قوله وهو أخص مطلقا) أى فبينه وبين ماعداه العموم والخصوص المطلق فيلزم من الشكر الاصطلاحى الحمد اللغوى والعرفى والشكر اللغوى ولا عكس بل تنفرد الثلاثة عنه بجهة عمومها (قوله لاختصاصه بالله الخ) تعليل لأخصيته ومعناه أن صرف الأعضاء لخالقها يستحيل أن يكون لغيرالله (قوله وبكونه الخ) علة ثانية لأخصيته . والحاصل أن الشرح ذكر الحمد اللغوى والعرفى والشكر اللغوى والعرفى ولم يذكر المدح بقسميه ونذكره تتميما للفائدة فالمدح لغة هو الثناء باللسان على وصف غير اختيارى وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم الشخص بسبب اتصافه بصفة كمال فمجموعها ستة من ضرب ثلاثة وهى الشكر والحمد والمدح فى اثنين وهما اللغوى والعرفى والنسب بينها خمسة عشر وذلك لأنك تأخذ الشكر العرفى مع كل واحد يحصل خمس نسب هى العموم والخصوص المطلق وتأخذ الشكر اللغوى مع غير الشكر العرفى يحصل أربع نسب فان كان مع الحمد الاصطلاحى فالترادف وان كان مع الحمد اللغوى أوالمدح اللغوى فالعموم والخصوص من وجه وإن كان مع المدح العرفى فالعموم والخصوص المطلق وتأخذ الحمد اللغوى مع غير الشكر بقسميه يحصل ثلاث نسب فان كان مع الحمد العرفى فالعموم والخصوص الوجهى وإن كان مع المدح بقسميه فالعموم والخصوص المطلق وتأخذ الحمد العرفى مع غير الشكر بقسميه والحمد اللغوى يحصل نسبتان هما العموم والخصوص المطلق وتأخذ المدح اللغوى مع العرفى وبينهما العموم والخصوص المطلق تأمل (قوله فأصله) مفرع على قوله من العلو أى فلامه واو (قوله عليو) بفتح العين وكسر اللام وسكون الياء (قوله فقلبت الواو ياء الخ) هذا على خلاف القاعدة بل القاعدة أن المدغم هو الذى يقلب ويرد من جنس المدغم فيه لكن لما كانت الياء أخف من الواو قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وتقدم نظيره فى تصريف سيد (قوله وعلوه تعالى معنوى) لاحسى لاستحالته عليه تعالى (قوله عبارة) أى لفظ معبر به ويدل به على أنه تعالى منزه (قوله فيتضمن) أى فالعلى يتضمن الخ (قوله بجميع صفات السلوب) جمع سلب بمعنى نفى (قوله ولك أن تقول) أى فى معنى العلى وهو بهذا المعنى من الأسماء الجامعة (قوله الواحد) ذكر الواحد ومابعده نتيجة معنى العلى (قوله المنزه عن الشريك) أى ففى الوحدانية نفى الكموم الخمسة المشهورة (قوله العالم بما يكون) أى المحيط علمه أزلا بالمستقبلات وقوله ومالا يكون أى من المستحيلات والجائزات وقوله وبما هو كائن أى من الواجبات والجائزات (قوله أى الواحد الخ) فيكون الفرد مرادفا للواحد (قوله فلا يفتقر إلى محل) أى لقيامه بنفسه فليس صفة تقوم بمحل ولا حادثا يحتاج لموجد ولاعاجزا يفتقر لمعين وعطف الوزير على المعين مرادف (قوله ولا غير ذلك) أى من كل مايفتقر له الحوادث (قوله فالغنى المطلق) مفرع على مافسر به الغنى أى فالغنى فى حقه مطلق وهو يتضمن اتصافه الخ فهو من الأسماء الجامعة

قيل معناه الكريم الواسع العطاء ، وقيل الشريف العظيم ولا يخفى مافى هذا البيت من براعة الاستهلال (وأفضل) أى أتم (الصلاة) وهى لغة الدعاء بخير فاذا أضيفت إليه تعالى كان معناها زيادة الإنعام المقرون بالتعظيم والتبجيل (والتسليم) أى التحية (على النبى) المعهود عند الاطلاق وهو سيدنا محمد ابن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم ، والنبى إنسان ذكر حر أوحى إليه بشرع أى أحكام سواء أمر بتبليغها أى إيصالها للمكلفين أم لا فان أمر بذلك فرسول أيضا فالنبى أعم من الرسول وأصله نبىء بالهمز كما يدل عليه رواية قراءته بالهمز فى التشهد فقلبت الهمز ياء من النبأ وهو الخبر بمعنى المفعول

(قوله قيل معناه الكريم الخ) أى فيكون من الأسماء الحالية وقوله وقيل الشريف الخ أى فيكون من الأسماء الجامعة وعلى كل هو نتيجة الأسم الذى قبله (قوله من براعة الاستهلال) أى لأن هذه الأسماء تشعر بالتوحيد الذى هو شارع فيه لتضمنها العقائد وبراعة الاستهلال هى أن يذكر المؤلف أوغيره فى أول كلامه مايدل على مقصوده والبراعة من برع إذا تفوّق على غيره والاستهلال الظهور (قوله أفضل الصلاة الخ) لما حمد الله تعالى شكرا للنعمة صلى على حبيبه صلى الله عليه وسلم لأنه الواسطة لنا فى جميع النعم أداء لبعض مايجب له صلى الله عليه وسلم وعملا بقوله عليه الصلاة والسلام « كل كلام لايذكر الله فيه فيبدأ به وبالصلاة علىّ فهو أقطع ممحوق من كل بركة » والجملة خبرية لفظا إنشائية معنى فالمقصود بها إنشاء الدعاء بأن الله يعظم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ويشرفه ويحييه بتحية لائقة به كما يحيى بعضنا بعضا ولايجوز أن تكون خبرية لفظا ومعنى لأن المخبر بأن الله صلى عليه أى أنعم عليه لم يكن مصليا أى داعيا بأن الله يعظمه إلا على قول من يقول إن المراد من الصلاة التعظيم أو أنها موضوعة للقدر المشترك وهو الاعتناء بالمصلى عليه فيجوز أن تكون خبرية لفظا ومعنى لأن من أخبر بأن الله صلى عليه فقد عظمه صلى الله عليه وسلم واعتنى به وهو خلاف التحقيق (قوله الدعاء بخير) أى بأى لفظ كان (قوله فاذا أضيفت إلى الله) أى نسبت له وقوله المقرونة بالتعظيم الخ أى بالنسبة لصلاة الله على الأنبياء وأما صلاة الله على غيرهم فمعناها أصل الرحمة والإنعام وأما ان أضيفت لغير الله من سائر المخلوقات فهى على معناها الأصلى وهو الدعاء بخير وقد اختلف فى الصلاة هل هى مشترك لفظى تعدد وضعه وهو قول الجمهور واختار ابن هشام فى مغنيه أنها من المشترك المعنوى قائلا الصواب عندى أن الصلاة لغة بمعنى واحد وهو العطف ثم العطف بالنسبة إلى الله تعالى الرحمة وإلى الملائكة الاستغفار وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض وفى المقام كلام طويل انظره فى حاشية شيخنا الأمير على عبد السلام (قوله أى التحية) أى من الله ومن العباد فتحية الله تعظيمه لنبيه بالكلام القديم كما يحيى أحدنا ضيفه ومن المخلوقات طلب ذلك من الله تعالى (قوله على النبى) ان قلت ان الدعاء إن كان بخير تعدى باللام وإن كان بشر تعدى بعلى . أجيب بأنه ضمن الصلاة معنى العطف وهو يتعدى بعلى والحق فى الجواب أن يقال محل ذلك مالم يكن بعنوان الصلاة والسلام فان كان به تعين تعديته بعلى للفرق بين صليت له وصليت عليه وسلمت له وسلمت عليه فلو تعدى باللام لأوهم معنى فاسدا لأن صليت له معناه عبدته وسلمت له معناه فوضت له الأمر ولأنه خلاف الوارد فى القرآن والأحاديث (قوله المعهود) أى فأل فى النبى للعهد العلمى (قوله والنبى) شروع فى معناه اصطلاحا وأما معناه لغة فسيأتى (قوله إنسان) أى لاجن ولاملك وقوله ذكر أى لا أنثى وحقه أن يزيد حرا قال صاحب بدء الأمالى :

وماكانت نبيا قط أنثى ولاعبد وشخص ذو افتعال

(قوله أوحى) الوحى هو الارسال من الله لعبده بالأحكام وهو أقسام فيكون تارة بواسطة ملك كجبريل وتارة بمكالمة من الله تعالى من غير واسطة كما وقع لموسى وتارة بالهام يقع فى القلب وتارة بالمنام (قوله فالنبى أعم من الرسول) أى فيلزم من كونه رسولا أن يكون نبيا ولاعكس ولايلزم أن يكون له كتاب وهذا هو المشهور وقيل النبى والرسول مترادفان وقيل الرسول من كان له شرع جديد وكتاب . فان قلت قوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس يفيد أن الرسل يكونون من الملائكة أيضا وهو خلاف التعريف . أجيب بأن الرسول المعرف هنا هو الذى يبلغ الأمم وأما رسل الملائكة فهم لتبليغ بعضهم بعضا ولتبليغ رسل البشر فالموضوع مختلف (قوله من النبا وهو الخبر) أى فهو المعنى اللغوى وعليه فمعنى النبى لغة المخبر (قوله بمعنى المفعول) أى فنبى بمعنى منبأ بفتح الباء أى مخبر

كما يدل عليه التعريف المتقدم أي إن الله تعالى قد أخبره بأحكام ويحتمل أن يكون بمعنى الفاعل أي إنه مخبر عن الله تعالى ويحتمل أن أصله نبيو من النبوة أي الرفعة قلبت الواو ياء لما مر وأدغمت فيها الياء بمعنى مرفوع الرتبة أي مرتفعها فهو بمعنى المفعول أو الفاعل أيضا (المصطفى) اسم مفعول من الاصطفاء وهو الاختيار فمعناه المختار (الكريم) من الكرم وهو صفة تقتضي الاعطاء لا في نظير شيء أو هو نفس الاعطاء المذكور وقد يراد بالكريم الطيب وهو الأنسب هنا أي فهو طيب الأصل وطيب الخلق وطيب الخلق عليه الصلاة والسلام (و) أفضل الصلاة والتسليم على (آله) المراد بهم في مقام الدعاء كما هنا أتباعه مطلقا وقيل الأتقياء منهم وأما في مقام الزكاة فقال الإمام مالك رضي الله عنه هم بنو هاشم فقط وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه بنو هاشم والمطلب وأصله عند سيبويه أهل قلبت هاؤه همزة ثم الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها كما في آدم وعند الكسائي أول كجمل من آل يئول إذا رجع فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا يضاف إلا لمن له شرف من الذكور العقلاء فلا يقال آل الاسكافي ولا آل فاطمة ولا آل الحسن (و) على (صحبه) اسم جمع لصاحب بمعنى صحابي وهو من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على إيمانه وقيل جمع له ورد بأن فاعلا لا يجمع على فعل فلا يقال في عالم علم وهكذا (الأطهار) إما جمع طاهر على غير قياس لأن فاعلا

(قوله كما يدل عليه التعريف المتقدم) أي حيث قيل فيه أوحي اليه (قوله بمعنى الفاعل) أي فنبيء بمعنى منبئ بكسر الباء أي مخبر لأنه مأمور بالتبليغ والإخبار . إن قلت إنه إن لم يكن رسولا فليس مأمورا بالإخبار فلا تظهر التسمية حينئذ . أجيب بأنه مأمور بإخبار الناس أنه نبي ليحترم (قوله من النبوة) أي فمعنى النبي لغة المرتفع أو الرافع (قوله لما مر) أي في تصريف العلي وما قيل هناك يقال هنا (قوله أو مرتفعها) أي قامت به الرفعة والأظهر أن يقول كما قال غيره فهو مرفوع الرتبة أو رافع لرتبة من اتبعه فهو بمعنى المفعول أو الفاعل لف ونشر مرتب (قوله المصطفى) أصله المصتفى بتاء مثناة فوقية بعد الصاد قلبت طاء للقاعدة المشهورة (قوله فمعناه المختار) أي لما في الحديث الصحيح «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار» (قوله وهو صفة تقتضي الاعطاء) أي فيكون صفة ذات وقوله أو نفس الاعطاء أي فيكون صفة فعل (قوله وهو الأنسب هنا) أي لكونه من الصفات الجامعة (قوله طيب الأصل) أي النسب (قوله وطيب الخلق) بفتح فسكون أي أحسن الناس خلقة وقوله وطيب الخلق بضمتين أي أحسنهم أخلاقا قال تعالى ـ وإنك لعلى خلق عظيم ـ وقال صاحب البردة

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقال العارف : وأجمل منك لم تر قط عيني ... وأحسن منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

(قوله على آله) زاد الشرح على إشارة إلى أنه حذفها من المتن للضرورة لأن ذكرها فيه رد على الشيعة وفيه إشارة إلى تفاوت رتبة الصلاتين (قوله أتباعه) أي في الايمان وقوله مطلقا أي ولو عصاة (قوله وأما في مقام الزكاة) أي مقام حرمة الصدقة على أهل البيت (قوله عند سيبويه) أي والبصريين (قوله قلبت هاؤه همزة) لقرب المخرجين (قوله ثم الهمزة ألفا) إن قلت لم لم تقلب الهاء من أول الأمر ألفا ؟ أجيب بأنه لم يعهد قلب الهاء ألفا لبعد مخرجهما بخلاف قلب الهاء همزة فهو معهود كماء أصله موه تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وقلبت الهاء همزة وكذلك عهد قلب الهمزة ألفا كما في آدم (قوله وعند الكسائي الخ) أي واستدل الأول بتصغيره على أهيل والثاني على أويل . إن قلت إن المصغر فرع المكبر فيلزم عليه الدور . أجيب بأن توقف المصغر على المكبر من حيث الوجود وتوقف المكبر على المصغر من حيث العلم بالأصالة وهو مختلف الجهة فتدبر (قوله ولا يضاف إلا لمن له شرف الخ) أي بخلاف أهل ولذا قال بعضهم يفرق بين الآل والأهل في الاستعمال بوجهين الأول أن الأهل لا يختص بإضافته إلى ذي شرف فيقال أهل الدار أهل الكافر وأما الأول فيختص بإضافته إلى ذي شرف فلا يقال آل الخياط ولا آل الحجام لعدم الشرف وإنما قيل آل فرعون لتصوره بصورة الأشراف أو لشرفه عند قومه . فان قلت إن الآل يصغر والتصغير يدل على التحقير . وأجيب بأن التصغير قد يكون لغير التحقير كالاستلذاذ كما قال سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه : ماقلت حبيبي من التحقير ... بل يعذب اسم المرء بالتصغير

والثاني أن الأهل لا يختص بإضافته إلى العقلاء الذكور والآل يختص بذلك فلا يقال آل مكة ولا آل فاطمة اه (قوله اسم جمع لصاحب) أي عند سيبويه وهو الراجح وقيل جمع له أي نظير ركب وراكب وهو قول الأخفش (قوله لا يجمع على فعل) أي لأن فعلا ليس من أبنية الجمع بل من المصادر

والمفردات (قوله لايجمع على أفعال) أى قياسا وقوله أيضا أى كما أنفاعلا لايجمع على فعل كما تقدم بلصقه (قوله لطهر) بضم فسكون مصدر طهر بفتح فضم ككسن (قوله من باب إطلاق المصدر) أى الذى هوطهور وقوله وإرادة اسم الفاعل أى الذى هو طاهر (قوله كعدل) التشبيه من حيث تأويل المصدرباسم الفاعل (قوله ومعناه المطهرين) كذا قيل بالياء فىالنسخ التى بأيدينا ومقتضى العربية الواو لأنه خبر عن معناه (قوله من عطف الخاص على العام) أى حيث أريد بالآل مطلق الأتباع ولوعصاة أوأتقياء الأمة (قوله لاسيما رفيقه فى الغار) هذه الجملة فى محل جر نعت لما قبلها وقد ترك المصنف الواو من هذا التركيب إما بناء على جواز حذف الواو منها أو للضرورة فقد ذكر شيخنا الأمير فيما كتبه على أبيات لشيخنا العلامة السجاعى متعلقة بلا سيما سنذكرها مانصه وأما الكلام على الواو من حيث الحذف وعدمه فنقول جرى فى الحذف خلاف فذكر ثعلب أنه خطأ ثقلوه مقدمين له على جواز الحذف المنسوب لغيره فظاهر كلامهم ترجيحه انتهى وعلى ثبوت الواو فاختلف فيها فقيل إنها اعتراضية بناء على جواز الاعتراض فىآخر الكلام وعليه فالجملة نعت لماقبلها تابعة له فىالإعراب وقيل حالية وعليه فمحلها نصب أبدا وقيل استئنافية وعليه فلا محل لها من الإعراب (قوله نافية للجنس الخ) فهى عاملة عمل إن تنصب الاسم وترفع الخبر . إن قلت هل يجوز رفع سى على أن لاعاملة عمل ليس وإن كان لم يسمع إلا بالنصب . قلت لايجوز لعدم ملاقاته القصد إذ المراد بقولك ساد العلماء ولاسيما زيد نفى جنس المماثل لزيد بنفى جميع أفراده لاالنفى فى الجملة الصادق بنفى الواحد الذى لاينافى ثبوت الأكثر كما هو مفاد العاملة عمل ليس اه من كلام شيخنا على الأبيات المذكورة (قوله وخبرها محذوف وجوبا) هذا هو المشهور وقيل إن مافى حالة رفع الاسم بعدها خبرها أى ورد بأنه يلزم عليه كف سى عن الإضافة من غير كاف (قوله وأصله سوى) بكسر فسكون فعينه واو ودليله قولهم فى تصريف مادته تساويا وتساوينا ومتساويان وتثنيته سيان واستغنوا بتثنيته عن تثنية سواء فلم يقولوا سواآن إلا شاذا كقوله :

فيارب إن لم تجعل الحب بيننا سواءين فاجعل لى على حبها جلدا

(قوله وأدغمت فى الياء) أى وهذا الادغام على القياس بخلاف سيد كما تقدم التنبيه عليه (قوله مطلقا) أى نكرة أومعرفة (قوله وقد روى بالأوجه الثلاثة قوله ولاسيما الخ) الضمير عائد على امرئ القيس شاعر جاهلى مشهور وقوله ولاسيما عجز بيت وصدره ☆ ألارب يوم صالح لك منهما * وهو بيت من قصيدة له مشهورة من بحر الطويل ومنها :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلى

تقول وقد مال الغبيط بنامعا عقرت بعيرى ياامرأ القيس فانزل

ويوم عقرت للعذارى مطيتى فياعجبا من رحلها المتحمل

وسبب تلك القصيدة أنه كان يهوى بنت عم له يقال لها عنيزة فاتفق أن الحى اجتمعوا وتقدم الرجال وتأخر النساء فلما رأى ذلك امرؤ القيس سار مع الرجال قدرغلوة ثم نزل فى غابة من الأرض حتى وردالنساء الغدير يغتسلن فجاء وهن غوافل وجلس على ثيابهن وحلف لايعطى واحدة ثوبها حتى تخرج متجردة فأبين حتى تعالى النهار فخرجن وقلن له جئتنا فأجعتنا فنحر لهن ناقته فشوينها ولما أردن الرحيل حملت كل واحدة منهن شيئا من متاعه وحملته هوعنيزة فمراده باليوم يوم دخوله خدرعنيزة ودارة جلجل بجيمين اسم لغدير ماء ومعنى مرجلى مصيرى راجلة أى ماشية بسبب هلاك بعيرى (قوله وماموصولة) أى والجملة بعدها صلة لامحل لها من الإعراب (قوله موصوفة بالجملة بعدها) أى فهى

لايجمع على أفعال أيضا فلايقال عالم وأعلام وكامل وأكمال وإما أن يكون جمعا لطهر بمعنى طاهر من باب اطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل كعدل بمعنى عادل ومعناه المطهرين من دنس المعاصى والمخالفات وعطفهم على الآل من عطف الخاص على العام لمزيد شرفهم على غيرهم (لاسيما رفيقه فى الغار) لا من لاسيما نافية للجنس وسى كمثل وزنا ومعنى اسمها وخبرها محذوف وجوبا أى ثابت وأصله سوى فقلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء وسبق احدهمابالسكون وأدغمت فى الياء ويجوز فى الاسم الواقع بعدما الجر والرفع مطلقا والنصب ان كان نكرة وقد روى بالأوجه الثلاثة قوله : ولاسيما يوم بدارة جلجل والجر أرجحها وهو على إضافة سى اليه وما زائدة بينهمامثلهافى أيما الأجلين وأما الرفع فهو على أنه خبر لمبتدإ محذوف وماموصولة أو نكرة موصوفة بالجملة بعدها

والتقدير ولا مثل النبي هو رفيقه ولا مثل شيء هو رفيقه وسي مضاف ومامضاف إليه فعلى كل من وجهي الجر والرفع تكون فتحة سي فتحة إعراب لأن اسم لا النافية للجنس إذا كان مضافا يكون منصوبا وأما نصب النكرة بعدها فعلى التمييز وما كافة عن الإضافة والفتحة فتحة بناء مثلها في لا رجل والمعنى والصلاة والسلام على الصحب لا مثل الرفيق فان الصلاة عليه أتم منها عليهم يعني أطلب ذلك من الله تعالى والمراد برفيقه في الغار أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه خصه بالذكر بعد دخوله في عموم الأصحاب تنويها بعظم شأنه إذ هو شيخ الصحابة وأفضلهم على الإطلاق وفي ذكر مرافقته في الغار إشارة إلى ذلك أيضا

في محل جر (قوله والتقدير الخ) لف ونشر مرتب (قوله هو رفيقه الخ) أي وهذا الضمير مبتدأ عائد على الصلة ورابط الصلة وحذفه هنا ليس بشاذ بل واجب سواء طالت الصلة كما هنا أولم تطل كما في قولهم لاسيما زيد لأن هذا كلام جرى في كثرة الاستعمال مجرى الأمثال فلا يغير عما سمع فيه من الحذف (قوله إذا كان مضافا الخ) ان قلت يلزم منى إضافة اسم لا لما الموصولة عمل لا في معرفة مع أنها لا تعمل إلا في النكرات. أجيب بأن سي كثل متوغلة في الابهام فلا تفيد إضافتها للمعرفة التعريف (قوله وأما نصب النكرة بعدها) أي وأما المعرفة فلا يجوز نصبها عند الجمهور وجوّز بعضهم نصبها بجعل ما كافة ولا سيما بمنزلة إلا الاستثنائية فما بعدها منصوب على الاستثناء كما نقله حواشي الأشموني (قوله والفتحة فتحة بناء) بحث فيه شيخنا الأمير بقوله أقول قد يمنع إفراد سي في هذه الحالة بل هي شبيهة بالمضاف ضرورة أن التمييز الذي اتصل بها شيء من تمام المعنى إلى أن قال وحينئذ ففتحة سي على هذا إعراب وقد نظم شيخنا السجاعي حاصل ماذكره الشارح بقوله :

وما يلي لاسيما ان نكرا فاجرر أوارفع ثم نصبه اذكرا
في الجر مازيدت وفي رفع ألف وصلها قل وتنكير وصف
وعند رفع مبتدا قدر وفي رفع وجر أعربن سي تفي
وانصب مميزا وقل لاسيما يوم بأحوال ثلاث فاعلما
والنصب ان يعرف اسم فامنعا وبعد سي جملة فوقعا
أجاز ذا الرضى ولا تحذف لا من سيما وسي خفف تفضلا
وامنع على الصحيح الاستثنا بها ثم الصلاة للنبيّ ذي البها

(قوله أبو بكر) كنيته والصدّيق لقبه واسمه عبد الله رضي الله عنه وعن سائر الصحابة (قوله تنويها) أي إعلاما (قوله إذ هو) تعليل لما قبله (قوله وأفضلهم على الإطلاق) أي لما في الحديث «ماطلعت الشمس ولاغربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر» (قوله إلى ذلك) أي إلى أفضليته (قوله والغار ثقب الخ) أي ويسمى بغار ثور (قوله حين خرجا من مكة الخ) أي باذن الله تعالى لنبيه في الهجرة . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى عقبة منى في الموسم وهو وقت اجتماع الناس كل سنة يعرض نفسه على قبائل العرب فلقي بعضهم عند العقبة فدعاهم إلى الاسلام فأسلم منهم ستة نفر ثم لقيه في العام القابل اثنا عشر رجلا منهم فأسلموا ثم رجعوا وأظهروا الإسلام في بلدهم ثم قدم في العام القابل نحو سبعين رجلا فبايعهم على أن يمنعوه مما يمنعون عن نسائهم وأبنائهم وعلى حرب الأحمر والأسود أي العرب والعجم ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا شيئا بعد شيء وأقام ينتظر الإذن له فيها فأذن له فخرج من مكة باذن الله ولما أحس قريش بعزمه على الخروج اجتمعوا بدار الندوة فقال بعضهم نحبسه وقال بعضهم

والغار ثقب في أعلى جبل ثور على مسيرة نحو ساعة من مكة دخله النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر حين خرجا مهاجرين من مكة إلى المدينة فذهب المشركون في طلبهما واقتفوا أثرهما حتى جاءوا إلى الغار فانقطع الأثر فجعلوا يفتشون حتى قال بعضهم انظروا الغار فقالوا ليس في الغار أحد ولو نظروا أدنى نظرة لرأوهما فاشتد الكرب على أبي بكر رضي الله عنه خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم لونظروا تحت أقدامهم لرأونا فقال النبي عليه الصلاة والسلام لاتحزن إن الله معنا فأعمى الله تعالى أبصارهم عنهما كما أعمى بصائرهم ، قيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا على فم الغار والعنكبوت فنسجت عليه حتى قال بعضهم مابالكم بالغار ان العنكبوت قد خيمت عليه والحمام قد باض على فمه يعني أنه لايمكن دخولهما الغار والحالة هذه ولا يمكن نسج ولا بيض بعد دخوله وإلى ذلك أشار صاحب البردة بقوله :

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصدّيق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

قوله فالصدق أي صاحب الصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقوله لم يرما أي لم يبرحا ولم ينفكا عنه ومعنى أرم أحد (وهذه عقيدة)

تقتله وقال بعضهم نربطه على ناقة شرود فتعرض لهم إبليس في صورة شيخ نجدى وقال لهم كل منكم يذكر لى رأيه فقال بعضهم نحبسه فقال الله ينتزعه منكم وقال بعضهم نخرجه فقال يأتيكم بما لاطاقة لكم به فقال أبوجهل أرى أن نأخذ من كل قبيلة غلاما قويا فيأخذ كل واحد شفرة فيضربونه جميعا فيتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر ديته متفرقة فقال له إبليس لله درك هذا هو الرأى السديد فأتاه جبريل وأخبره الخبر وقال له لاتبت الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليل على بابه يرقبونه فلم ينم على فراشه وأمر عليا فنام مكانه وأخذ شيئا من التراب في يده وخرج عليهم يتلو سورة يس وألقى التراب على رءوسهم فخطف الله أبصارهم فلم يروه وكل من أصابه شىء من التراب قتل كافرا فأخبرهم إبليس بخروجه وبوضع التراب على رءوسهم فحصل لهم الخزى ولم ينم إبليس أبدا إلا فى تلك الساعة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ليلا إلى غار ثور فاختفيا فيه فلما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم مزيد الكرب وطلبوه في أعلى مكة وأسفلها فلم يجدوه فأرسلوا القافة فى كل جهة تتبع أثره فعرف القائف الأثر فتبعه إلى أن وصل إلى الغار فانقطع الأثر فرجع وأخبر قريشا بذلك فخرج فتيان قريش ومعهم أسلحتهم إلى أن وصلوا إلى فم الغار فوجدوا على فمه فى أسفله حمامتين وحشيتين قد عششتا وباضتا فيه والعنكبوت قد نسج على أعلاه فتحيروا وقالوا ان الغار ليس به أحد لأنه لودخله أحد لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت فقال بعضهم ادخلوا الغار فقال اللعين أمية بن خلف ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وكان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بأن الله يعمى أبصارهم فعميت بمعنى أنهم لم يهتدوا إلى معرفة من فى الغار فصاروا ينظرون يمينا وشمالا حول الغار فلم يجدوا . وورد أن أبا بكر رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان أحدهم لو نظر إلى قدميه لرآنا فقال عليه الصلاة والسلام فما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وهو معنى قوله تعالى إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا وفى رواية ان الله أنبت عليه شجرة أم غيلان فى فم الغار فلم تعلم قريش أن الله ساق بعض مخلوقاته وهو الحمام والعنكبوت وهذه الشجرة حفظا وصيانة لحبيبه فهذا أعظم معجزة كما قال صاحب البردة :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

فمكثا فى الغار ليلة الجمعة أول ليلة من ربيع الأول والسبت والأحد وخرجا أثناء ليلة الاثنين من الغار راكبين ناقتين لأبى بكر وعبد الله بن الأريقط يدل بهما وانظر تمام القصة وبسطها فى شرحنا على الهمزية عند قوله * أخرجوه منها وآواه غار * الخ (قوله عطف على جملة الحمد لله) عطف اسمية على مثلها وهو مناسب إن كان كل منهما خبريا لفظا ومعنى وأما على جعل جملة الحمد إنشائية فلا يجوز إلا أن يراعى الخبرية ولو باعتبار اللفظ فتدبر (قوله واسم الإشارة عائد الخ) هذا أحد احتمالات سبعة مشهورة هو المختار منها ثم ان قلنا ان الذهن يقوم به المفصل فالأمر ظاهر وان قلنا انه لايقوم به المفصل فالكلام على حذف مضاف واحد أى مفصل هذه ان قلنا ان أسماء الكتب من قبيل علم الشخص وان قلنا انها من قبيل علم الجنس فالكلام على حذف مضافين أى مفصل نوع هذه والحق أن الذهن يقوم به المفصل وأسماء الكتب والعلوم من قبيل علم الشخص بناء على أن الشىء لايتعدد بتعدد محله والفرق تحكم فلا حاجة لتقدير شىء أصلا (قوله على العبارات المتعلقة ذهنا) أى وهو الكلام النفسى المخيل على هيئة الخارج (قوله المحسوس بالبصر) أى مثلا فالمحسوس بباقى الحواس مثله على التحقيق (قوله فأطلق عليها لفظ الإشارة الخ) أى ففى الكلام استعارة تصريحية أصلية حيث شبه مافى الذهن بالمحسوس خارجا بجامع كمال الاستحضار فى كل واستعير المشبه به للمشبه هذا هو المشهور وذهب المولوى فى تعريف

عطف على جملة الحمد لله واسم الإشارة عائد على العبارات المتعلقة ذهنا نزلها منزلة الحاضر المحسوس بالبصر فأطلق عليها لفظ الإشارة الموضوع لكل حاضر محسوس واختار اللفظ الموضوع للقريب للتنبيه على أنها قريبة التناول سهلة الحصول

ولذا الخبر مع أنها فى نفسها عقائد كثيرة (سنيه) نسبة الى السنا بالقصر وهو النور يعنى أنها واضحة الدلالة على معانيها (سميتها الخريدة البهيه) الجملة صفة عقيدة والخريدة فى الأصل اللؤلؤة التى لم تثقب والبهية نعت الخريدة والبها الضياء واستعار لها هذا الاسم ليطابق الاسم المسمى ثم ذكر من نعوتها أيضا مايقتضى الرغبة فى تناولها

فقال هى (لطيفة) من اللطف وهو ضد الكثافة من لطف ككرم دق أو رق فاللطف الصغير الحجم والرقيق القوام أو الشفاف الذى لا يحجب ماوراءه كالزجاج فإذا أطلق بهذا المعنى على الله تعالى فمعناه العالم بخفيات الأمور لما مر من أن اللفظ إذا أوهم خلاف المراد فى حقه تعالى يراد منه لازمه وأما لطف كنصر فمعناه أحسن وأنعم ومعناه فى حقه تعالى ظاهر أى المحسن المنعم على عباده وبهذا علمت وجه من فسر اللطيف بالعالم بخفيات الأمور ووجه من فسره بالبر المحسن لعباده والمراد هنا أنها قليلة الألفاظ أو سلسة الألفاظ أو واضحتها والكل صحيح وعلى الأول فقوله (صغيرة فى الحجم) أى القدر وصف كاشف أبياتها أحد وسبعون بيتا ، ولما كان هذا الوصف يوهم أنها قليلة العلم استدرك عليه بأن رفع هذا التوهم بقوله (لكنها كبيرة) أى عظيمة (فى العلم) أى المعانى المدلولة لها وذلك لأنها اشتملت على بيان مايجب لله تعالى ومايستحيل ومايجوز وعلى مثل ذلك فى حق رسله عليهم الصلاة والسلام وعلى البراهين القطعية التى يخرج بها المكلف من ربقة التقليد إلى نور التحقيق حتى لا يكون فى إيمانه خلاف وسيأتى بيان الخلاف فى إيمان المقلد إن شاء الله تعالى وعلى الرد على أهل الضلال تصريحا تارة وتلويحا أخرى

الرسالة الفارسية إلى أنها تبعية لأن اسم الإشارة يتضمن معنى الحرف والاستعارة فى معنى الحرف تبعية وردّ بأنه لايلزم من كون الشىء بمعنى الشىء أنه يعطى حكمه وبهذا يرد قول العصام إنها تبعية لأن اسم الإشارة مؤول بالمشتق لأنه فى تأويل مشار اليه تأمل (قوله ولذا أفرد الخبر) تعليل لما قبله وقوله مع أنها فى نفسها عقائد كثيرة أى فأطلق البعض وأراد الكل مجازا مرسلا والعلاقة الجزئية (قوله وهو النور) أى ويعبر عنه بالضياء قال تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (قوله الجملة صفة عقيدة) أى جملة سميتها الخ وهو نعت بالجملة بعد النعت بالمفرد فإن سنية نعت أول وهو مفرد نظير قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى الخ (قوله والبها الضياء) أى ويطلق على الحسن والجمال وهو الأنسب بالمقام وإن كان الأول مناسبا أيضا (قوله واستعار لها هذا الاسم) أى فقد شبه كتابه هذا باللؤلؤة مضيئة لم تثقب بجامع النفاسة فى كل واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية (قوله هى لطيفة) قدر الضمير إشارة إلى أن لطيفة خبر مبتدإ محذوف فهو نعت مقطوع لئلا يتوهم أن تلك الأوصاف المذكورة بعد من جملة الاسم (قوله دق) أى صغر حجمه وقوله أو رق ضد غلظ (قوله الصغير الحجم) راجع لدق وقوله أو الرقيق القوام راجع لرق وقوله والشفاف لم يبين مايرجع له فحقه أن يقول بعد قوله أو رق أو شف فيكون فى الكلام لف ونشر مرتب والمعانى متغايرة فإنه لايلزم من الصغر الرقة ولا من الرقة الشفافية ولا من الشفافية الصغر (قوله إذا أوهم خلاف المراد) أى وهذه المعانى مستحيلة على الله تعالى فوصفه باللطف من حيث تعلق علمه بهذه المعانى فإن خفيات الأمور إما صغيرة الحجم أو رقيقة القوام أو شفافة (قوله وأما لطف) جملة مستأنفة مقابلة لقوله من لطف وفعل الأول لازم والثانى متعد (قوله وبهذا علمت وجه من فسر الخ) الوجه الأخذ والدليل (قوله إنها قليلة الألفاظ) راجع لصغر الحجم وقوله أو سلسة الألفاظ راجع لرقة القوام وقوله أو واضحتها راجع للشفافية (قوله بأن رفع هذا التوهم) تصوير لمعنى الاستدراك لأن الاستدراك عبارة يؤتى بها لرفع مايتوهم ثبوته أو نفيه (قوله المدلولة لها) الضمير عائد على العقيدة باعتبار كونها ألفاظا (قوله وذلك) شروع فى توجيه كونها كبيرة فى العلم (قوله وعلى مثل ذلك) المماثلة فى مطلق وجوب واستحالة وجواز لا فى حقيقة كل لوجوب التباين بين أوصاف الحادث والقديم (قوله وعلى البراهين القطعية) أى نقلية أو عقلية (قوله بها) أى بسببها (قوله إلى نور التحقيق) الإضافة إما بيانية أو إضافة المشبه به للمشبه والتحقيق عندهم ذكر الشىء على الوجه الحق (قوله حتى لا يكون الخ) غاية لقوله يخرج (قوله فى إيمان المقلد) أى هل هو صحيح أم لا (قوله على أهل الضلال) أى العقائد التى تخالف أهل السنة كفروا بها أم لا (قوله تصريحا تارة) أى كما فى قوله :

ومن يقل بالطبع أو بالعله   فذاك كفر عند أهل الله
ومن يقل بالقوة المودعة   فذاك بدعى فلا تلتفت
ومن يقل فعل الصلاح وجبا   على الإله قد أساء الأدبا

وقوله وتلويحا أخرى أى كما فى قوله :

ثم اعلمن بأن هذا العالم   أى ماسوى الله العلى العالم   من غير شك حادث مفتقر الخ

وعلى السمعيات وعلى شيء من التصوف الذى هوحياة النفوس كماسترى ذلك كله إنشاء الله تعالى مفصلا ولذا قال مستأنفا فى جواب سؤال مقدر نشأ مما قبله تقديره هل تكفى هذه العقيدة المكلف فى دينه كما يدل عليه هذا الوصف الذى قدمته أوهذا من باب المبالغة (تكفيك علما) تمييز محول عن الفاعل أى يكفيك العلم المستفاد منها فى دينك (إن ترد أن تكتفى .) أى بها عن غيرها من المطولات وذلك (لأنها بزبدة) أى بخلاصة ومحصل (الفن) المؤلفة هى فيه وهو فن عقائد الإيمان ؛ ويسمى علم التوحيد وعلم أصول الدين وعلم العقائد وهو علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية وموضوعه ذات الإله تعالى وقيل الممكنات وقيل غير ذلك .

(قوله وعلى السمعيات) أى التى تتوقف على سمع ونقل مما ليس للعقل فيها مجال كقوله : ☆ ويلزم الإيمان بالحساب ☆ الخ (قوله وعلى شيء من التصوف) أى من فن التصوف (قوله الذى هو حياة النفوس) أى الأرواح (قوله كماسترى ذلك) أى تعلمه بل وزاد على ماقال الشارح الحكم العقلى وأقسامه (قوله أوهذا) مقابل قوله وتكفى الخ فقد أتى لهل بمعادل إجراء لها مجرى همزة الاستفهام وإلا فهل لايؤتى لها بمعادل لأنها لطلب التصديق (قوله تكفيك علما) إسناد الكفاية لها مجاز (قوله إن ترد أن تكتفى) إن حرف شرط وترد فعل الشرط وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لترد وجواب الشرط محذوف دل عليه الجملة قبله . والمعنى إن ترد أن تقتصر ومفهومه أن من يريد الزيادة فى العلم على أصل الواجب عليه فلا تكفيه بل لابد له من المطولات وهو كذلك (قوله وذلك) قدر اسم الإشارة دخولا على التعليل وإيضاحا له (قوله أى بخلاصة الخ) ففى الكلام مجاز مرسل حيث أطلق الزبدة التى هى خلاصة اللبن وأريد منها خلاصة الفن (قوله ويسمى علم التوحيد) أى ويسمى أيضا علم الكلام ووجه تسميته بهذه الأسماء ظاهر وهو أحد المبادى العشرة التى لابد لكل شارع فى فن من معرفتها وإلا كان شروعه عبثا ذكر الشارح منها أربعة وهى الاسم والحد والموضوع والغاية وبقى واضعه وحكمه ونسبته ومسائله واستمداده وفائدته ؛ فواضعه الاشاعرة والماتريدية أى الذين دونوا كتبه وردوا على فرق الضلال وإلا فالتوحيد جاء به كل نبى من آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وحكمه الوجوب العينى على كل مكلف بالدليل ولو إجماليا والكفائى بخصوص التفصيلى ، ونسبته أنه أصل العلوم الدينية وماسواه فرع ، ومسائله الواجبات والمستحيلات والجائزات ، واستمداده من الكتاب والسنة والعقل ، وفائدته معرفة العقائد الصحيحة والفاسدة (قوله وهو علم) أى وحده علم الخ والمراد بالعلم هنا القواعد والضوابط لا الملكة ولا الإدراك (قوله يقتدر) أى يتقوى به (قوله الدينية) أى المنسوبة للدين الحق وقوله المكتسبة من أدلتها الخ أى التى أنتجتها الأدلة اليقينية واليقينية منسوبة لليقين والمراد الأدلة العقلية والنقلية (قوله وموضوعه ذات الإله) أى موضوع هذا العلم ذات الإله من حيث إثبات الصفات الكمالية والتنزيهية بأن تجعل ذات الإله موضوعا تحمل عليه الصفات بحيث تقول ذات الإله يجب لها الوجود والقدم والقدرة إلى آخرها فيكون المراد بالموضوع المصطلح عليه عند المناطقة المعبر عنه بالمسند إليه عند البيانيين وبالمبتدا عند النحويين فموضوع كل فن مايبحث فيه عن عوارضه الذاتية وإن كان التعبير بالعوارض فى هذا الفن تسمحا إذ المراد منها هنا صفاته تعالى ويستحيل وصفها بالعوارض إذ هى من سمات الحوادث وهى مستحيلة على ذاته تعالى وعلى صفاته وقولنا عوارضه أى الأمور التى تعرض له .وتطرأ عليه كالتعجب والفرح والحزن وغيرها مما يعرض للإنسان وقولنا الذاتية نسبة للذات ومعنى كونها ذاتية أنها لازمة للذات بالفعل أوبالقوة لاتنفك عنها نخرج غير الذاتية كحركة الأبيض بواسطة كونه حيوانا وذلك أن كونه حيوانا خارج عن حقيقته (قوله وقيل الممكنات) أى قيل إن موضوع هذا العلم الممكنات من حيث دلالتها على موجدها واتصافه بالصفات الكمالية والتنزيهية وبيان كون الممكنات موضوعا أن تقول الممكنات حادثة وكل حادث له محدث ثم هذا المحدث لابد أن يكون موجودا قديما إلى آخر الصفات (قوله وقيل غير ذلك) المراد بهذا الغير المعلومات موجودة أو معدومة فيشمل الواجبات والجائزات والمستحيلات بحيث تقول الصفات الواجبة ثابتة لله وتقول فى الجائزات الممكنات حادثة وكل حادث لابد له من محدث ثم تنقل الكلام الى المحدث من حيث وجوده وقدمه الخ وتقول فى المستحيلات النقص مستحيل عليه تعالى وهكذا

وهذا

وغايته معرفة الله سبحانه وتعالى والفوز بالسعادة الأبدية (تفى) أى توفى به لما تقدم (والله أرجو) قدم الاسم الأعظم لإفادة الاختصاص إذ تقديم المعمول يفيد ذلك أى لا أرجو إلا الله تعالى والرجاء تعلق القلب بحصول مرغوب فيه فى المستقبل مع الأخذ فى الأسباب وهو ممدوح شرعا فان لم يأخذ فى الأسباب فطمع وهو مذموم شرعا (فى قبول العمل) الذى منه تأليف هذه العقيدة وقبول الشىء الرضا به وعدم رده (و) أرجوه تعالى (النفع) هو ضد الضر (منها) أى من هذه العقيدة أى بها أى أرجوه تعالى أن ينفع بها كل من قرأها أوطالعها وحصلها أوكتبها ويصح أن تكون من ابتدائية وهى ومجرورها حال من النفع أى حال كون النفع حاصلا وناشئا منها (ثم) أى وأرجوه (غفر) أى ستر (الزلل) جمع زلة بالفتح مصدر زل بفتح الزاى أيضا يزل بكسرها يعنى المعاصى وسترها صادق بمحوها من الصحف وبعدم المؤاخذة بها وإن كانت موجودة فيها وورد فى السنة مايدل لكل والرجو من سعة كرمه تعالى الأول ولما كانت مباحث هذا الفن تتوقف على معرفة أقسام الحكم العقلى الثلاثة أعنى الوجوب والاستحالة والجواز بدأ ببيانها فقال (أقسام حكم العقل) مبتدأ خبره محذوف أى ثلاثة يدل عليه قوله الآتى ثالث الأقسام وجملة هى الوجوب الخ استئنافية لبيان الأقسام ويصح أن تكون هى الخبر والأقسام

وهذا القول الثالث أرجح لأنه يشمل الأقسام الثلاثة ويشمل الموجودات والمعدومات ومايتعلق بالرسل من واجب وجائز ومستحيل ويشمل أيضا المسموعات من البعث والنشر والحشر وغير ذلك من كل ماأخبر به الصادق المصدوق كذا قرره مؤلفه (قوله وغايته معرفة الخ) أى فله غايتان غاية دنيوية وغاية أخروية (قوله أى توفى) أشار بذلك إلى أن عين الكلمة محذوفة وهى الواو لوقوعها بين عدوتيها كما هو معلوم (قوله لما تقدم) أى من تبيين الشارح ماحوت عليه (قوله الاسم الأعظم) أى الذى هو لفظ الجلالة على التحقيق (قوله إذ تقديم المعمول الخ) تعليل لما قبله (قوله مرغوب فيه) أى من خير الدنيا والآخرة (قوله وهو مذموم) أى شرعا لأن حكمة الله تعالى اقتضت ترتب الأشياء على أسبابها فمن أنكر الأسباب فهو جهول (قوله فى قبول العمل) فى زائدة بدليل عطف النفع بالنصب على قبول (قوله الرضا به وعدم رده) هذا المعنى فى حق الحوادث وأما فى حق المولى فمعنى رضاه به إثابته عليه (قوله هو ضد الضر) أى وهو إيصال الخير للغير والضر إيصال الشر للغير (قوله أى بها) أى فمن بمعنى باء التعدية (قوله كل من قرأها) بين بهذا معمول النفع وقوله من قرأها أى حفظا وقوله أوطالعها أى تعليما أوتعلما وقوله أوحصلها أى بملك وقوله أوكتبها أى لنفسه أوغير ذلك ولو بأجرة وهذه الدعوة وإن كانت لمن يتعاطى المتن فمع الشرح أحرى بذلك لما تقدم أنه دعا لمن يتلقى الشرح بقلب سليم (قوله ويصح أن تكون من ابتدائية) مقابل لجعلها بمعنى الباء والمآل واحد (قوله ثم غفر الزلل) ثم لمجرد الإخبار والعطف ولذا فسرها بالواو (قوله جمع زلة) ان قلت ان الزلل بفتح الزاى فى الأصل الزلق فى الطين ونحوه فيكون مصدرا لا جمعا فالأحسن حذف قوله جمع زلة وأما ضبطه بكسر الزاى فجمع زلة بالكسر أيضا لقول ابن مالك ولفعلة فعل (قوله يعنى المعاصى) الأوضح أن يقول يعنى العصيان وفى كلامه استعارة تصريحية بأن يقال شبه الوقوع فى العصيان والمخالفات بالزلق فى الطين ونحوه واستعير اسم المشبه به للمشبه والجامع بينهما النقص فى كل لأن من زلق فى الطين نقص فى الحس ومن عصى الله نقص فى المعنى (قوله وورد فى السنة الخ) أى ففى الحديث وأتبع السيئة الحسنة تمحها وفى الحديث ان الله تعالى يضع كنفه على عبده يوم القيامة ويخبره بجميع ماوقع منه ثم يقول له هذه ذنوبك سترتها عليك والآن أغفرها لك (قوله والمرجو من سعة كرمه تعالى الأول) أى لما فى الثانى من صعوبة الوقوف بين يدى الله وذكر المساوى له وهو هول عظيم (قوله مباحث هذا الفن) جمع مبحث وهو محل البحث وذلك المحل هو القضايا التى يبحث فيها عن تحصيل العلم المقصود بالذات وأما البحث فهو لغة التفتيش واصطلاحا إثبات المحمولات للموضوعات (قوله تتوقف الخ) اعلم أن معرفة هذه الأقسام الثلاثة لاتسمى مقدمة علم لأن مقدمة العلم تكون عامة فى كل علم كالمبادى العشرة وإنما تسمى مقدمة كتاب وهى ماقدمت أمام المقصود بالذات لارتباط له بها وانتفاع بها فيه لأن أقسام الحكم العقلى مخصوصة بالكتب المؤلفة فى هذا الفن (قوله حكم العقل) نسبته للعقل من نسبة الشىء لآلته أى فالحكم آلته العقل والحاكم هو النفس فقول الشارح والحاكم به اما العقل الخ فيه تسمح بل الحاكم النفس بواسطة ذلك وتقييد الحكم بالعقل لإخراج الحكم الشرعى والعادى فانهما لاينحصران فى الأمور الثلاثة المذكورة وإنما اقتصر المصنف كغيره من المتكلمين على الحكم العقلى لأن مباحث هذا الفن لاتخرج عنه وإنما ذكر الشارح الشرعى لأن أصل التكليف به معرفة وغيرها وأدلة بعض الصفات كذلك كالسمع والبصر والكلام وذكر العادى تتميما للأقسام (قوله يدل عليه) أى على خصوص تقديره ثلاثة (قوله استئنافية) أى استئنافا بيانيا لوقوعها فى جواب

جمع قسم بكسر فسكون وهو ما اندرج مع غيره تحت كل أو كلى والكل ماتركب من جوهرين فأكثر والكلى ماصدق على كثير ويسمى المندرج تحت الكل جزءا وبعضا والمندرج تحت الكلى جزئيا ويسمى مورد القسمة وهو الكل أو الكلى مقسما بفتح فسكون فكسر والتقسيم التمييز والتفصيل أى جعل الشىء أقساما وعلامة تقسيم الكل إلى أجزائه صحة انحلاله إلى الأجزاء التى تركب منها وعدم صحة حمل المقسم على الأقسام وعلامة تقسيم الكلى إلى جزئياته صحة حمل المقسم على كل من الأقسام نحو زيد إنسان وعمرو إنسان والحكم اماشرعى وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع وإما غيره وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه والحاكم به إما العقل

سؤال مقدر تقديره ماهى (قوله جمع قسم بكسر فسكون) احترز به عن الفتح مع السكون فانه مصدر قسم والتقسيم أبلغ منه إذ الأول صادق بجعل الشىء قسمين والثانى نص فى الكثرة وأما القسم بفتحتين فهو الحلف واليمين (قوله تحت كل) أى كالحصير اندرج تحته الخيط والسمر وقوله أو كلى كالإنسان اندرج تحته زيد وعمرو وبكر (قوله ماتركب من جوهرين فأكثر) أى مثل الحصير وذات الشخص (قوله ماصدق على كثير) أى متفق الحقيقة أو مختلفها فيشمل الجنس والنوع وغيرهما نحو حيوان وإنسان وناطق وضاحك وماش (قوله ويسمى المندرج الخ) أى فى اصطلاح المناطقة (قوله ويسمى مورد القسمة) أى محل ورودها وهو منشأ الأقسام (قوله والتفصيل) عطف تفسير (قوله صحة انحلاله) أى تفصيله بأن تحل الحصير إلى خيط وسمر بحيث يكون كل منهما على حدته (قوله وعدم صحة الخ) معطوف على صحة أى لا يصح الاخبار بالمقسم عن أحد الأقسام فلا تقول الخيط حصير ولا اليد أو الرجل إنسان مثلا (قوله نحو زيد إنسان) أى فزيد مثلا جزئى من جزئيات الإنسان لا جزء (قوله والحكم اماشرعى) أى من حيث هو (قوله خطاب الله) أى كلامه تعالى المخاطب به من اطلاق المصدر وارادة اسم المفعول وليس باقيا على مصدريته من أنه توجيه الكلام إلى مخاطب لعدم صحته هنا لأنه تعريف للأزلى وهذا كالجنس فيدخل فيه كلامه تعالى المتعلق بغير أفعال المكلفين كالمتعلق بذواتهم والمتعلق بذاته تعالى وصفاته وأفعاله وقوله المتعلق بأفعال المكلفين كالفصل خرج به المتعلق بغير أفعالهم فلا يسمى حكما شرعيا والمراد تعلق دلالة لا تعلق تأثير ولا انكشاف وقوله بالطلب الباء للملابسة متعلقة بخطاب من ملابسة ماهو كالكلى لما هو كجزئيه والطلب شامل لأقسامه الأربعة إذ هو اما طلب فعل أو ترك وفى كل اما جازم أو غير جازم وقوله أو الإباحة معطوف على الطلب وقوله والوضع لهما معطوف على الإباحة والضمير فى لهما عائد على الطلب والإباحة والوضع جعل الشىء شرطا أو سببا أو مانعا أو صحيحا أو فاسدا وحدودها مشهورة فمثال السبب بالنسبة للصلاة دخول الوقت والشرط كالطهارة والمانع كالحيض والصحة موافقتها الشرع باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع والفساد ضده فتحصل أن الشرعى أقسامه عشرة خمسة تكليفية وخمسة وضعية (قوله وأما غيره) مقابل قوله اماشرعى (قوله وهو إثبات الخ) اعلم أن الحكم له اطلاقات منها خطاب الله ومنها النسبة الحكمية كثبوت القيام لزيد فى زيد قائم ومنها المحكوم عليه كزيد فى المثال ومنها المحكوم به كالقيام فى المثال ومنها إثبات أمر وهو المراد هنا فقوله إثبات أمر لأمر كاثبات القيام لزيد فى زيد قائم (قوله أو نفيه عنه) أى عن أمر والتبادر أن الضمير فى نفيه عائد على الأمر المقيد بالإثبات وحينئذ فلا يشمل التعريف ما إذا نفى أمر من أول وهلة من غير تقدم إثبات كأن تقول ابتداء زيد ليس بقائم والجواب أن الضمير عائد على الأمر لا بالقيد المتقدم وليس من قبيل عندى درهم ونصفه لأن قوله ونصفه لا يصح عوده على الدرهم السابق ولا على مطلق الدرهم الصادق بالأول كاهنا وإنما تعين فيه عود الضمير لدرهم آخر غير السابق وأو فى التعريف ليست للشك لأنها لا تدخل فى التعريف رسما كان أو حدا لأن الشك لا يجامع التصور جزما الذى هو المقصود من التعريف وإنما هى للتنويع وأو التى للتنويع تدخل فى الرسم دون الحد لأنه يلزم على دخولها فى الحد كون الفصل مساويا لماهيته وأخص منها لأن الفصل الواقع فى الحد مساو للماهية قطعا فحيث ذكر فصل آخر يقوم مقامه توجد معه الماهية لزم أن تكون الماهية أعم منه والفرض مساواته لها (قوله والحاكم به) أى بالحكم لا بالمعنى المذكور كما هو ظاهر بل بمعنى المحكوم به ففيه استخدام ويصح أن يكون الضمير عائدا على الأمر أى والحاكم بالأمر المثبت لغيره وهو المحكوم به (قوله اما العقل) فيه مجاز عقلى لأن الحاكم النفس كما علمت

(قوله

وإما العادة فان كانت العادة فعادى والحكم العادى اثبات أمر لأمر أونفيه عنه بواسطة التكرر بينهما على الحس كاثبات أن النار محرقة وأن الطعام يشبع وليس المراد من هذا أن النار مثلا هى المؤثرة إذ التأثير لادلالة للعادة عليه أصـلا وإنما غاية مادلت عليه العادة الربط بين أمرين أما تعيين فاعل ذلك فليس للعادة فيه مدخل ولا منها يتلقى علم ذلك كما قاله الإمام السنوسى رحمه الله تعالى وسيأتى فى عقد الوحدانية مايتعلق باعتقاد ذلك . وإن كان العقل فعقلى وهو اثبات أمر لأمر أونفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا استناد إلى شرع وخرج بهذا القيد الأخير حكم الفقيه المستند الى الشرع كاثبات الوجوب للصلاة المستند الى خطاب الله تعالى فخرج بقوله حكم العقل الحكم الشرعى والعادى والعقل سر روحانى تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية ومحله القلب ونوره فى الدماغ وابتداؤه من حين نفخ الروح فى الجنين وأول كماله البلوغ ولذا كان التكليف بالبلوغ هذا هو الصحيح الذى عليه مالك والشافعى رضى الله عنهما وهو مراد من قال هو لطيفة ربانية تدرك به النفس الخ وقيل هو قوة للنفس معدة لا كتساب الآراء أى الاعتقادات وقيل هو من قبيل العلوم قال القاضى هو بعض العلوم الضرورية

(قوله وإما العادة) هى ماعتاده الناس وفيه مجاز الحذف أى أهلها أومجاز عقلى وإلا فالعادة ليست حاكمة وإنما الحاكم أهلها (قوله والحكم العادى اثبات أمر لأمر) المراد به هنا إدراك ثبوت المحمول للموضوع أونفيه عنه الأمر الأول هو المحمول والثانى هو الموضوع فالصور أربع ربط وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الأكل وربط عدم بعدم كربط عدم الشبع بعدم الأكل وربط وجود بعدم كربط وجود الجوع بعدم الأكل وربط عدم بوجود كربط عدم الجوع بالأكل (قوله بواسطة التكرر) الإضافة للبيان والباء بمعنى مع والتكرر يتحقق بمرتين فإذا قيل اللحم الضانى يزكى الفهم فإن تكرر ذلك مرتين فهو حكم عادى وأما إن حصل مرة فلايقال له حكم عادى (قوله على الحس) متعلق بتكرر والمراد بالحس مايشمل الظاهرى والباطنى فربط الاحراق بالنار أى اقترانها يتكرر على الحس الظاهرى وربط الجوع بعدم الأكل يتكرر على الحس الباطنى وهو المسمى بالوجدان . فان قلت كيف يحس العدم . قلت إنه يحس باعتبار إضافته للوجود (قوله وإنما غاية مادلت عليه العادة الخ) أى إن غاية ماتفيده العادة الاقتران بين النار والاحراق ولم يفد تأثيرها هى أوغيرها فيه فتعيين المؤثر فى الاحراق لم يستفد من العادة هذا كلامه وبحث فيه بل الذى يستفاد من العادة هو ثبوت الاحراق للنار وكون ذلك من حيث إن النار سبب فيه أومؤثرة فيه فشىء آخر فأهل السنة يقولون ثبوت الاحراق لها من حيث إنها سبب وغيرهم يقولون من حيث إنها مؤثرة (قوله ولامنها يتلقى الخ) أى لأنه لايتلقى ولايستفاد علم الفاعل حقيقة من العادة بل غاية مايتلقى منها هو ماقدمناه من الاقتران بين الأمرين على ماذكره (قوله وسيأتى فى عقد الوحدانية) أى عند قوله : فالتأثير ليس إلا * للواحد القهار جل وعلا . الخ (قوله وهو اثبات أمر لأمر) أى لزوما أوغير لزوم فالأول كاثبات الواجبات لله والثانى كاثبات خلق الخير والشر لله فإنه جائز فى حقه تعالى لالازم له وقوله أونفيه عنه إما لزوما أيضا أوغير لزوم فالأول كنفى النقص عن الله والثانى كنفى إثابة العاصى عن الله (قوله من غير توقف على تكرار) أى فإذا حكم بأن شرب القهوة أوأكل الضأن يزكى الفهم حين استعماله لذلك أول مرة كان ذلك الحكم عقليا وأما إذا حكم بذلك بعد استعماله مرتين فأكثر كان الحكم عاديا (قوله سر روحانى) أى من قبيل الأرواح التى هى أجسام لطيفة جوهرية لاعرضية كما هو الحق الذى تدل عليه الأخبار الصحيحة من أن الأرواح أجسام لطيفة تبقى بعد فناء جسدها وتذهب وتجىء فاما فى عليين وإما فى سجين ومعنى كون العقل من قبيل الأرواح أنه من الأمور الملكوتية (قوله ومحله القلب) أى ولا استحالة فى حلول جوهر فى جوهر إذا كانا لطيفين أو أحدهما والمراد بالقلب هنا اللحمة الصنوبرية الشكل ويطلق أيضا على نفس العقل كما فى قوله تعالى لمن كان له قلب (قوله هـذا هو الصحيح) اسم الإشارة عائد على جميع ماقبله من أنه جوهر وأن محله القلب ومن أن ابتداءه من نفخ الروح فيه ومن أن أول كماله البلوغ (قوله وقيل هو قوة للنفس) هو معنى قولهم النفس الناطقة أى المتفكرة بالقوة (قوله معدة) اسم مفعول أى مهيأة (قوله أى الاعتقادات) أى المسائل التى شأنها أن تعتقد (قوله وقيل هو من قبيل العلوم) أى بدليل أن الحيوان الذى لاعلم عنده كالفرس والحمار لاعقل عنده (قوله هو بعض العلوم الضرورية) أى كلها لأن العلوم الضرورية كثيرة منتشرة فى سائر العقلاء فى جميع الأمكنة ومن المعلوم أن هناك علوما ضرورية عند بعض العقلاء دون بعض فلو أريد جميع الضروريات للزم أن بعض العقلاء الذى لم يعرف بعضها ليس بعاقل وليس كذلك

وهو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات ومجارى العادات كالعلم بوجوب افتقار الأثر إلى المؤثر والعلم باستحالة اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين وهذا تفسير لقول من قال هو العلم ببعض الضروريات وعلى هذين القولين فهو من قبيل العرض وقوله (لامحالة) أى لاتحول ولاانفكاك عن كونها ثلاثة يعنى أنها ثلاثة لاأقل ولا أكثر هذا على الإعراب الأول وأما على الثانى فالمعنى أنها هى هذه بعينها لاغيرها (هى الوجوب) أى وماعطف عليه وهو عدم قبول الانتفاء (ثم الاستحاله) بالدرج للوزن وهى عدم قبول الثبوت (ثم الجواز) وهو (ثالث الأقسام) وهى قبول الثبوت والانتفاء وستتضح معانيها زيادة إيضاح فى تعريف الواجب والمستحيل والجائز وكلمة ثم هنا وفى سائر مايأتى لمجرد الترتيب فى الذكر والتدرج فى مدارج الارتقاء بذكر ماهو الأولى فالأولى دون اعتبار تراخ بين المتعاطفين ولابعدية فى الزمان . فان قلت تقسيم الحكم العقلى إلى الوجوب والاستحالة والجواز لايصح أن يكون من تقسيم الكل إلى أجزائه إذ لاينحل الحكم العقلى إليها ولامن تقسيم الكلى إلى جزئياته لأنه لايصح حمله على كل منها إذ لاشىء منها بحكم عقلى لماص من تفسير الحكم بإثبات أمر لأمر أونفيه عنه . والحاصل أنا لانسلم أنها أقسام للحكم لأن الحكم إما إدراك وقوع النسبة أو لاوقوعها فيكون كيفية وصفة النفس كما هو التحقيق وأما ايقاع أوانتزاع فيكون فعلا من أفعال النفس وأيا ما كان فهو بسيط فلا يكون الأحسن مركبا حتى يكون من الأول وليست هذه جزئياته حتى يكون من الثانى . قلت ان فى عباراتهم هذه مسامحة والمراد أن كل ماحكم به العقل من إثبات أونفى لايخرج عن اتصافه بواحد من هذه الثلاثة فلما كان لايخرج عن اتصافه بها جعلوها أقساما له تجوزا (فافهم) أى اعرف هذه الأقسام الثلاثة حق معرفتها لأن على معرفتها مدار الإيمان بالله تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام (منحت) أى أعطيت أى أعطاك الله تعالى (لذة) أى حلاوة (الأفهام) بفتح الهمزة جمع فهم وهو الإدراك أى العلم والمعرفة فان من أعطى لذة العلوم والمعارف فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة (وواجب شرعا) أى وجوب شرع

(قوله وهو العلم بوجوب الواجبات الخ) والمراد العلم بأن هناك أمورا لابد منها ولا انفكاك عنها وبأن هناك أمورا أخر لاتتأتى ولا تقع وأن هناك أمورا يصح وقوعها وعدم وقوعها وإلا لأخرج كثير من الناس الذين لايعرفون حقيقة الواجب والمستحيل والجائز عن كونهم عقلاء ولا قائل به (قوله ومجارى العادات) أى وكالعلم بالأمور التى جرت بها العادة بين الناس من أن النار محرقة والأكل مشبع والماء مرو (قوله وهذا) أى قول القاضى وقوله وعلى هذين القولين أى القول بأنه قوة للنفس والقول بأنه من قبيل العلوم (قوله هذا على الاعراب الأول) أى وهو كون أقسام مبتدأ خبره محذوف وقوله وأما على الثانى أى وهو كون الخبر جملة هى الوجوب فقوله لامحالة مقدمة من تأخير لأن محله بعد قوله * ثم الجواز ثالث الأقسام * (قوله أى وماعطف عليه) أى فيكون لاحظ العطف قبل الإخبار فصح الإخبار عن ضمير الجمع وهو لفظ هى فانه عائد على الأقسام (قوله وهو عدم قبول الانتفاء) أى وحينئذ فالوجوب صفة سلبية وكذا الاستحالة بخلاف الجواز فانه صفة ثبوتية أى اعتبارية (قوله لمجرد الترتيب فى الذكر) أى فى الواقع إذ رتبة الجواز التقدم على الاستحالة إذ هو أشرف منها والوجوب أشرف منه (قوله والتدرج فى مدارج الارتقاء) أى الصعود بذكر ماهو الأولى فالأولى أى فذكر الوجوب أولا لأنه أشرف الثلاثة ثم ثنى بالاستحالة وقدمها على الجواز لأن الأولى تقديمها عليه لكونها ضد الوجوب والضد أقرب خطورا بالبال من غيره وأخر الجواز لكونه مركبا ومدلول الاستحالة بسيطا والمركب مؤخر عن البسيط لكون البسيط جزء المركب والمركب مؤخر عن جزئه (قوله لأنه لايصح حمله) أى الإخبار به عن كل منهما (قوله والحاصل) أى حاصل السؤال الوارد مع زيادة بيان وتوضيح (قوله أما إدراك وقوع النسبة الخ) أى وهو المعبر عنه بالتصديق (قوله قلت) أى فى الجواب عن هذا السؤال وقوله ان فى عباراتهم فيه إشارة إلى أن هذه العبارة للمتقدمين وليست مبتكرة من عنده أى وحيث كانت لهم فينبغى تأويلها بوجه ينفى عنها ورود السؤال لاردها من أصلها أدبا معهم (قوله والمراد الخ) بيان لتأويلها (قوله ان كل ماحكم به العقل) أى متعلق ماحكم به العقل لايخرج عن اتصافه بواحد من الثلاثة وذلك إذا قلت الله قادر فالذى حكم به العقل هو ثبوت القدرة لله وهذا الثبوت ليس واحدا من الثلاثة وإنما الذى منها وصف هذا الثبوت وهو الوجوب وكذا الباقى (قوله من إثبات أونفى) أى إثبات شىء لشىء أونفى شىء عن شىء (قوله لايخرج عن اتصافه بواحد الخ) أى لأنه إما أن لايقبل الانتفاء فهو الوجوب أولايقبل الثبوت فهو المستحيل أويقبلهما فهو الجواز ولارابع لها (قوله حق معرفتها) دفع به مايرد عليه من أنه لافائدة فى قولك فافهم هذه الأقسام الثلاثة بعد ذكرها وعدها (قوله بفتح الهمزة) احترز به عن كسرها إذ معناه التفهم وليس مرادا هنا (قوله وواجب)

حسن أنه خبر مقدم ومعرفة مبتدأ مؤخر ويصح إعرابه مبتدأ ومعرفة فاعل سد مسد الخبر بناء على مذهب من لا يشترط اعتماد الوصف (قوله مقامه) بضم الميم لأنه من أقام الرباعي وأما إن كان مصدر الثلاثي فيقال بفتح الميم يقال قام زيد مقام عمرو (قوله على أنه مفعول مطلق) ويصح أن يكون منصوبا على التمييز أي من جهة الشرع ولا يصح نصبه على نزع الخافض لأنه سماعي (قوله أي الشارع) أشار بذلك إلى أنه من باب زيد عدل والمراد بالشارع الله حقيقة والنبي مجازا (قوله خلافا للمعتزلة الخ) أي وهم في ذلك فرقتان فرقة تقول معرفة الله واجبة بالعقل والرسل مؤكدون للعقل وهؤلاء فساق وفرقة تقول لا يحتاج للرسل فارسالهم عبث وهؤلاء كفار (قوله من الثقلين) سموا بذلك لكونهم يثقلون بالتكاليف أو مثقلون الأرض فهو اسم مفعول أو اسم فاعل (قوله الإنس والجن) أي خاصة وأما الملائكة فليسوا مكلفين بالمعرفة إذ هي ضرورية في حقهم كالنفس (قوله الزام ما فيه كلفة) أي فعلا كالواجب أو تركا كالحرام (قوله طلب ما فيه كلفة) أي فعلا أو تركا جازما أولا (قوله فلا تكليف بالمندوب والمكروه) أي وإن كانا مطلوبين (قوله على الأول الصحيح) أي وعليه فالصبي غير مكلف (قوله بخلاف الثاني) أي وهو طلب ما فيه كلفة فالمندوب والمكروه مكلف بهما وعليه فالصبي مكلف وقوله في تعريف المكلف البالغ العاقل إما على القول الأول أو تعريف للمكلف الكامل (قوله والمكلف البالغ العاقل) هذا تعريف للمكلف من الإنس وأما الجن فهم مكلفون من حين الخلقة (قوله البالغ) أي وأما الصبي فليس مكلفا. إن قلت إن ردة الصبي وإسلامه معتبران عند المالكية فما معنى اشتراط البلوغ. أجيب بأن اعتبار ردته وإسلامه بالنظر لاجراء الأحكام الدنيوية عليه كتغسيله وتكفينه والصلاة عليه وارثه ونحو ذلك (قوله الذي بلغته الدعوة) أي وأما من لم تبلغه الدعوة فليس مكلفا ويؤخذ منه أن أهل الفترة ناجون ولو غيروا وبدلوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة كحاتم الطائي وامرىء القيس فإما رواية آحاد وهي لا تعارض الدليل القطعي وعلى تسليم أنه ليس رواية آحاد فتعذيبهم لحكمة يعلمها الله تعالى ومن جملة أهل الفترة أبواه صلى الله عليه وسلم على أنه ورد إحياء أبويه وإيمانهما به صلى الله عليه وسلم كما قال الحافظ الدمشقي :

حبا الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رءوفا فأحيا أمه وكذا أباه
لايمان به فضلا منيفا فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

(قوله العلي بالمنزلة) أي علوا معنويا وهو التنزه عن النقائص والاتصاف بالكمالات لا حسيا لاستحالته في حقه تعالى والمراد بالمنزلة الرتبة المعنوية (قوله بمعنى واحد) أي وعليه فعدم اتصافه تعالى بالمعرفة إما لعدم ورودها أو لايهامها سبق الجهل وقوله على الصحيح مقابله أن المعرفة أخص من العلم لتعلقها بالبسائط والجزئيات وتعلقه بالبسائط والمركبات والجزئيات والكليات وعليه فعدم اتصافه تعالى بالمعرفة ظاهر لقصورها (قوله وهو الإدراك) جنس يشمل الجازم وغيره وقوله الجازم فصل مخرج لغير الجازم كالظن والشك والوهم وقوله المطابق للواقع أي المطابق متعلقه وهو النسبة والمعنى مطابقة النسبة لما في الواقع وليس المراد أن الجزم هو المطابق (قوله فشمل الضروري والنظري الخ) أي يشمل قوله لموجب العلم الضروري وهو ما كان بالوجدانيات والحواس والنظري وهو ما كان عن دليل فمعرفة الله تعالى تكون ضرورية لأهل الكشف والبصيرة النيرة ونظرية لأهل الدليل (قوله الظن) أي أو الشك والوهم (قوله الاعتقاد الفاسد) أي وهو المسمى بالجهل المركب (قوله أوحس) أي ظاهري باحدى الحواس الخمس السمع والبصر والشم واللمس والذوق (قوله أو وجدان)

حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانتصب انتصابه فهو منصوب على أنه مفعول مطلق أي وجوبا مستفاد من الشرع أي الشارع ، يعني أنه يجب وجوبا شرعيا خلافا للمعتزلة القائلين إن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل (على المكلف) من الثقلين الإنس والجن والتكليف الزام ما فيه كلفة وقيل طلب ما فيه كلفة فلا تكليف بالمندوب والمكروه على الأول الصحيح بخلاف الثاني ولا تكليف بالمباح اتفاقا والمكلف البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة (معرفة الله العلي) بالمنزلة، والمعرفة والعلم بمعنى واحد على الصحيح وهو الإدراك الجازم المطابق للواقع لموجب فشمل الضروري والنظري وخرج بقيد الجازم الظن وبالمطابق الاعتقاد الفاسد كاعتقاد الفلسفي قدم العالم وبقوله لموجب بكسر الجيم أي مقتض من دليل أوحس أو وجدان الاعتقاد الصحيح

كاعتقاد سنية صلاة العيدين والذي يكفي في المعرفة الدليل الجلي اتفاقا وهو المعجوز عن تفصيله وحل الشبه عنه كأن يعرف وجوده تعالى بكونه خالقا للعالم وأما التفصيلي وهو المقدور فيه على ماذكر فلا يجب عينا بل وجوبا كفائيا لصون الدين بدفع الخصوم وأما التقليد وهو الأخذ بقول الغير من غير حجة أي الاعتقاد الجازم المتمسك فيه بمجرد قول الغير فقد اختلف فيه فقيل إنه يكفي في عقائد الإيمان وهو الصحيح فإيمان المقلد صحيح وعليه فهل يجب النظر فيكون مع صحة إيمانه عاصيا بترك النظر الموصل للمعرفة وهو الصحيح كما يفهم من قولنا معرفة الله أولا بل هو شرط كمال وقيل لا يكفي فالمقلد كافر وقيل يكفي إن قلد القرآن والسنة القطعية وفيه نظر وذهب بعضهم إلى تحريم النظر لأنه مظنة الوقوع في الشبه والضلال وليس بشيء واعلم أن المعرفة هي أول واجب على المكلف إذ جميع الواجبات متوقفة عليها وقوله (فاعرف) أي اعرف أنها واجبة بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة . ولما كانت معرفة الله تعالى عبارة عن معرفة ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز لا معرفة حقيقة الذات العلية لعدم إمكان ذلك

أي وهو الحس الباطني كادراك الجوع والشبع والحب والبغض (قوله كاعتقاد سنية صلاة العيدين) أي مجردا عن دليل وإلا فهو معرفة وأما اعتقاد مشروعيتها وطلبها فهو ضروري لتواتره بين العام والخاص (قوله كأن يعرف وجوده تعالى) أي وباقي صفاته (قوله على ماذكر) وهو تفصيله وحل شبهه (قوله لصون الدين) علة لكونه واجبا كفائيا (قوله بدفع الخصوم) متعلق بقوله صون الدين والمراد بالدفع الرد والإبطال (قوله وأما التقليد) جواب عن سؤال مقدر حاصله قد ذكرت المعرفة وما يتعلق بها فهل يكتفي بالتقليد أولا فأجاب بما ذكر (قوله بقول الغير) أي وهو غير معصوم وأما سماع المعصوم في حال حياته فلا يسمى تقليدا بل هو معرفة وتحقيق فيفيد العلم الضروري (قوله أي الاعتقاد الجازم) أي بحيث لو رجع مقلده لا يرجع (قوله فقد اختلف فيه) أي على ستة أقوال ذكر الشرح منها خمسة وترك سادسا وهو عصيانه بترك النظر إن كان فيه أهليته وإلا فلا يعصى وهو المعتمد (قوله فإيمان المقلد صحيح) أي خلافا لأبي هاشم الجبائي القائل بأنه كافر وكل هذا بالنظر لما عند الله في الآخرة وأما في الدنيا فمن نطق بالشهادتين فهو مسلم اتفاقا تجري عليه أحكام المسلمين وقولهم في تعريف الإيمان هو حديث النفس التابع للمعرفة محمول على الإيمان الكامل وأما تعريف أصل الإيمان فهو حديث النفس التابع للاعتقاد الجازم فيشمل التقليد (قوله وعليه) أي على القول بكفاية التقليد في عقائد الإيمان (قوله فهل يجب النظر) أي وجوب الفروع سواء كان فيه أهلية النظر أم لا بناء على أن كل مكلف فيه أهلية الدليل الجلي (قوله أولا) أي أو لا يجب النظر (قوله فالمقلد كافر) أي بناء على أن المعرفة واجبة وجوب الأصول وهذا القول لأبي هاشم الجبائي من المعتزلة وذكره السنوسي في كبراه وهو ضعيف (قوله وفيه نظر) أي لأن مجرد تقليد ظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر كتقليد يد الله فوق أيديهم وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله على العرش استوى وكتقليد ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا (قوله وليس بشيء) أي لأن بالنظر ينتقل الشخص من التقليد الى المعرفة فهو يزيل الشبه فكيف يوقع فيها ولورود الأمر به قال الغزالي أسرفت طائفة بتكفير عموم المسلمين وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بجماعة يسيرة من المتكلمين انتهى سحيمي وقال ابن العربي أقسام الإيمان خمسة إيمان تقليد وهو من أخذ العقائد عن شيخ وجزم بها من غير معرفة دليل وإيمان علم وهو معرفة العقائد بأدلتها وهذا من أهل علم اليقين وكلا القسمين صاحبهما محجوب وإيمان عيان وهو معرفة الله بمراقبة القلب فلا يغيب ربه عن خاطره طرفة عين بل هيبته في قلبه كأنه يراه وهو مقام المراقبة وعين اليقين وإيمان حق وهو رؤية الله بقلبه وهو معنى قولهم العارف يرى الله في كل شيء وهو مقام المشاهدة وحق اليقين وصاحب هذا المقام والذي قبله يستدل بالحق على الخلق وإيمان حقيقة وهو الفناء بالله عما سواه والسكر بحبه فلا يشهد إلا إياه كمن غرق في بحر ولم ير له ساحلا وهذا ليس له دليل ولا مدلول فالواجب على الشخص أحد القسمين الأولين وأما الثلاثة الأخر فعلوم ربانية يخص بها من يشاء (قوله هي أول واجب على المكلف) أي ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا إنسيا أو جنيا وهذا هو الحق ولذا اقتصر عليه ومقابله أقوال قيل النظر وقيل أول جزء منه وقيل القصد إليه وقيل الشك وهو لأبي هاشم الجبائي رئيس المعتزلة وقيل النطق بالشهادتين وقيل التقليد وقيل أحد أمرين التقليد أو المعرفة وقيل التفرغ للنظر بمعنى ترك الشواغل وقيل اعتقاد وجوب النظر وقيل الإيمان (قوله واجبة بالشرع) أي إن وجوب المعرفة لم يدرك إلا من الشرع ولم يعلم إلا منه فلا حكم قبل الشرع أصلا لا أصليا ولا فرعيا (قوله لا معرفة حقيقة الذات العلية الخ) لأنها ليست من الواجبات فضلا عن كونها من أولها بل لا تعرف لأحد ولو ارتفعت درجته

وان أمكنت معرفتها عقلا كذا قيل والأصح أنها لاتجوز عقلا كما لاتجوز شرعا كما فى شرح الكبرى عن الامام الغزالى فان الحادث يقصر بالطبع عن عظيم هذا المقام قال الشريف القدسى فى مفاتيح الكنوز :

ظننت جهلا بأن الله تدركه ... نواقب الفكر أوتدريه إتقانا
أو العقول أحاطته بديهتها ... أوهل أقامت به لولاه برهانا
الله أعظم قدرا أن يحيط به ... علم وعقل ورأى جلّ سلطانا
هذا اعتقادى فان قصرت فى عملى ... فأسأل الله توفيقا وغفرانا

وفى الحديث «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وان الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه» وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «تفكروا فى الخلق ولاتفكروا فى الخالق فانه لاتحيط به الفكرة» . وسئل أبو بكر الصدّيق بم عرفت ربك ؟ قال عرفت ربى بربى ولولا ربى ماعرفت ربى، فقيل له هل يتأتى لبشر أن يدركه؟ فقال العجز عن الإدراك إدراك. وسئل على بن أبى طالب بم عرفت ربك ؟ قال عرفته بما عرّفنى به نفسه لايدرك بالحواس ولايقاس بالقياس ولا يشبه بالناس قريب فى بعده بعيد فى قربه فوق كل شىء ولايقال تحته شىء وأمام كل شىء ولايقال أمامه شىء وهو فى كل شىء لا كشىء فى شىء فسبحان من هو كذا ولاهكذا أحد سواه . وفى الحديث «إن الله خلق خلقه فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور هدى ومن أخطأه ذلك النور ضل» أى فمعرفة العبد ربه نور من الله يقذفه فى قلبه فيدرك بذلك أسرار ملكه ويشاهد غيب ملكوته ويلاحظ صفاته وهذا معنى قوله تعالى ـ الله نور السموات والأرض ـ أى منورهما ومنور قلوب المؤمنين فيهما وسمى الحق ذاته نورا لأن النور هو الضياء المظهر للأشياء فإذا سمى مايظهر غيره بالإضافة إلى الإدراك نورا فلأن يسمى من يظهر الأشياء من العدم إلى الوجود بالإيجاد أولى بل هو نور النور لأنه مظهر لكل نور مثل نوره أى نور الله فى قلب المؤمن كمشكاة المشكاة كوة غير نافذة فشبه صدره بالمشكاة وشبه قلبه فى صدره بالقنديل فى المشكاة وشبه معرفته بالمصباح فى القنديل وشبه القنديل الذى هو قلبه بالكوكب الدرى المضىء وشبه إمداده بالمعرفة بالزيت الصافى الذى يمد السراج فى الاشتعال وقد أطلق سيد الصوفية الجنيد القول بأنه لايعرف الله إلا الله وقال العارفون سبحان من كان عين العلم به عين الجهل به وعين الجهل به عين العلم به وسبحان من يعرف بأنه لايعرف. وسئل بعض العلماء عن الله تعالى فقال ان سألت عن أسمائه فقد قال ولله الأسماء الحسنى وإن سألت عن صفاته فقد قال قل هو الله أحد إلى آخر السورة وان سألت عن أقواله فقد قال إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وان سألت عن أفعاله فقد قال كل يوم هو فى شأن وإن سألت عن نعته فقد قال تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم وإن سألت عن ذاته فقد قال ليس كمثله شىء (قوله ولعدم تكليفنا بذلك) عطف علة على معلول كذا قرره الشرح ولعل الأظهر أنه عطف معلول على علة (قوله إلا أن المعنى الخ) وجه ذلك أن مابعد أى التفسيرية يكون عطف بيان لما قبله وماقبله مصدر صريح فيجب تأويل هذا بمصدر (قوله تسمع) مبتدأ وخبر خبره والمبتدأ لا يكون إلا اسما فوجب تأويله بمصدر وهو مثل يضرب لكل من يرغب فى سماع شىء فإذا رآه زهده (قوله أى الثابت) أى فيشمل ذاته تعالى وصفاته الوجودية كما فى والسلبية والنفسية والمعنوية (قوله أى المستحيل) أى وهو مالايقبل الثبوت وقوله كذلك أى فى حقه تعالى فيشمل المستحيل أضداد الواجبات المتقدمة (قوله والألف للاطلاق) أى فليست للتثنية بل هى لاطلاق الصوت بالقافية (قوله أى فى الأمر الحق) أى معدود من أفراد الأمر الكلىّ المنسوب له تعالى على جهة الثبوت أوالانتفاء أوهما فيشمل

ولعدم تكليفنا بذلك فسر المعرفة بما هو المراد فقال أى يعرف هو وان كان مرفوعا لتجرده من ناصب وجازم إلا أن المعنى على تقدير أن المصدرية نحو: تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، أى معرفة الله تعالى هى معرفتك (الواجب) أى الثابت الذى لا يقبل الانتفاء فى حقه تعالى (والمحالا) كذلك أى المستحيل والألف للاطلاق (مع) معرفة (جائز فى حقه) أى فى الأمر الحق الذى ينسب إليه (تعالى) فافهم وقد حذفه

من الأولين لدلالة الثالث عليه كما أشرنا له (و) واجب شرعا على المكاتب (مثل ذا) أى معرفة مثل هذا المذكور من الواجب والمستحيل
والجائز أى فى مطلق ما ذكر بقطع النظر عن الحقائق والأدلة (فى حق رسل الله) بسكون السين الوزن
(عليهم) بكسر الميم (تحية الاله) تعالى . ثم شرع فى تعريف الواجب والمستحيل والجائز التى يجب معرفتها فى حق من ذكر ومنه يعرف تعريف الوجوب والاستحالة والجواز وقد قدمه أيضا فقال (فالواجب) أى الثابت (العقلى) من ذات أوصفة أونسبة (ما) أى الأمر الثابت الذى (لم يقبل * الانتفا) بالقصر للضرورة أى لايقبل الزوال (فى ذاته) أى بالنظر لذاته لالشىء آخر فخرج ماتعلق علم الله بوجوده (فانتبه) بكسر اللام أى تضرع واطلب من الله معرفة ماينفعك وهذا التعريف أخصر وأوضح وأحسن من قولنا مالايتصور فى العقل عدمه وان اشتهر وهو قسمان ضرورى وهو مالايتوقف على نظر واستدلال كالتحيز للجرم أى أخذه قدر ذاته من الفراغ . ونظرى وهو ماتوقف على ماذكر كالقدم لله تعالى فكل منهما لايقبل الانتفاء لذاته (والمستحيل) السين والتاء زائدتان للتأكيد (كل ما) أى أمر من ذات أوصفة أو نسبة منتف (لم يقبل)
بكسر اللام (فى ذاته) أى بالنظر لذاته (الثبوت) فهو (ضد الأول) أى الواجب لما علمت أن الواجب هو
الثابت الذى لايقبل الانتفاء والمستحيل هو المنتفى الذى لايقبل الثبوت وخرج ماتعلق علم الله تعالى بعدم وجوده

الأقسام الثلاثة فهى بمعنى من وقيل إن المراد من الحق الحقيقة أى جائز فى حقيقة الله والإضافة للبيان وفى بمعنى اللام أى جائز لله وكذا يقال فى الواجب والمستحيل وقيل ان لفظة حق زائدة وفى بمعنى اللام أيضا فيرجع لما قبله (قوله من الأولين) أى اللذين هما الواجب والمستحيل ولايظهر الحذف منهما إلا على تفسير الشرح الحق بالأمر الحق المنسوب له تعالى لشموله الأقسام الثلاثة وأما على ماقررناه من أن الحق بمعنى الذات فيظهر الحذف حينئذ تأمل (قوله بقطع النظر عن الحقائق) أى حقائق مايجب لله ومايستحيل ومايجوز أى بقطع النظر عن عينها وذاتها إذ عين مايجب لله من القدم والبقاء الخ ومايستحيل ومايجوز ممتنع على الرسل فالتشبيه غير تام بل هو فى مطلق واجب ومستحيل وجائز (قوله ومنه) أى من تعريف الواجب الخ (قوله يعرف الخ) أى لأن معرفة المشتق تستلزم معرفة المشتق منه (قوله وقد قدمه أيضا) أى تعريف الوجوب والاستحالة والجواز عند قول المتن :
* هى الوجوب ثم الاستحالة * الخ (قوله من ذات) أى كذاته تعالى فانها واجبة لاتقبل الانتفاء والزوال وقوله أوصفة أى كوجوده وقدمه وبقائه الخ وقوله ونسبة أى كثبوت القدرة مثلا لله تعالى فى قولك الله قادر (قوله فخرج ماتعلق علم الله بوجوده) أى من العرش فما تحته فهو بالنظر لذاته يقبل الثبوت والانتفاء وبالنظر لتعلق علم الله بوجوده لايقبل الانتفاء لكنهم عدوه فى الجائز بالنظر لذاته (قوله وهذا التعريف أخصر الخ) أى لكونه أقل حروفا وقوله وأوضح أى لأنه لاتجوز فيه وقوله وأحسن أى لأنه يشمل صفات السلوب والمعنوية بخلاف تعريف السنوسى فانه مطول وفيه تجوز حيث أطلق التصور وأريد التصديق وفيه قصور لعدم شموله السلوب والمعنوية ومناقشته فى شراحه مشهورة (قوله وان اشتهر) الواو للحال وأن زائدة والمعنى أعرضت عنه فى حال شهرته لما علمت (قوله نظر) هو لغة التأمل والفكر واصطلاحا ترتيب أمور معلومة للتوصل إلى مجهول كترتيب المقدمة الصغرى والكبرى المعلومتين للتوصل إلى مجهول وهو النتيجة وقوله واستدلال أى إقامة الدليل فيرجع للنظر ويطلق على نفس الدليل (قوله كالتحيز للجرم) التحيز صفة اعتبارية واجب ثبوتها للجرم مادام الجرم . لايقال أن التحيز بالمعنى المذكور لايجب وجوده لكونه مسبوقا بعدم طارىء ويطرأ بطرو الجرم وحينئذ فالتحيز للجرم غير صحيح . لأنا نقول إنما مثل به المصنف لثبوت نسبة التحيز للجرم مادام الجرم لا لوجوب وجوده لأنه ليس مرادا ومراده بالجرم ماحل فى فراغ سواء كان جسما وهو ماتركب من فردين فأكثر أوكان جوهرا فردا وهو الجزء الذى لايتجزأ فالتحيز أى الحلول فى حيز لايختص بالجرم بل يكون للجوهر الفرد أيضا (قوله كالقدم لله تعالى) أى وباقى الصفات الواجبة . واعلم أن الواجب اما عرضى واما ذاتى والذاتى اما مطلق واما مقيد فالواجب العرضى كوجود الممكن الذى تعلق علم الله بوقوعه وهو بالنظر لذاته جائز لاستواء وجوده وعدمه ولكن عرض له الوجوب لتعلق علم الله بوقوعه والواجب الذاتى المطلق كذات الله وصفاته والواجب الذاتى المقيد كالتحيز للجرم فانه واجب له مادام باقيا وكلام المصنف فى الواجب الذاتى بقسميه ولذا مثل بالتحيز والقدم وأما الواجب العرضى فهو من قبيل الجائز كما أفاده الشرح (قوله زائدتان للتأكيد) أى خلافا لمن تكلف أنهما للطلب ولمن قال ان السين والتاء للمطاوعة كاستحجر الطين (قوله من ذات) أى كذات الشريك له تعالى وقوله أوصفة أى وجودية أواعتبارية وقوله أونسبية أى كثبوت العجز له تعالى (قوله من ذات الخ) بيان لأمر وقوله منتف صفة له (قوله وخرج ماتعلق علم الله بعدم وجوده) أى كجبل من ياقوت وكبحر من زئبق وإيمان أبى جهل فانه

وهذا التعريف أخصر وأوضح وأصح من قولنا ما لايتصور فى العقل وجوده وهو قسمان أيضا ضرورى كخلو الجرم عن الحركة والسكون معا ونظرى كالشريك لله تعالى (وكل أمر قابل) فى حد ذاته أخذا مما تقدم (للانتفا * وللثبوت) فهو (جائز بلا حفا) وهو أيضا قسمان : ضرورى كخصوص الحركة أوالسكون للجرم . ونظرى كاثابة العاصى وتعذيب المطيع ومنه الشبع عند الأكل والإحراق عندمماسة النار من كل حكم عادى فانه جائزعقلى. والحاصل كاقرره شيخنا أن مثل الإحراق عند مماسة النار ان نظرت إليه من حيث ذاته بقطع النظرعن التكرر فهوحكم عقلىلأنه من الجائز النظرى

لأن العقل إذاتأمل فى وحدانية الله تعالى وأنه الفاعل المختار المنفرد بالإيجاد والاعدام علم أن الأفعال كلهالله تعالى وحده ولاتأثير لماسواه خلافالمن غلط وجعلها من الأحكام الواجبة العقلية التى لايمكن انفكاكهافأسند التأثير لنحو النار إما بالطبع أو بقوة أودعت فيها وان نظرت إليه من حيث تكرره على الحس سمى حكما عاديا وقد علمت أن الحركة والسكون للجرم يصح أن يمثل بهما لأقسام الحكم العقلى الثلاثة فالواجب ثبوت أحدهما لابعينه للجرم والمستحيل نفيهما معا عنه والجائزثبوت أحدهما له بالخصوص . فان قلت التعريف للماهية وكل للأفراد فكيف يصح أخذك لفظ كل فى تعريف المستحيل والجائز . قلت لفظ كل هنازائدفارتكبها للضرورة أو أن ماذكر ضابط لاتعريف إلا أنه يشير للتعريف فتسميته تعريفا مجاز وإنما عبرت بالثبوت والانتفاء دون الوجود والعدم لتشمل التعاريف الأحوال على القول بها ككونه تعالى عالما فانها لا تتصف بالوجود ولا بالعدم وهذا من جملة الأحسنية التى أشرنا لها فتدبر. ولما فرغ من بيان أقسام الحكم العقلى ووجوب معرفة الله تعالى على كل مكلف أخذ فى بيان الطريق الوصل إلىمعرفته تعالى وهى حدوث العالم فقال (ثم) بعد أن عرفت أنه يجب على كل مكلف شرعا أن يعرف مايجب فى حقه تعالى ومايستحيل ومايجوز (اعلمن) بنون التوكيد الخفيفة وضمن العلم معنى التصديق فعداه بالباء فى قوله (بأن هذا العالما) بجميع أجزائه سمى بذلك لأنه علامة أى دليل على وجود صانعه وفى التعبير باسم الإشارة إشارة إلى أن حقائق الاشياء ثابتة وأن العلم بها متحقق وهو كذلك عند جميع الملل

بالنظر لذاته يقبل الثبوت والانتفاء وبالنظر لتعلق علم الله بعدم وجوده لايقبل الثبوت ومعنى قوله خرج أى من تعريف المستحيل ودخل فى تعريف الجائز بالنظر لذاته (قوله وهذا التعريف أخصر الخ) أى لأنه أقل حروفا وقوله وأوضح أى لخلو ألفاظه عن المجازات بخلاف قوله لايتصور فى العقل وجوده ففيه المجاز وقوله وأصح أىلأنه لايرد عليه مايرد على قوله مالايتصور فى العقل وجوده مماهو مسطور فى كتبهم، من ذلك أنه لايشمل صفات الأحوال على القول بها لأنها لايتصور فى العقل وجودها وذلك لأنها ثابتة فقط لاموجودة فهى واسطة بين العدم والوجود فليست موجودة فى الخارج ولا معدومة بل هى ثابتة ومن ذلك أيضا أنه يصدق على صفات السلوب لأن مدلولها عدم أمر لايليق به سبحانه لايتصور فى العقل مع أن صفات السلوب من قبيل الواجب الذى لايقبل الانتفاء فهى متحققة فى الواقع ونفس الأمر لايصح نفيها عنه تعالى (قوله كاثابة العاصى وتعذيب المطيع) هذا المثال إنما يتمشى على مذهب أهل السنة من أنه تعالى لايجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده بل يجوز ذلك عليه ويجوز عدمه فهو جائز عقلى وأما عند المعتزلة فيحكمون باستحالته لقولهم بوجوب الصلاح والأصلح (قوله من كل حكم عادى) أى كالرى عند الماء والقطع عند السكين ونبات الزرع عند بذر الأرض وجميع مايحصل عند الأسباب العادية (قوله أن بمثل الإحراق) أى من كل أمر عادى اقترن بسببه وخبر أن محذوف تقديره فيه تفصيل أشار له بقوله ان نظرت الخ (قوله امابالطبع الخ) أى والقائل بالطبع كافر وبالقوة فاسق وسيأتى إيضاح ذلك متناوشرحا (قوله من حيث تكرره على الحس) أى على إحدى الحواس الخمس ومثلها الوجدانيات (قوله وكل للأفراد) أى لضبط حكم الأفراد (قوله فى تعريف المستحيل والجائز) أى لأن المقصود بيان الحقيقة والماهية لاضبط الأفراد (قوله للضرورة) أى ضرورة الوزن (قوله أوأن ماذكر) جواب آخر (قوله الأحوال) أى أو لاعتبارات على القول بعدم الأحوال (قوله فانها لاتتصف بالوجود ولابالعدم) أى بل هى حال توصف بالثبوت لابالوجود ولابالعدم والحق أنها أمور اعتبارية لاثبوت لها فى الخارج وإنما هى أمور يعتبرها الذهن (قوله أخذ فى بيان الطريق الموصل) المراد به البرهان والدليل فشبه بالطريق الحسى بجامع أن كلا يوصل للمقصود على سبيل الاستعارة التصريحية (قوله ثم بعد أن عرفت) أى من قولنا السابق :

* وواجب شرعا على المكلف * الخ (قوله ضمن العلم الخ) جواب عن سؤال حاصله أن مادة العلم تتعدى للمفعول بنفسها (قوله سمى) أى العالم باعتبار مدلوله وقوله بذلك أى بالعالم باعتبار داله (قوله وفى التعبير باسم الإشارة الخ) بيان ذلك أن الإشارة إنما يشار بها إلى موجود حاضر (قوله إلى أن حقائق الأشياء) جمع حقيقة وهى والماهية والمائية والهوية بمعنى واحد وقوله ثابتة أى متحققة لأن

إلا السوفسطائية فقد
خالفوا فى ذلك وهم فرق
ثلاثة عنادية يقولون
لاثبوت لحقيقة من
الحقائق وإنما هى أوهام
وخيالات كالذى يرى فى
المنام وعندية يقولون
الشخص عند اعتقاده
حق لواعتقد أن النار
جنة أوبالعكس لكان
كذلك واللاأدرية
يقولون فى كل شىء
لاأدرى حتى إنه يشك فى
نفسه وفى شكه وتوضيح
الرد عليهم مذكور فى
المطولات ثم فسره بقوله
(أى ما) أى الشىء الذى
هو (سوى الله العلى
العالما) نعت لله على
القطع فهو منصوب على
المدح وألفه للاطلاق
من الجواهر والأعراض
والجوهر ماقام بنفسه
والعرض ماقام بغيره من
الجواهر كالألوان (من
غير شك) متعلق بقوله
(حادث) أى موجود
بعد عدم وهو خبر إن أى
إن حدوثه غير مشكوك
فيه لمن تأمل أو أن المراد
أنه يجب له الحدوث كما
يجب لمحدثه القدم فلا يرد
أن حدوثه لايقول به
الفلسفى

الثابت والمتحقق والموجود بمعنى واحد وحقيقة الشىء مابه الشىء هوهو كالحيوانية والناطقية بالنسبة
للانسان فهو الأول عائد على التعقل فى الأذهان والثانى عائد على التعقل فى الخارج ونفس الأمر (قوله
إلا السوفسطائية) اسم لجماعة مخصوصة من اليونان توغلوا فى علم الرياضة حتى أداهم ذلك إلى الضلال
وهواسم مركب فسوف بمعنى العلم واسطائية بمعنى المزخرف المزين فمعنى الجميع أصحاب العلم والحكمة
المزخرفة المزينة قال بعضهم الحق أنهم خرجوا عن قول العقلاء كذا قرره المؤلف (قوله عنادية) سموا
بذلك لعنادهم ومكابرتهم لأهل الحق (قوله يقولون الشخص عند اعتقاده) بيان لتسميتهم عندية
وكذا يقال فيما بعده (قوله وتوضيح الرد عليهم مذكور فى المطولات) قال صاحب العقائد بعد كلام
طويل الحق أنه لاطريق إلى المناظرة معهم خصوصا اللاأدرية لأنهم لايعترفون بمعلوم ليثبت به مجهول
بل الطريق تعذيبهم بالنار ليعترفوا أو يحترقوا (قوله والأعراض) اعلم أن بعضها يدرك بالذوق
كالحلاوة والملوحة والمرارة وبعضها يدرك بالسمع كالأصوات وبعضها بالبصر كالألوان وبعضها بالشم
كالروائح وبعضها باللمس كالحرارة والبرودة والنعومة والخشونة وأمامثل القدرة والإرادة والعلم
الحادثة فإنما تدرك بالعقل وكذا بقية المعانى وهذه الأعراض كلها موجودة يصح رؤيتها وبعضها
يرى بالفعل كالألوان والأجسام وبعضها لم ير بالفعل لوجود مانع وحجاب خلقه الله تعالى من رؤيتها
بالفعل لااطلاع لنا على حقيقة ذلك الحجاب وذلك كبعض صفات المعانى القائمة بنا والروائح والأصوات
ونحو ذلك (قوله والعرض ماقام بغيره) سمى عرضا لأنه يعرض لما قام به ويطرأ عليه ومن ثم لايقال
فى صفات الله تعالى أعراض لأنها أزلية يستحيل عليها الطرو وقوله من الجواهر بيان لغيره (قوله لمن
تأمل) فيه تعريض بمن يقول إن العالم قديم فانه لم يتأمل (قوله أو أن المراد الخ) تنويع فى الرد على من
يقول بالقدم وهم الفلاسفة . وحاصل مذهب الفلاسفة أن الحادث عندهم قسمان حادث بالذات
ويفسرونه بما يحتاج فى وجوده إلى مؤثر سواء سبقه عدم أولا فالأول كأفراد الإنسان والثانى كالأفلاك
فانها محتاجة فى وجودها للمؤثر ولم يسبقها عدم . وحادث بالزمان ويفسرونه بما سبق وجوده عدم
كأفراد الإنسان . والقديم قسمان قديم بالذات وهو مالايحتاج فى وجوده لمؤثر كذات المولى تعالى
وقديم بالزمان وهو مالايسبقه عدم واحتاج فى وجوده لمؤثر كالأفلاك فانها عندهم لم يسبقها عدم لأنها
ناشئة عن العقول بطريق العلة ويقولون إن واجب الوجود سبحانه وتعالى واحد من كل جهة فلا قدرة
له ولا إرادة ولاصفة له زائدة على الذات والواحد من كل جهة إنما ينشأ عنه واحد بطريق العلة فالواحد
الذى ينشأ عنه يقال له العقل الأول ثم إن ذلك العقل متصف بالإمكان من حيث إن الغير أثر فيه
وبالوجوب لعلته فهو قديم لعلته حادث باعتبار ذاته فنشأ عنه باعتبار الجهة الأولى عقل ثان ونشأ عنه
من الجهة الثانية فلك أول وهو المسمى فى لسان الشرع بالعرش ثم إن هذا العقل الثانى متصف بالإمكان
من حيث إن الغير أثر فيه وهو العقل الأول وبالوجوب لعلته فهو حادث لذاته قديم لعلته فنشأ عنه
باعتبار الجهة الأولى فلك ثان وهو المسمى فى لسان الشرع بالكرسى وباعتبار الجهة الثانية عقل ثالث
مدبر لذلك الفلك الثانى ثم إن ذلك العقل الثالث متصف بالإمكان من حيث إن الغير أثر فيه وبالوجوب
من حيث علته فنشأ عنه من الجهة الأولى فلك ثالث وهو المسمى بالسماء السابعة ونشأ عنه من
الجهة الثانية عقل رابع مدبر لذلك الفلك الثالث وهكذا إلى سماء الدنيا فتكاملت الأفلاك تسعة
والعقول عشرة ويسمون العقل المدبر لفلك القمر وهوسماء الدنيا بالعقل الفياض لإفاضته على ماتحت
فلك القمر من أنواع الحيوانات والنباتات والمعادن وبهذا ظهر لك وجه قولهم إن الأفلاك حادثة بالذات
قديمة بالزمان وأنه لاأول لها تبعا لعلتها لأن المعلول يقارن علته ومثلها فى ذلك العقول وسائر الأنواع

من

وحقيقة الشك التردد فى الطرفين على السواء ومراده به هنا مطلق التردد الشامل للظن وهو الطرف الراجح والوهم وهو المرجوح (مفتقر) الى موجد يوجده من العدم وهو خبر ثان لازم للأول إذ الحادث لايكون إلا مفتقرا ابتداء ودواما وفى الحقيقة هو يشير إلى نتيجة القياس الذى صرح بصغراه وطوى كبراه ونظمه هكذا العالم حادث وكل حادث فهو مفتقر إلى محدث ينتج العالم مفتقر الى محدث أما دليل كون العالم حادثا ف(لأنه قام به) أى العالم يعنى باعتبار بعضه وهو الإعراض (التغير) من عدم إلى وجود ومن وجود إلى عدم وذلك اما بالمشاهدة كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة والسواد بعد البياض والحرارة بعد البرودة إلى غير ذلك والعكس وإما بالدليل وذلك لأن ماشوهد سكونه مثلا على الدوام كالجبال أوحركته على الدوام كالكواكب جاز أن يثبت له العكس إذ لافرق بين جرم وجرم وإذا جاز عدمها استحال قدمها لأن ماثبت عدمه استحال قدمه فتكون حادثة فحينئذ جميع الأعراض حادثة ويلزم من حدوثها حدوث جميع الأجرام والجواهر لعدم انفكاكها عن الأعراض الحادثة وكل مالاينفك عن الحادث فهو حادث فظهر أن جميع العالم من أعراضه وأجرامه وجواهره حادث أى موجود بعد أن لم يكن وأما دليل كون كل حادث فهو مفتقر إلى موجد يوجده فلأنه صنعة بديعة محكمة الاتقان وكل ما كان كذلك فله صانع إذ لو لم يكن له صانع للزم أن يكون حدث بنفسه فيلزم ترجيح أحد الأمرين المتساويين أعنى الوجود والعدم على مساويه بلاسبب وهو محال لما يلزم عليه من اجتماع الضدين أعنى المساواة والترجيح بلا مرجح على أنه يلزم عليه ترجيح الأضعف على الأقوى لأن الأصل فيه العدم وهو أقوى من وجوده هذا هو البرهان المشهور بينهم فى بيان حدوث العالم وافتقاره الى صانع ولك أن تستدل على حدوثه بكونه أنواعا مختلفة وأصنافا متباينة كما يشير إليه آى القرآن العزيز وذلك لأن بعضه علوى وبعضه سفلى وبعضه نورانى وبعضه ظلمانى وبعضه حار وبعضه بارد وبعضه متحرك وبعضه ساكن وبعضه لطيف وبعضه كثيف وبعضه شوهد وجوده بعد عدمه وبعضه شوهد عدمه بعد وجوده الى غير ذلك وكل نوع من هذه الأنواع مشتمل على أصناف وأفراد وصفات لاقدرة لأحد على إحصائها فدل على أنه مفتقر الى مخصص حكيم خص كل نوع ببعض الجائز عليه فيكون حادثا بعد عدم وأن خالقه مختار لاعلة ولاطبيعة إذ معلول العلة ومطبوع الطبيعة لايختلف على فرض تسليمه قال تعالى إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض

من الحيوانات والنباتات والمعادن وأما أفراد تلك الأنواع فهى حادثة ذاتا وزمانا انتهى ومذهب أهل السنة أن القديم هو القديم بالذات لاغير وهو الله تعالى وصفاته وأن الحادث هو الحادث بالذات لاغير وهو ماسوى الله تعالى وماقالته الفلاسفة أوهام وخيالات وكفر (قوله وحقيقة الشك) أى أصل معناه وقوله ومراده به هنا أى بقرينة المقام لأن الظن والوهم يضران فى العقيدة كالشك (قوله الذى صرح بصغراه) أى فى قوله ماسوى الله حادث وقوله وطوى كبراه أى كما ترى فى نظم الدليل وكل من الصغرى والكبرى نظرى يحتاج إلى دليل ولذلك أقام الشارح الدليل على كل منهما ودليل الصغرى انتهى الى الضرورى وهو التغير (قوله يعنى باعتبار بعضه وهو الأعراض) أى لأنها هى التى شوهد تغيرها للعدم وأما الأجرام فلملازمتها الحادث لأنه لايشاهد تغير ذات الجرم وأما الصغر والكبر والموت والحياة فترجع للأعراض والميت إنما يشاهد أولاتفرق أجزائه ونحو الملح فى الماء يستحيل ماء ولاينعدم انعداما حقيقيا بخلاف العرض يشاهد فى لحظة عدم أفراد منه لاتضبط خصوصا الحركة والسكون (قوله كالحركة) أى الموجودة فى جرم من الأجرام بعد السكون الذى كان فى ذلك الجرم (قوله والضوء بعد الظلمة) أى ضوء الجرم القائم به وظلمته التى تقوم به بعد الضوء أى بعد انعدامه (قوله ولافرق بين جرم وجرم) أى فى قبول الحركة والسكون لأن ماجاز على أحد المثلين جاز على الآخر فتجوز الحركة على الجبال كما يجوز السكون على الكواكب (قوله وإذا جاز عدمها) أى الأعراض من حيث هى ماشوهد ومالم يشاهد وقوله فتكون حادثة مرتبط بقوله استحال قدمها (قوله وأما دليل كون كل حادث الخ) شروع فى الكلام على دليل كبرى القياس المتقدم بعد مافرغ من الكلام على دليل الصغرى (قوله لما يلزم عليه من اجتماع الضدين) أى فيكون الوجود مساويا للعدم راجحا عليه بلاسبب وكون الشىء مساويا لشىء راجحا عليه بلاسبب محال (قوله على أنه يلزم عليه) كالاضراب الانتقالى الى نوع آخر من الكلام على بطلان ترجيح أحد الأمرين المتساويين من غير مرجح (قوله بكونه أنواعا مختلفة الخ) أى فاختلاف أنواعه يدل على حدوثها وأن لها محدثا وخالقا قديما بالاختيار لابالعلة أوالطبع إذ لو كان ذلك بالطبع أوالعلة لكانت تلك الأجرام كلها متساوية غير مختلفة ولكانت كلها إما متحركة فقط أوساكنة فقط أونورانية فقط أوظلمانية أولطيفة أوكثيفة كما هو مقتضى الايجاد بالعلة أوبالطبيعة وثبت كونه موجودا بالاختيار وأن موجده لايكون إلا قديما (قوله لأن بعضه علوى) أى كالسماء وقوله سفلى أى كالأرض (قوله نورانى) أى كالكواكب وقوله ظلمانى أى كالأفلاك وقوله حار أى

كالنار وقوله بارد أى كالماء وقوله متحرك أى كالكواكب السيارة وقوله ساكن أى كالجبال وقوله لطيف أى كالهواء وقوله كثيف أى كالحجر (قوله خلافا للفلاسفة) أى فانهم ذهبوا إلى أن قدمه بالتبع لقدمه تعالى بطريق العلة ويسمونه أيضا قدما زمانيا وأما قدمه تعالى فهو قدم ذاتى وتقدم ايضاحه (قوله لكن بمعنى الاحتياج إلى الغير) أى إن قدم هذا العالم مستند الى قدمه تعالى أى فقدمه تعالى أوجب قدم هذا العالم هكذا زعموا قبحهم الله تعالى (قوله أى مقابله) أشار بذلك الى أنه ليس المراد بالضد حقيقته بل المراد به مطلق التقابل فتقابل القدم والحدوث من مقابلة الشىء والمساوى لنقيضه لأن نقيض الحدوث لاحدوث ولاحدوث مساو للقدم (قوله ولا واسطة بين الحدوث والقدم) أى خلافا للفلاسفة وتقدم تقرير مذهبهم والرد عليهم. وقد أوردوا سبع شبه أجاب أهل السنة عنها بأحسن جواب وسموها المقاصد السبعة: الأولى قالوا لو كان العالم حادثا لكان وجود الصانع سابقا عليه وإلا كان حادثا مثله فإما بغير مدة وهو تناقض أو بمدة متناهية فيلزم الابتداء أو غير متناهية فلا يخرج عن قدم العالم لأن تلك المدة حينئذ عالم قديم أو فيها عالم قديم قلنا إن هذا جاءهم من جعل التقدم زمانيا ونحن نقول هذا تقدم ذاتى لايتقيد به. الثانية قالوا لو كان حادثا لكان عدمه متقدما عليه وأنواع التقدم خمسة الطبع كتقدم الجزء على الكل وهو أن يكون الثانى محتاجا للأول من غير أن يكون الأول علة فيه والعلة والشرف والمكان والزمان والأربعة الأول لاتصح هنا فتعين الأخير والعدم عندكم أزلى فالزمان الذى يتقدم به كذلك قلنا جواب هذه هو جواب الأولى وهو أن هناك تقدما ذاتيا من غير زمان كتقدم الماضى على الآن . الثالثة قالوا لو كان حادثا لجاز وجوده قبل زمنه فإما لغير نهاية فتنتقل الأزلية أو لحد فيلزم التحكم وعجز الصانع إذ ذاك قلنا إن الانتقال من المدد للأزل خيال باطل كيف والمدد كلها متناهية وإنما هو كقولهم فراغ فوق السماء أو تحت الأرض لانهاية له وتوهم سلسلة عدد لاتفرغ مع القطع بأن كل ما فى الخارج متناه عقلا فالأزل بون والأزمنة بون لحقيقة الأزل من مواقف العقول وأما قولهم يلزم العجز فإنما يصح لو كان لنقص فى القدرة وإنما ذلك لأن طبيعة الممكن لاتقبل الوجود الأزلى فليتأمل . الرابعة قالوا لو كان حادثا لكان مسبوقا بالإمكان والإمكان معنى لابد له من محل يقوم به بل ومادة بها التكون فذلك المحل والمادة قديمة وإلا انتقل الكلام وتسلسل أو دار قلنا الإمكان اعتبار لاوجود له فى الخارج حتى يحتاج لمحل والقادر المطلق لايحتاج لمادة ومن هنا تعلم أن إمكانه أزلى بمعنى أن نقيض الإمكان معدوم أزلا وإلا لزم قلب الحقائق لكن متعلق الإمكان إنما يكون فيما لايزال فيمكن أزلا وجوده فيما لايزال وبالجملة فرق بين أزلية الإمكان وإمكان الأزلية فنقول بالأول دون الثانى . الخامسة قالوا لو كان حادثا لاحتاج لموجب يخصه بوقت حدوثه دون غيره وذلك الموجب ليس مجرد الصانع إذ لو كفى علة لزم مصاحبة المعلول له فيلزمه القدم فتعين أن الموجب أمر آخر فإما قديم فيتم مطلوبنا أو حادث فيحتاج أيضا لموجب وهكذا. قلنا هو ضلال جاءكم من نفى الاختيار الذى هو المرجح فى كل حادث وربك يخلق مايشاء ويختار لايسئل عما يفعل وتنزه عن ضيق التأثير بالتعليل أو الطبع والاختيار ذاتى لايحتاج لموجب . السادسة قالوا لو سبق بالعدم لكان تأثير الصانع فيه إما حال عدمه وهو باطل لأن المعدوم لايرد عليه شىء وإما حال وجوده وهو باطل لتحصيل الحاصل فبطل سبقه بالعدم ومن هذه الشبهة قالت المعتزلة المعدوم شىء وقال من قال الماهيات ليست بجعل جاعل وإنما المؤثر يظهرها من الخفاء. قلنا التأثير حال العدم معناه تعقيبه بالوجود ولا استحالة فى ذلك وإلا لزم أن لايخرج شىء من عدم لوجود وحال الوجود معناه الإمداد بنفس ذلك الوجود الحاصل لابغيره حتى يلزم تحصيل الحاصل. السابعة قالوا لو كان حادثا لكان الصانع فى الأزل غير صانع فباحداثه

وماخلق الله من شىء الى غير ذلك من الآيات (حدوثه وجوده بعد العدم) يعنى أن حدوث العالم عبارة عن وجوده بعد عدمه خلافا للفلاسفة فانهم ذهبوا الى قدمه ومع ذلك أطلقوا القول بحدوث ماسوى الله تعالى لكن بمعنى الاحتياج إلى الغير لا بل بمعنى سبق العدم عليه ومعتقد ذلك كافر باجماع المسلمين (وضده) أى ضد الحدوث أى مقابله يعنى عدم أولية الوجود (هو المسمى بالقدم) ولا يكون إلا لله وحده كما سيأتى ولا واسطة بين الحدوث والقدم إذا علمت أنه يجب على كل مكلف

يطرأ له كونه صانعا والتغير عليه تعالى محال . قلنا هذا تغير أفعال وهو غير ممتنع بخلاف تغير الذات والصفات الذاتية وقد نظم تلك الشبه على هذا الترتيب أستاذنا الشيخ الأمير فى بيت مفرد فقال :

سبق الإله كذا العدم تدريجه　　　إمكانه مع موجب أثر طرا

فقوله سبق الإله إشارة للأولى وهى قولهم لوكان حادثا لسبقه الإله بمدة الخ وقوله كذا العدم للثانية وهى قولهم عدمه متقدم عليه بالزمان فيلزم قدم الزمان وقوله تدريجه للثالثة وهى قولهم وجوده قبل زمنه بمدة جائز فيتدرج للعدم وقوله إمكانه للرابعة أعنى لوكان حادثا لكان مسبوقا بإمكانه وقوله مع موجب للخامسة وهى لوكان حادثا لاحتاج لمايخصه بزمنه وهو إما قديم وإما حادث الخ وقوله أثر إشارة لشبهة التأثير حال الوجود أو لعدم وهى السادسة وقوله طرا للسابعة وهى لزوم التغير فى الصانع بطرو كونه صانعا فدونك مقاصد سبعة نرجو من فضل الله أن يسد بها أبواب النيران ويدخلنا بها الجنان . وذكر العلماء مطالب سبعة قصدوا بها الرد على الفلاسفة أيضا جمعها بعضهم فى قوله :

زيدم قام ماانتقل ما كنا　　　ماانفك لاعدم قديم لاحنا

فقوله زيد إشارة لإثبات زائد على الأجرام حتى يصح الاستدلال به على حدوث الأجرام ودليل ذلك المشاهدة قال بعضهم يقال لهم نزاعكم معنا موجود أولا فإن قالوا لا كفونا المؤنة وإلا فقد أثبتوا الزائد وقوله م قام بحذف ألف ماللوزن إشارة لقولهم لانسلم عدم الإعراض لجواز أن الحركة تقوم بنفسها اذا سكن الجسم مثلا ورده أن العرض لايقوم بنفسه إذلاتعقل صفة من غير موصوف ولاحركة بدون متحرك الى غير ذلك وقوله ماانتقل بسكون اللام لرد قولهم لانسلم عدم الأعراض حتى ينتج حدوثها لجواز أن الساكن إذا تحرك انتقل السكون لمحل آخر وجوابه أن من طبع العرض لاينتقل من محل الى محل ولوانتقل لكان بعد مفارقة الأول وقبل وصول الثانى قائما بنفسه وقوله كنا إشارة لابطال قولهم لانسلم عدم الحركة مثلا بل تكمن فى الجسم إذا سكن وفيه جمع الضدين وقيام المعنى بمحل من غير أن يوجب له معنى إذ الحركة فيه وهو غير متحرك وهو خلاف المعقول وقوله ماانفك إشارة لرد قولهم لانسلم ملازمة الجرم للأعراض حتى يلزم حدوث الأجرام وجوابه أنه لايعقل جرم خاليا عن حركة ولاحركة أو بياض ولا بياض لارتفاع النقيضين وأيضا الجرم لايتحقق إلا بمشخصات تميزه عن غيره وهى أعراض البتة وقوله لاعدم قديم رد لقولهم نسلم عدم الإعراض لكن ذلك لاينافى أن الوجود كان قديما ورده أن القديم لايقبل العدم إذ لايكون وجوده إلا واجبا وقوله لاحنا رمز لابطال حوادث لاأول لها حيث نسلم حدوث الأعراض وملازمة الجسم لها ولانسلم الكبرى القائلة وملازم الحادث حادث لجواز أن مامن حادث إلا وقبله حادث فصح ملازمة السلسلة للقديم. وجوابه أنه تناقض إذ حيث كانت حوادث فكيف تكون لاأول لها مع أن حدوث كل جزء يستلزم حدوث المجموع المركب منه فتدبر . وإيضاح الاستدلال على هذه السبعة أن تقول أما الأول وهو اثبات زائد على الأجرام فهو ضرورى لايحتاج لدليل إذ مامن عاقل إلا وهو يحس أن فى ذاته معانى زائدة عليها وأما الثانى وهو إبطال قيام العرض بنفسه والثالث وهو إبطال انتقاله فدليلهما أنه لو قام العرض بنفسه أو انتقل لزم قلب حقيقته لأن الحركة مثلا حقيقتها انتقال الجوهر من حيز لآخر فلو قامت بنفسها أو انتقلت لزم قلب تلك الحقيقة وصيرورة العرض جوهرا إذ الانتقال والقيام بالنفس من خواص الأجرام وأما الرابع وهو الكمون والظهور فوجهه أن الكمون والظهور يؤدى إلى اجتماع الضدين فى المحل الواحد لأن الجوهر إذا تحرك مثلا والسكون كامن فيه زمن حركته لزم اجتماع الضدين وهما الحركة والسكون ضرورة وأما الخامس وهو إثبات استحالة عدم القديم فوجهه أنه لوانعدم لكان

أن يعرف مايجب وما يستحيل وما يجوز لله تعالى وعلمت الطريق الموصل الى المعرفة (فاعلم بأن الوصف) أى اتصافه تعالى (بـ)صفة (الوجود) ويصح أن يراد أيضا بالوصف الصفة والباء للتصوير والتفسير أى بأن الصفة المفسرة بالوجود (من واجبات الواحد المعبود) أى بعض الصفات الواجبة له تعالى إذ الواجبات له تعالى كثيرة لاتنحصر فيما ذكر هنا لأن صفاته تعالى الكمالية لاتتناهى إلا أنه لايجب علينا تفصيل مالم يقم عليه الدليل بالخصوص بل الواجب أن نعتقد أن كمالاته تعالى لاتتناهى على الاجمال وأما ماقام عليه الدليل بخصوصه فيجب اعتقاده تفصيلا وهو ثلاثة عشر صفة وأضدادها بناء على مذهب الأشعرى والمحققين من أن المعنوية ليست بصفات زائدة على المعانى وأن الحق أن لاحال وعليه فالوجود عين ذات الموجود ليس بصفة زائدة عليها وفى عده من الصفات تسامح باعتبار أن الذات توصف به فى اللفظ فيقال ذات الله موجودة فليتأمل ومعنى كون وجوده واجبا أنه لايقبل الانتفاء أزلا وأبدا أى لايمكن عدمه لما مر فى تعريف الواجب ثم برهن على وجوده تعالى

صانع

بوجود صنعته جل وعلا فقال (إذ ظاهر بأن كل أثر) أى لظهور أن العالم أثر أى صنعة لما مر من أنه حادث وكل أثر (يهدى) بفتح الياء (الى مؤثر) أى يدل على صانعه اذ لايعقل صنعة بدون صانع وإلا لزم الترجيح بلامرجح وهو محال

وجوده جائزا لاواجبا والجائز لايكون إلا محدثا فيكون هذا القديم محدثا وهو تناقض وأما السادس وهو إثبات كون الأجرام لاتنفك عن ذلك الزائد فهو ضرورى لأنه لايعقل كون الجرم منفكا عن كونه متحركا أو ساكنا مثلا إذ لو انفك عن الحركة والسكون لزم ارتفاع النقيضين وهما حركة ولا حركة وسكون ولا سكون وأما السابع وهو إثبات استحالة حوادث لا أول لها فله أدلة كثيرة وأقربها أن تقول إذا كان كل فرد من أفراد الحوادث حادثا فى نفسه فعدم جميعها ثابت فى الازل ثم لايخلو إما أن يقارن ذلك العدم فردا من الأفراد الحادثة أولا فان قارنه لزم اجتماع وجود الشىء مع عدمه وهو محال بضرورة العقل وإن لم يقارن ذلك العدم شىء من تلك الأفراد الحادثة لزم أن لها أولا لخلو الأزل على هذا الفرد عن جميعها (قوله أن يعرف مايجب الخ) أى لتوقف الفن عليها (قوله وعلمت الطريق الموصل) أى وهو حدوث العالم (قوله فاعلم) عبر بالعلم إشارة إلى أنه لايكتفى فى هذا الفن بغيره والعلم هو الجزم المطابق للحق عن موجب والخطاب للمكلف والمعنى اجزم اعتقادك وصدق ولما كانت مباحث هذا الفن ثلاثة الهيات وهو مايتعلق بالاله من واجب وجائز ومستحيل ونبوات وهو مايتعلق بالأنبياء مما يجب لهم ومايستحيل ومايجوز وسمعيات وهى مادل عليها النقل فقط ولامدخل للعقل فيها كالحشر والنشر والصراط والجنة والنار وتقدم ذكرها اجمالا فى قوله * وواجب شرعا على المكلف * الخ شرع الآن يفصل ما أجمله مقدما الالهيات لتعلقها بالحق وماتعلق به مقدم على غيره وبدأ من الالهيات بالواجب لشرفه مقدما للوجود لأصالته فان ماسواه مفرع عليه (قوله أى اتصافه) أشار بذلك الى أن الوصف باق على مصدريته وهو الإخبار عن قيام الصفة بالموصوف فهو صفة للواصف لأنه خبره وكلامه (قوله بالوجود) أى الذاتى أى إنه وجد لذاته ولامدخل لغيره فيه (قوله ويصح أن يراد أيضا بالوصف الصفة) أى فالمراد المعنى الاسمى. واعلم أن الصفة والوصف بمعنى واحد عند اللغويين والنحاة وهو النعت لأنها مصدر وصف يصف صفة فأصلها وصف بكسر الواو ونقلت الكسرة إلى الصاد ثم حذفت الواو وهى فاء الكلمة وعوض عنها هاء التأنيث وأما عند المتكلمين فالصفة مايحكم به على الشىء سواء كان عين حقيقته أو قائما بها أو خارجا عنها فدخل فى هذا التعريف الوجود وصفات المعانى والمعنوية ولو على القول بنفى الأحوال والسلوب تأمل (قوله أى بعض الصفات) أشار بذلك إلى أن من تبعيضية (قوله لأن صفاته الكلية لاتتناهى) أى صفاته الوجودية لانهاية لها فى الذهن ولا فى نفس الأمر والله يعلمها تفصيلا وأنها لانهاية لها (قوله والمحققين) أى كالقاضى أبى بكر الباقلانى وإمام الحرمين (قوله فالوجود عين ذات الموجود) تفريع على ماذهب إليه الأشعرى والمحققون. وحاصل ماقالوه أن وجود كل شىء عينه إذ لو كان زائدا على الذات لايخلو إما أن يكون موجودا أولا والأول يوجب التسلسل والثانى يلزم عليه اتصاف الوجود بنقيضه وهو العدم وهو محال (قوله وفى عده من الصفات تسامح) أى مجاز مرسل علاقته المجاورة (قوله فليتأمل) أمر بالتأمل إشارة إلى ان الحق خلاف هذا وأن الصفات المعنوية أمور اعتبارية لابد من اعتبارها فى الذهن وإن لم يكن لها ثبوت من خارج الأذهان ونفس الأمر فالأشعرى وإن كان ينفى ثبوتها فى نفس الأمر لاينفى اعتبارها فى الأذهان ومن يقول بالأحوال يقول بأنها واسطة بين الوجود والعدم فالصفة الوجودية عندهم ماصح أن ترى والحال ثابتة فى الخارج ولايصح أن ترى (قوله أن لايقبل الانتفاء أزلا وأبدا) أى فاثبات وجوب الوجود يستلزم ثبوت القدم والبقاء فذكرهما بعد توضيحا ولأن علماء الكلام لا يكتفون بدلالة الالتزام (قوله ثم برهن) أى ذكر برهانا عقليا (قوله إذ ظاهر) تعليل لماقبله (قوله وإلا لزم الترجيح بلامرجح) وإلا بأن فرض وجود صنعة من غير

لما مر وإذا علمت أن كل صنعة تدل على وجود صانعها (فاعتبر) أى تأمل فى ملكوت السموات والأرض ودقائق الحكم لتعلم بذلك أنه الواجب الوجود المالك المعبود القادر الودود العلىّ العظيم العليم الحكيم فتهتدى إلى ماخلقت لأجله ثم تترقى إلى وفور حبه وشكره فيترتب على ذلك تفجير ينابيع الحكمة من قلبك وتقعد فى مقعد صدق عند ربك ؛ ولنذكر لك شيئا من ذلك لتقيس عليه غيره فنقول: قال الله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون فأنت إذا نظرت إلى مبدإ خلقك وجدت ربك سبحانه وتعالى قاد والديك بزمام الشهوة مقهورين فى صورة مختارين مع تمام البسط والأنس وفى هذا المقام أسرار عجيبة يدركها أرباب الكشف من أهل الله تعالى حتى إذا حصل الوقاع صانك الله فى قرار مكين فخلق تلك النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم مدها وصورها فى أحسن صورة فجعل الرأس فى أحسن خلقة وخلق العين والأذن والأنف وصوّر الوجه فى أحسن صورة وأودعها من الجمال والكمال مالا يخفى ثم أودع البصر فى العين والسمع فى الأذن والشم فى الأنف وخلق الفم وزينه بالشفتين وخلق اللسان وخلق فيه الدوق وجعله جندا من جنوده تعالى يترجم عما فى الفؤاد من العلوم والمعارف وجعل الرقبة حاملة لعرش الرأس فى حسن بديع وجعل فيها المنفذ الموصل الأكل والشرب الى المعدة وأودع البطن من الأمعاء والمصارين والقلب والكبد وغيرها مما لايعلم حقيقته إلا هو تعالى وخلق الأيدى وخلق فيها الأكف والأصابع وجعلها مفاصل وأبدعها والأرجل كذلك وخلق العظام وكساها لحما ثم نفخ فيك الروح وهى سر عظيم عجيب من أسراره تعالى فتحركت فى بطن أمك ومازال بك رءوفا رحيما

صانع لزم الترجيح بلا مرجح وذلك لأن الوجود مساو للعدم فتقديم الوجود على العدم ترجيح له وهو لايكون إلا بمرجح واجب الوجود إذ لو كان جائزا لكان حادثا ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث فيلزم الدور أو التسلسل وهو محال فكذا ما أدى إليه (قوله لما مر) أى فى تقرير حدوث العالم (قوله وإذا علمت الخ) أشار بذلك إلى أن قوله فاعتبر جواب شرط محذوف (قوله ودقائق الحكم) من إضافة الصفة للموصوف أى الحكم الدقائق وهى الأسرار الغريبة العجيبة (قوله الواجب الوجود) أى الذى وجوده واجب لايقبل الانتفاء أصلا لاسابقا ولا لاحقا (قوله المالك) أى المتصرف فى خلقه بأنواع التصرفات (قوله المعبود) أى المستحق العبادة وقوله القادر أى الموصوف بالقدرة التامة وفيه إشارة إلى أنه فاعل بالاختيار لابالعلة ولابالطبع (قوله الودود) أى المحب لعباده المحبوب لهم وقوله العلى أى بالمنزلة لابالمكان لاستحالته عليه وقوله العظيم أى الموصوف بالعظمة والجلال على الحقيقة دون غيره وقوله العليم أى الموصوف بالعلم التام المتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات وقوله الحكيم أى الموصوف بالحكمة وهى الاتقان للأشياء على وجه التناسب (قوله إلى ماخلقت لأجله) أى وهو العبادة قال تعالى وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (قوله إلى وفور حبه) من إضافة الصفة للموصوف أى حبه الوافر أى الزائد (قوله فيترتب على ذلك الخ) أى ويعين على ذلك العزلة عن الناس قال ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه ما نفع القلب شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة (قوله ينابيع الحكمة) الإضافة بيانية والمعنى فيترتب على ذلك ظهور الحكمة فى قلبك والمراد بها الأسرار والمعارف (قوله عند ربك) المراد عندية مكانة لامكان وهى القرب المعنوى (قوله شيئا من ذلك) أى من دقائق الحكم الموصلة إلى العبادة والشكر المترتب على ذلك تفجر ينابيع الحكمة والقرب من الله تعالى (قوله فأنت إذا نظرت إلى مبدإ خلقك) إنما بدأ بالنظر فى النفس لأنها أقرب الأشياء إلى الشخص ولما ورد من عرف نفسه عرف ربه أى من تفكر فى إبداعها استدل بها على خالقها (قوله مقهورين) أى باطنا وقوله فى صورة مختارين أى ظاهرا (قوله وفى هذا المقام أسرار) منها مشاهدة أن الله تعالى جعله خليفة فى إنشاء هذا الفرد بعينه فدل هذا على المحبة الأصلية الصادرة منه تعالى حين أراد خلق الخلق يشهد له حديث كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فالخلق ناشئون من المحبة أولا وآخرا ولهذا السر العظيم قال عليه الصلاة والسلام حبب الىّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة (قوله فى قرار مكين) أى وهو الرحم (قوله فخلق تلك النطفة علقة) أى بعد أربعين يوما وقوله ثم خلق العلقة مضغة أى كذلك (قوله وجعله) أى اللسان (قوله لعرش الرأس) من إضافة المشبه به للمشبه أى للرأس الشبيهة بالعرش فى العلوّ والارتفاع ومحاسن البدن (قوله والمصارين) عطف تفسير على الأمعاء (قوله وخلق فيها الأكف والأصابع) أى لقضاء الحوائج والاعتبار وتذكر اسم الله فإن الأصابع جلالة الخنصر الألف والبنصر والوسطى اللامان والسبابة مع الإبهام الهاء قال بعض العارفين :

لقد بسطت فى بحر جسمك بسطة ... أشارت اليها بالوفاء الأصابع

(قوله ثم نفخ فيك الروح) أى بعد مضى أربعة أشهر (قوله وهى سر عظيم) أى به قوام الجسد سارية

حافظا لك فى أضيق مكان يوصل لك غذاءك وأنت لاتعلم شيئا حتى إذاتم خلقك أنزلك من الرحم من أضيق محل فلطف بك وبأمك حتى إذ برزت ألهمك بمجرد النزول إلى ثدى أمك وأجرى فيه اللبن وأنزل فى قلبها الرأفة والرحمة حتى إنها ترى بولك وغائطك من أحسن مايكون والمنة له تعالى فى ذلك ولما آن أوان الأكل خلق لك الأسنان والاضراس ورتبها ترتيبا عجيبا مع مافيهامن كمال الزينة والجمال والكمال ثم لما قرب بلوغك وكانت هذه الأسنان ضعيفة أسقطها وأبدلها بأقوى منها ثم إذا أكلت فجر الله فى فمك عينا جارية وهى الريق لاينقطع جريانها مادمت تأكل لتبتل اللقمة بها ويسهل بلعها لاتملها النفس ولاتجرى على الدوام ولاتنقطع فانظر الى هذه الحكمة العجيبة التى أنت فى غاية الافتقار اليها وليس فى قدرتك إجراؤها ولامنعها بالضرورة فإذا نزل الطعام والشراب فى المعدة صرفه الى مايشاء فبعضه يتربى به اللحم وبعضه يتربى به العظم وبعضه يتربى به الشحم وبعضه يتربى به الدم مع كمال اللذة حال الأكل وبعده ثم مافضل عن ذلك وكان فيه الإيذاء للبدن على تقدير إبقائه فى البطن أخرجه من مخرجيك وانظر لهذين المخرجين وبديع حكمتهما والى إقدارك على مسكهما عند تهيؤ الفضلة للخروج وبالجملة فلم يزل سبحانه بك رءوفا رحيما ودودا كريما فى كل لحظة وأنت غافل عن نفسك وانظر الى خروج النفس ودخوله الذى به قوام الروح حالة اليقظة والنوم والصحة والمرض ومن أكبر عبرة العقل الذى به التميز والتدبير وإدراك العلوم والمعارف ومايضر وماينفع وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها فتبارك الله أحسن الخالقين فياليت شعرى أهذا ينبغى أن يعصى فيما أمر ونهى ثم إذا نظرت الى السماء وكواكبها والسحاب وتسخيرها والرياح وتصريفها والى الأرض وأنهارها والى الأشجار وأثمارها لأفضى بك الى العجب العجاب وعلمت أنه المحسن الوهاب اللهم وفقنا لما فيه رضاك واقطعنا عن كل شىء سواك واملأ قلوبنا من حبك وحب رسلك وأذقنا لذة الوصل من فيض فضلك وخذ بأيدينا إن زللنا وسامحنا إن أخطأنا إنك أنت الجواد الكريم الرءوف الرحيم (وذى) أى وهذه الصفة أى صفة الوجود (تسمى صفة نفسية) نسبة الى النفس أى الذات والصفة النفسية هى التى لاتعقل الذات بدونها وهى صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها

فيه كسريان الماء فى العود الأخضر (قوله حافظا لك) أى ومن جملة ذلك أن جعل وجهك لظهر أمك وظهرك لبطنها لئلا تتأذى بالطعام والشراب وجعل نفسك لمخرج أمك لتتنفس فى فارغ (قوله يوصل لك غذاءك) أى من سرتك لعدم قوتك على البلع والمضغ (قوله ألهمك بمجرد النزول إلى ثدى أمك) أى وعلمك كيفية المص والارتضاع (قوله أخرجه من مخرجيك) أى ومن حكمته تعالى أن جعلهما لأسفل لئلا يتأذى برؤيتهما الغير فأظهر منك المحاسن وأخفى القبائح (قوله إلى خروج النفس) بفتحتين (قوله وإن تعدوا نعمة الله) مفرد مضاف أى نعمه (قوله فتبارك الله أحسن الخالقين) اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار الصورة الظاهرية (قوله أهذا ينبغى أن يعصى) أى من صدرت منه هذه الأفعال العظيمة التى هى قائمة بك وأنت جاهل بها ولاتدريها فالواجب عليك أيها الشخص امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولاتجترئ على معرفة ذات خالقك فإنك جاهل بنفسك فكيف بربك (قوله ثم إذا نظرت إلى السماء الخ) المراد العالم العلوى وقوله والى الأرض الخ المراد العالم السفلى (قوله لأفضى بك) أى لأداك ووصلك (قوله الى العجب العجاب) أى من المعارف والأسرار التى تحل فى القلوب وتنورها (قوله وعلمت أنه المحسن الوهاب) أى إما بالدليل أو الذوق والعيان (قوله اللهم وفقنا) دعاء من الشيخ له وللسامعين وتقدم معنى التوفيق (قوله لما فيه رضاك) أى قبولك لنا وإثابتك إيانا (قوله واقطعنا عن كل شىء سواك) أى فلا تجعل قلوبنا متعلقة به ولاملتفتة اليه (قوله واملأ قلوبنا بحبك الخ) طلب المحبة لانها رأس السعادة الأبدية (قوله وأذقنا لذة الوصل) أى المترتبة على المحبة (قوله وخذ بأيدينا إن زللنا) أى لأن المحب المحبوب مغفور الذنب قال أبوالحسن الشاذلى واجعل سيآتنا سيآت من أحببت (قوله وذى تسمى صفة نفسية) اعلم أن الصفات من حيث هى منقسمة الى أربعة أقسام لازائد عليها نفسية وسلبية ومعان ومعنوية ووجه ذلك أن الصفة إما أن يكون مدلولها عدما أولا الأول السلبية والثانى إما موجودة أولا الأول المعانى والثانى إما أن يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها أولا الأول النفسية والثانى المعنوية (قوله وهى صفة ثبوتية الخ) هذا التعريف للشيخ سعد الدين التفتازانى وقوله صفة كالجنس يدخل فيه سائر الصفات وقوله ثبوتية نسبة للثبوت لكونها ثابتة فى الذهن خرج بذلك الصفات السلبية (قوله يدل الوصف بها) أى بالمشتق منها لابها نفسها لعدم صحة ذلك فتقول الله موجود ولايصح أن تقول الله وجود (قوله على نفس الذات) أى لاعلى معنى زائد عليها وخرج به المعانى نحو القدرة والإرادة فإن الوصف بها يدل على معنى زائد على الذات وقوله دون معنى زائد عليها خرج به المعنوية وفى الحقيقة خرج بقوله على نفس الذات المعانى والمعنوية لأن كلا منهما لايدل الوصف به على نفس الذات ولا

دلالة

ويقال أيضا هي الحال الواجبة للذات مادامت الذات غير معللة بعلة وذلك كالوجود والتحيز للجرم وكون الجوهر جوهرا والشيء شيئا فهذا تعريف للنفسية مطلقا قديمة كانت أو حادثة وقوله في التعريف الثاني غير معللة بالنصب على أنه حال من الحال أو من الضمير في واجبة واحترز به من الحال المعنوية ككون الذات عالمة أو قادرة أو مريدة فانها معللة بقيام العلم والقدرة والإرادة بالذات فليتأمل وجعل الوجود صفة نفسية إنما يصح عند من يثبت الأحوال فيكون صفة زائدة على الذات غير موجودة في نفسها ولا معدومة وأما عند من لم يثبت الأحوال فليس بصفة أصلا وإنما هو عين ذات الموجود كما مر . فان قلت إذا كنت قد بنيت هذه العقيدة على مذهب الأشعري القائل بنفي الأحوال فالوجه حذف الوجود ولا حاجة إلى ارتكاب التسامح . قلت لما كان معرفة الوجود يحتاج لها ليبنى عليها غيرها من الصفات اعتبرت الوصف الظاهري في قولنا ذات الله موجودة وارتكبت التسمح على أن التحقيق أن الشيخ ولو نفى الأحوال لاينفي الاعتبارات لظهور زيادتها ذهنا وان لم يكن لها ثبوت خارجا بل قال العلامة التفتازاني لاخلاف أن الوجود زائد ذهنا بمعنى أن للعقل أن يلاحظ الماهية بدون الوجود وبالعكس وتتعقل الماهية وتشك في وجودها اه (ثم تليها) في الذكر (خمسة سلبية) نسبة للسلب أي النفي إذ مدلول كل واحد منها سلب أمر لايليق به سبحانه (وهي) أي الصفات السلبية (القدم بالذات فاعلم) أي القدم الذاتي بمعنى أنه تعالى قديم لذاته لالعلة قديمة اقتضت وجوده تعالى عن ذلك وليس المراد بالقدم الذاتي ماقابل القدم بالغير كما يقول الفلسفي لقيام البرهان القاطع على أنه لاشيء قديم بالغير وأن كل ماسوى الله وصفاته حادث كما تقدم ومعنى القدم سلب الأولية أي أنه تعالى لاأول لوجوده

دلالة لهما عليها وإنما يدلان على معنى زائد عليها إلا أن هذا المعنى الزائد في المعاني وجودي وفي المعنوية ثبوتي إذا علمت ذلك فقوله دون معنى زائد عليها مستدرك لاحاجة إليه إلا أن يقال أتى به للايضاح (قوله ويقال أيضا) هذا التعريف هو المشهور بين المتأخرين كالسنوسي وغيره (قوله هي الحال الواجبة للذات) أي الثابتة لها خرج السلبية والمعاني (قوله مادامت الذات) أي مدة دوامها فما مصدرية ظرفية وهذا الدوام واجب بالنسبة للقديم جائز بالنسبة للحادث (قوله واحترز به عن المعنوية) فيه شيء لأن المعنوية خارجة بقوله مادامت الذات الخ فان المعنوية هي الحال الواجب للذات مادامت المعاني قائمة بالذات (قوله فانها معللة بقيام العلم) أي ملازمة لها فالمراد بالتعليل التلازم أي أن المعنوية ملازمة للمعاني فيلزم من قيام القدرة بالذات كون تلك الذات قادرة وهكذا (قوله فليتأمل) أمر بالتأمل لدقة المقام (قوله وإنما هو عين ذات الموجود) أي فليس أمرا ثابتا في الخارج كالقدرة والإرادة فلا ينافي أنه أمر اعتباري يعتبره الشخص ذهنا فقط وذلك كما إذا أخرجت ثوبا من صندوق مثلا فالثوب يوصف بالظهور وهو أمر اعتباري لاثبوت له في الخارج بحيث يصح أن يرى ولافي نفسه بل هو أمر يعتبره الشخص في نفسه فقط (قوله ليبنى عليها غيرها) أي فهي أصل لغيرها إذ لايصح اتصافه بصفة إلا بعد إثبات وجوده (قوله على أن التحقيق الخ) ارتقاء في الجواب (قوله وان لم يكن لها ثبوت خارجا) أي فيكون لها ثلاث ثبوتات فقط ثبوت في الأذهان وثبوت في الألفاظ وثبوت في النفوس بخلاف المعاني وكل موجود فله أربع ثبوتات بزيادة الثبوت في الأعيان وأما السلبية فلها ثبوتان ثبوت في الألفاظ وثبوت في النفوس (قوله أي يلاحظ الماهية بدون الوجود) أي كلاحظة ماهية الغول في الذهن مع عدم وجوده في الخارج (قوله ثم تليها في الذكر) أي لافي الواقع ونفس الأمر إذ لاترتيب بين صفات الله تعالى في نفس الأمر إذ الترتيب يقتضي حدوث المرتب على ماقبله والحدوث عليه وعلى صفاته محال (قوله أي النفي) المراد به العدم إذ السلب والنفي والعدم بمعنى واحد وقدم السلبية على المعاني لأن السلبية كالتخلية بالخاء المعجمة والمعاني كالتحلية بالحاء المهملة والتخلية مقدمة على التحلية والحق أن الصفات السلبية لاتنحصر في هذه الخمسة إذ من جملتها أنه لاولد له ولا زوجة ولا بسيطا ولامركبا ولافي مكان ولازمان ولاجهة وغير ذلك وإنما اقتصر على هذه الخمسة لأنها أمهاتها وهكذا يقال في باقي الصفات (قوله إذ مدلول كل واحدة الخ) علة لقوله نسبة للسلبية (قوله وليس المراد بالقدم الذاتي ماقابل القدم بالغير) لأنه يوهم أن هناك قدما بالغير في نفس الأمر لكن ليس مرادا وليس كذلك (قوله وأن كل ماسوى الله) أي من الموجودات فلاينافي اتصاف الأعدام الأزلية بالقدم (قوله ومعنى القدم سلب الأولية) أي ويقال أيضا هو عدم الأولية أو عدم افتتاح الوجود وهل الأزلي مرادف للقديم وهو ماقاله ابن التلمساني وأئمة اللغة فهما مالا أول له عدميا كان أو وجوديا قائما بنفسه أولا وقال السعد الأزلي أعم من القديم إذ القديم ماقام بنفسه ولا أول لوجوده والأزلي مالاأول له عدميا أو وجوديا قائما بنفسه أو بالذات العلية والأعدام الأزلية كذلك وأماذات

إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا تعالى عن ذلك فيلزم افتقاره إلى محدث لما مر ثم محدثه كذلك لا تعدد مماثل بينهما وذلك مفض إلى الدور أو التسلسل لأن المماثل الثانى مثلا إن كان المحدث له هو الأول فالدور وإن استمر العدد إلى غير نهاية فالتسلسل وكلاهما محال أما استحالة الدور فظاهرة لأنه يلزم عليه تقدم كل منهما على صاحبه وتأخره عنه وهو جمع بين متنافيين بل ويلزم عليه أيضا تقدم كل واحد منهما على نفسه وتأخره عنها وهو جلى البطلان وأما التسلسل فلأنه يؤدى إلى وجود آلهة لا نهاية لها كل منها متصف بالحدوث والعجز والافتقار وهو باطل قطعا لأنه مناف لمقام الألوهية من القدرة والغنى المطلق إذ العاجز الفقير لا يصح أن يكون خالقا للعالم البديع الإتقان وما أفضى إلى المحال وهو عدم القدم محال إذ استحالة اللوازم تقتضى استحالة الملزومات فثبت القدم وهو المطلوب (و) ثانى الصفات السلبية (البقا) بالقصر للضرورة وهو سلب الآخرية أى نفيها أى أنه تعالى لا آخر لوجوده تعالى لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه والإلجاز عليه العدم فيحتاج إلى مرجح فيكون حادثا لا قديما كيف وقد ثبت قدمه (و) ثالث الصفات السلبية (قيامه) تعالى (بنفسه) بمعنى سلب الافتقار إلى المحل أو المخصص أى الفاعل أما أنه تعالى لا يفتقر إلى محل يقوم به قيام الصفة بموصوفها فلأنه لو افتقر إلى ذلك لكان صفة لا ذاتا إذ الذات لا تقوم بالذات لكن كونه تعالى صفة محال إذ لو كان صفة لاستحال قيام الصفات الثبوتية كالعلم والقدرة والإرادة به تعالى إذ الصفة لا تقبل صفة أخرى تقوم بها وإلا لزم أن لا تخلو عنها أو عن مثلها أو عن ضدها ويلزم مثل ذلك فى الأخرى التى قامت بها وهكذا إذ القبول أمر نفسى لا بد أن يتحد بين المتماثلين أو المتماثلات وهو محال لما يلزم عليه من اتصاف الصفة بمثلها أو بضدها أو بخلافها فيكون العلم عالما وجاهلا وقادرا وكذا العكس وهو باطل ومن دخول ما لا نهاية له من الصفات الوجودية على أن الصفة لو اتصفت بأخرى لزم الترجيح بلا مرجح إذ جعل إحداهما موصوفة والأخرى صفة لها دون أن تكون صفة للذات التى قامت بها الموصوفة ودون أن تكون الموصوفة هى الصفة للأخرى تحكم فليتأمل وهو تعالى قد ثبت أنه قامت به الصفات الثبوتية فلا يكون صفة لغيره فوجب أن يكون ذاتا فلا يفتقر إلى محل وهو المطلوب وأما أنه لا يفتقر إلى مخصص أى موجد ومؤثر فلما يلزم من الحدوث كما مر فى القدم (تلت) أى أدركت (التقى) أى التقوى هى امتثال المأمورات فعلا والمنهيات تركا قال الإمام الرازى التقى والتقوى واحد وهما لغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية أى ما يقى الشخص بمعنى يحفظه ويحول بينه وبين ما يخافه مثل الترس ونحوه فى الأجسام فكان المعنى جعل بينه وبين المعاصى وقاية تحول بينه وبينها من قوة عزمه على تركها واستحضار عله بقبحها نقله الشيخ عبد السلام اللقانى فى شرح الجزائرية وهذه الجملة إنشائية فى المعنى قصد بها الدعاء لمن حاول معرفة صفات الله تعالى وتكملة البيت كأنه قال اللهم اجعله محصلا للتقوى ، ورابع الصفات السلبية

الله فيقال لها أزلية قديمة (قوله إذ لو لم يكن قديما الخ) شروع فى تقرير الدليل التفصيلى للقديم (قوله فظاهرة) أى واضحة سهلة الأخذ وليس المراد بديهية وإلا فلا يحتاج للدليل عليها مع أنه أقامه بقوله لأنه يلزم عليه الخ (قوله وأما التسلسل) أى بيان استحالته (قوله وما أفضى إلى المحال) أى أدى إليه (قوله إذ استحالة اللوازم) أى وهى الدور أو التسلسل وقوله تقتضى استحالة الملزومات أى وهو الأولية (قوله وهو سلب الآخرية) أى ويقال أيضا هو عدم الآخرية أو عدم اختتام الوجود . إن قلت إن وجوب الوجود يغنى عن القدم والبقاء والمخالفة للحوادث . أجيب بأنه لما كان التوحيد أهم الأمور المطلوبة من الشخص إذ به ينجو من دار البوار وضح علماء الكلام المقام ولم يكتفوا بدلالة الالتزام (قوله لأن ما ثبت قدمه الخ) شروع فى تقرير الدليل على البقاء وهذا الدليل إما القدم نفسه أو دليله لأن لك أن تقول لو جاز عليه طرو العدم لاستحال عليه القدم لأن من جاز عدمه استحال قدمه أو تقول لو لم يتصف بوجوب البقاء لجاز عليه العدم ولو جاز عليه العدم لكان حادثا إلى آخر ما قال الشرح (قوله قيامه بنفسه) اختلف فى معنى هذه الباء فقيل للآلة وقيل للسببية وقيل بمعنى فى وهو الأقرب والمعنى أنه مستغن فى نفسه ليس باعتبار شىء آخر ويؤخذ من الصفة جواز إطلاق النفس على الله تعالى وقد ورد ذلك قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة واصطنعتك لنفسى وقال عليه الصلاة والسلام لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك إلى غير ذلك خلافا لمن يقول إنه لا يجوز إطلاقها على الله إلا فى مقام المشاكلة مستدلا بقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك (قوله بمعنى سلب الافتقار إلى المحل أو المخصص) واعلم أن القسمة رباعية مستغن عن المحل والمخصص معا وهو ذات الله ومستغن عن المخصص فقط وهو صفات الله تعالى ومفتقر إليهما معا وهو صفاتنا ومفتقر إلى المخصص فقط وهو ذواتنا (قوله فكان المعنى الخ) التفت الشيخ إلى أن المراد بالتقوى الخوف من الله تعالى الناشئ عنه عدم صدور ما يغضب الله تعالى (قوله إنشائية فى المعنى) أى خبرية فى اللفظ (قوله لمن حاول معرفة صفات الله تعالى) أى زاولها واشتغل بها (قوله وتكملة البيت) بالنصب عطفا على الدعاء أى فقصد بها أمرين الدعاء والتكملة

(تخالف للغير) أى مخالفته تعالى لغيره من الحوادث ومعناها عدم الموافقة لشىء من الحوادث فليس تعالى بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا متحرك ولا ساكن ولا يوصف تعالى بالكبر ولا بالصغر ولا بالفوقية ولا بالتحتية ولا بالحلول فى الأمكنة ولا بالاتحاد ولا بالاتصال ولا بالانفصال ولا باليمين ولا بالشمال ولا بالخلف ولا بالأمام ولا بغير ذلك من صفات الحوادث إذ لو كان مماثلا لها لوجب له تعالى ما وجب لها من الحدوث والافتقار وذلك محال لما مر . واعلم أن العالم وإن عظم فى نفسه فهو بالنسبة لعظم قدرته تعالى ليس بشىء فكيف يكون العلى الكبير القديم القدير حالا أو متصلا أو منفصلا أو مستقرا أو على جهة لهذا الشىء الحقير الحادث الفقير . وخامس الصفات السلبية (وحدانية) وهى عبارة عن سلب الكثرة فى الذات والصفات والأفعال أى عدم الاثنينية (فى الذات) أى فى ذاته تعالى اتصالا وانفصالا فوحدانية الذات تنفى عنه تعالى الكم المتصل والمنفصل أى تنفى العدد فى الذات متصلا كان أو منفصلا فتنفى التركيب فى ذاته تعالى ووجود ذات أخرى تماثل الذات العلية أى أنه تعالى ليست ذاته مركبة من أجزاء متصل بعضها ببعض وإلا لكان مماثلا للحوادث من حيث التركيب فيحتاج الى من يركبه وهو محال وليس له نظير فى ذاته (أو) أى وعدم الاثنينية فى (صفاته العلية) اتصالا أو انفصالا أيضا فوحدانية الصفات تنفى عنه تعالى الكم المتصل والمنفصل فيها أى تنفى العدد فى حقيقة كل واحدة منها متصلا كان أو منفصلا أى أنه تعالى له حياة واحدة وعلم واحد وهكذا الأكثر وليس ثم من يتصف بصفات الألوهية سواه تعالى (و) وحدانية أى عدم الاثنينية فى (الفعل) يعنى أنه تعالى متصف بوحدانية الأفعال فليس ثم من له فعل من الأفعال سواه تعالى إذ كل عاجز ما سواه لا تأثير له فى شىء من الأشياء والمشهور فى إثبات الوحدانية برهان التمانع المشار اليه بقوله تعالى ـ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

والتكملة (قوله تخالف للغير) عطفه على ماقبله من عطف اللازم على الملزوم إذ يلزم من وجوب الوجود والقدم والبقاء والقيام بالنفس مخالفته لكل ماسواه تعالى ولم يكتف بذكر اللازم لما سبق من خطر هذا الفن فلا يكتفى فيه بدلالة الالتزام (قوله من الحوادث) جمع حادث وهو الموجود بعد عدم وهو الجواهر والأعراض (قوله ولا جسم) هو أخص من الجوهر إذ الجسم خاص بالمركب والجوهر صادق به وبالجوهر الفرد (قوله بالكبر) أى الحسى وأما الكبر المعنوى بمعنى العظم فهو من أوصافه قال تعالى فالحكم لله العلىّ الكبير (قوله ولا بالفوقية) أى الحسية وأما المعنوية فقد وصف تعالى نفسه بها قال فى كتابه العزيز وهو القاهر فوق عباده. والحاصل أن معتقد الجهة فيه تفصيل فإن كان جهة السفل فهو كافر لظهور النقص فى اعتقاده وأما غيرها من الجهات فجهل وفسق ولا يكفر إلا باعتقاد الحلول (قوله ولا بالحلول فى الأمكنة) أى وما ورد مما يوهم ذلك فيجب تأويله ففى الحديث ماوسعنى أرضى ولا سمائى وإنما وسعنى قلب عبدى المؤمن وفى الحديث القلب بيت الرب وتأويله أن تقول قوله وإنما وسعنى أى وسع هيبتى ورحمتى وقوله القلب بيت الرب أى محل رحمته وتجليه وذلك لأن النوع الإنسانى مهبط أوامر الله ونواهيه إذ هو المتحمل للأمانة التى عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها (قوله ولا بالاتصال الخ) أى وما ورد مما يوهم الاتصال مؤول ففى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ورجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها وتأويله أن ذلك كناية عن استيلاء محبة الله على الشخص حتى أغنته عن شهود سواه (قوله إذ لو كان مماثلا لها الخ) شروع فى الدليل على المخالفة (قوله واعلم أن العالم الخ) زيادة فى الايضاح (قوله وحدانية) الياء للنسبة والتاء للوحدة والألف والنون للمبالغة كرقبانى وهذه الصفة أهم الصفات ولذا سمى علم التوحيد بها ولم يكفر بضدها إلا بعض الإنس وأما الجن برمتهم فلا يعتقدون الشرك لله سبحانه وإنما الكافر منهم بغير الشرك (قوله أى عدم الاثنينية) مراد بها التعدد مطلقا واقتصر على الاثنينية لأنها مبدأ التعدد (قوله فتنفى التركيب) راجع للمتصل وقوله ووجود ذات أخرى راجع للمنفصل فهو لف ونشر مرتب (قوله فليس ثم من له فعل الخ) هذا هو الكم المنفصل فى الأفعال وأما المتصل فيها فثابت لا ينفى لأن أفعاله كثيرة على حسب شئونه فى خلقه وهذا على مختار الأشعرى من أن صفات الأفعال حادثة وأما على كلام الماتريدى من أن صفات الأفعال قديمة ترجع لصفة واحدة وهى التكوين فالكمان معا منفيان أيضا (قوله برهان التمانع) أى ويقال له برهان التطارد وهذا فى فرض اختلافهما ويقال له برهان التوارد فى فرض اتفاقهما (قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) إلا صفة لآلهة بمعنى غير فهى اسم لكن لم يظهر اعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز أن تكون أداة استثناء لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ أما الأول فلأنه يلزم منه نفى التوحيد إذ التقدير لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا فيقتضى بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل ، وأما الثانى فلأن المستثنى منه

وحاصله أنه لو أمكن التعدد لأمكن التمانع بينهما بأن يريد أحدهما حركة زيد مثلا والآخر سكونه إذ كل منهما أمر ممكن
في نفسه وكذا تعلق
الإرادة بكل منهما وحينئذ
اما أن يحصل الأمران
فيلزم اجتماع الضدين أولا
فيلزم عجزهما أو عجز أحدهما
وهو أمارة الحدوث
والامكان لما فيه من
شائبة الاحتياج فالتعدد
مستلزم لإمكان التمانع
المستلزم للمحال فيكون
التعدد محالا وبما ذكر
اندفع مايقال إنه يجوز أن
يتفقا من غير تمانع
وحاصل الدفع أن الامكان
محال وإن لم يقع تمانع
بالفعل وإذا علمت أنه
تعالى يجب له الوحدانية
(فالتأثير) الاختراع والإيجاد
للأشياء من العدم (ليس)
أي لا يصح لأحد (إلا *
للواحد القهار) وحده
(جل وعلا) فلا تأثير
لقدرتنا في شيء من أفعالنا
الاختيارية كالحركات
والسكنات والقيام
والقعود ونحو ذلك بل
جميع ذلك مخلوق له
سبحانه وتعالى بلا واسطة
كما أن قدرتنا مخلوقة له
تعالى ـ والله خلقكم وما
تعملون ـ أي وخلق
عملكم . فان قلت إذا لم
يكن لنا قدرة على إيجاد
شيء فكيف ينسب لنا
العمل وكيف يصح تكليفنا به ونخاطب به؟ قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وذلك كثير
في الكتاب والسنة . قلنا النسبة إلينا ومخاطبتنا بتحصيله

فرض

يشترط أن يكون عاما وآلهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء. منه كذا قال
المحققون (قوله أنه لو أمكن التعدد) أي في الذات والصفات والأفعال فتدبر (قوله أو عجز أحدهما)
أي وهو من لم يحصل مراده (قوله وحاصل الدفع الخ) أي فالآية حجة قطعية لا دليل إقناعي كما قيل
بل قال في التبصرة ان هذا القول كاد أن يكون كفرا . وإيضاح الآية أنه لو تعدد الإله لم تتكون
السموات والأرض لأن تكونهما إما بمجموع القدرتين أو بإحداهما والكل باطل أما الأول فلأن
شأن الإله كمال القدرة فاذا توجهت لشيء أبرزته وأما الآخر فلما مر فيلزم عجزه فلا يوجد شيء
من العالم وعدم وجود العالم محال لأنه خلاف الحس والعيان فيكون معنى فسدتا لم توجدا قال أبو اسحق
الاسفرايني أجمع أهل الحق على أن جميع ماقاله المتكلمون في التوحيد يرجع إلى كلمتين احداهما
اعتقاد أن كل ماتصور في الأذهان فالله بخلافه ثانيهما اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة بذات
ولا خالية عن الصفات وناهيك بسورة الإخلاص دليلا فانها نفت أصول الكفر الثمانية الكثرة بمعنى
التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير أما الكثرة
والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى قل هو الله أحد والنقص والقلة بقوله الله الصمد والعلة والمعلول
بقوله لم يلد ولم يولد والشبيه والنظير بقوله ولم يكن له كفوا أحد [تتمة] في آية ليس كمثله شيء
سؤال مشهور وهو أن الجمع بين الكاف ومثل يوهم محالا في حقه تعالى لأن الكاف بمعنى مثل والنفي
إنما تسلط عليها وهو باطل من وجهين أحدهما أن المقصود من الآية نفي مثل ذاته لانفي مثل مثله
والآخر أن نفي مثل المثل يقتضي إثبات المثل وهو محال . أجيب عنه بستة أجوبة أحدها أن الكاف
زائدة لغير توكيد الثاني أنها مؤكدة لنفي الشبيه أي انتفى المثل انتفاء مؤكدا لأنه من نفي المؤكد
الذي هو مثل المثل حتى يتوهم بقاء المثل الثالث أن مثل بمعنى المثل بفتحتين أي الصفة الرابع أنه بمعنى
نفس نحو فان آمنوا بمثل ما آمنتم به الخامس أنه من باب الكناية وفيها طريقان ثانيهما هو السادس
وتقرير أولهما أن نفي مثل المثل أريد به نفي المثل لأن مثل المثل لازم للمثل ونفي اللازم يدل على نفي الملزوم
الثاني أنها من باب مثلك لايبخل بمعنى أنت لاتبخل فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه إذ هي أبلغ من
الصريح لتضمنها إثبات الشيء بدليله (قوله وإذا علمت أنه تعالى يجب له الوحدانية) أشار بذلك إلى أن
قوله فالتأثير الخ مفرع على وجوب الوحدانية له تعالى في الذات والصفات والأفعال (قوله والله خلقكم
وماتعملون) استدلال على انفراده تعالى بالإيجاد سواء كانت مامصدرية أو موصولة بمعنى الذي وجعلها
مصدرية كما قال الشرح أولى لأن الحجة النافية ظاهرة وأيضا لايحوج إلى تقدير عائد بخلاف جعلها
موصولة فانه محوج لتقدير العائد أي وخلق العمل الذي تعملونه والحجة فيه خفية والمراد بالعمل
الحاصل بالمصدر وهي الحركات والسكنات لا المعنى المصدري وهو الايقاع أي مقارنة القدرة الحادثة
للحركات إذ هو أمر اعتباري لايتعلق به الخلق بل هو متجدد بنفسه بعد عدم وعلى كل في الآية حجة لنا
على انفراده تعالى بالإيجاد ورد على المعتزلة القائلين ان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية . ان قلت
يحتمل أن العائد على جعلها موصولة يقدر مجرورا أي وخلق الذي تعملون فيه أي الأجساد التي يقع
عملكم فيها فيكون المعنى خلقنا وخلق الذوات التي تحل فيها أعمالنا من أحجار لبناء وشاة لجزار وخشب
لنجار وغير ذلك فحينئذ ليس في الآية دليل على أن الله خالق أفعال العباد فلا وجه للرد بها على المعتزلة
لأن الدليل متى طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال . أجيب بأن هذا احتمال بعيد لعدم شرط
جواز حذفه من كونه جر بما جر به الموصول والموصول هنا لم يجر فلا يخرج كلام الله عليه وعلى

من حيث إنه كسب أو اكتساب لا من حيث إنه ايجاد واختراع وتوضيح ذلك أن قدرته تعالى أبرزت الأشياء على طبق إرادته من العدم إلى الوجود وهذا الابراز هو المسمى بالايجاد والاختراع وهو المراد بتعلق القدرة القديمة وأما قدرتنا فقد تعلقت ببعض الأفعال وهى الأفعال الاختيارية أى التى لنا فيها الاختيار والميل والقصد من غير إيجاد واختراع وهذا التعلق على طبق إرادتنا هو المسمى بالكسب والاكتساب فتعلق قدرة الله تعالى على وفق إرادته تعلق إيجاد وتعلق قدرتنا على طبق إرادتنا تعلق كسب أى تعلق هو كسب لا إيجاد فأفعالنا الاختيارية قد تعلقت بها القدرتان القدرة القديمة والقدرة الحادثة وليس للقدرة الحادثة تأثير وإنما لها مجرد مقارنة فالله تعالى يخلق الفعل عندها لا بها كالاحراق عند مماسة النار للحطب فمن حيث إنه خلق لنا ميلا إلى الشىء وقصدا اليه وخلق لنا قدرة مصاحبة لخلقه تعالى ذلك الذى قصدناه نسب الينا ذلك الفعل وطلب منا إذ هو فى ظاهر الحال يتراءى أنه فعل للعبد وإذا نظر الى دليل التوحيد قطع الناظر بأن الفعل ليس مخلوقا إلا لله تعالى وإلا لزم الشريك له تعالى عن ذلك فعلم أن هذا التعلق عبارة عن مقارنة القدرة الحادثة من غير تأثير وبحسبه تضاف الأفعال للعبد كقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ويترتب الثواب والعقاب بمحض الفضل أو العدل ويسمى العبد حينئذ مختارا وعند خلق الله تعالى الفعل فى العبد بلا قدرة له مقارنة يسمى مجبورا ومضطرا وقد تفضل الله سبحانه علينا فى هذه الحالة باسقاط التكليف ولو شاء لكلفنا عندها أيضا والفرق بين الحركة الاختيارية والاضطرارية مما هو بديهى عند كل عاقل فبطل قول الجبرية بأنه لا قدرة للعبد تقارن فعلا له أصلا بل هو مجبور ظاهرا وباطنا كالخيط المعلق فى الهواء تميله الرياح بلا اختيار له فى شىء أصلا وقول القدرية بتأثير القدرة الحادثة فى الأفعال على طبق إرادة العبد والجبرية كفار قطعا لأن مذهبهم ينفى التكليف الذى جاء به الرسل عليهم السلام وفى كفر القدرية خلاف الأصح عدم كفرهم لأنهم وإن لزمهم إثبات الشريك لله تعالى إلا أنهم لما أثبتوا لله تعالى خلق العبد وقدرته وإرادته صار فعل العبد فى الحقيقة مخلوقا له تعالى وعلم أيضا أنه لا تأثير للأمور العادية فى الأمور التى اقترنت بها فلا تأثير للنار فى الاحراق ولا للطعام فى الشبع ولا للماء فى الرى ولا فى إنبات الزرع ولا للكواكب فى انضاج الفواكه وغيرها ولا للأفلاك فى شىء من الأشياء ولا للسكين فى القطع ولا لشىء فى دفع حر أو برد أو جلبهما أو غير ذلك لا بالطبع ولا بالعلة ولا بقوة أودعها الله فيها بل التأثير فى ذلك كله لله تعالى وحده بمحض اختياره عند وجود هذه الأشياء (ومن يقل) من أهل الضلال كالفلاسفة (بالطبع) أى بتأثير الطبع أى الطبيعة والحقيقة بأن يقول إن الأشياء المذكورة تؤثر بطبعها (أو) يقل (بالعلة) أى بتأثيرها بأن يقول إن الأشياء علة أى سبب فى وجود شىء من غير أن يكون لله تعالى فيه اختيار، والفرق بين تأثير الطبع وتأثير العلة وإن اشتركا فى عدم الاختيار أن التأثير بالطبع يتوقف على وجود الشرط وانتفاء المانع كالاحراق بالنسبة للنار فانه يتوقف على شرط مماسة النار للشىء المحرق وانتفاء مانع البلل فيه مثلا

فرض تسليم وجود الشرط فحذف العائد المنصوب أصل وكثير بخلاف المجرور (قوله من حيث إنه كسب) أى إن كان طاعة وقوله أو اكتساب أى إن كان معصية (قوله تعلق إيجاد) الاضافة بيانية أى تعلق هو إيجاد بدليل ما يأتى فى نظيره (قوله قطع الناظر بأن الفعل ليس مخلوقا إلا لله تعالى) ويسمى عند العارفين بوحدة الأفعال بمعنى أن العارف لا يشهد فعلا لسوى الله تعالى وقد قال العارف فى ذلك

ولى فى خيال الظل أكبر عبرة ... لمن كان فى بحر الحقيقة راق
شخوص وأشكال تمر وتنقضى ... فتفنى جميعا والمحرك باق

وقال بعض العارفين فى هذا المعنى أيضا :

وما الخلق فى التمثال إلا كثلجة ... لها صورة لكن تبدت عن الماء
فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده ... تبدى بوصف الثلج من غير اخفاء
إذا ظهرت شمس الوجود تذيبها ... فترجعها ماء بجاء مع الماء
ومن حجبته صورة الثلج جاهل ... تغطى عليه الأمر من لمع أضواء

(قوله ويترتب الثواب والعقاب) لف ونشر مرتب وكذا قوله بمحض الفضل والعدل أما الفضل فى الثواب فظاهر لأن العبد لا يستحق عند الله شيئا وأما العدل فى العقاب فلأن الله تعالى مالك والمالك يتصرف فى ملكه كيف يشاء فتعذيبه عدل لا ظلم (قوله ولو شاء لكلفنا عندها) أى لأن التكليف بما لا يطاق جائز (قوله فبطل قول الجبرية) بسكون الباء وفتحها وقوله وقول القدرية بالرفع معطوف على قول الجبرية (قوله بتأثير القدرة الحادثة فى الأفعال الخ) أى وبنوا على ذلك أمورا فاسدة باطلة منها أنهم قالوا لو كانت هذه الأفعال مخلوقة لله كما تقولون لكان تعذيب الله له ظلما قلنا التعذيب بالنظر للجزء الاختيارى وهو الكسب قالوا ومن خلق الكسب نقول لهم هو الله ولا يسئل عما يفعل ومنه قولهم لو كان الفعل لله لكان متصفا بذلك الفعل وهو غير لائق مثلا خلق الكفر فى الإنسان فعليه يسمى الله كافرا

وأما التأثير بالعلة فلا يتوقف على ذلك بل كلما وجدت العلة وجد المعلول كحركة الخاتم بالنسبة لحركة الأصبع ولذا كان يلزم اقتران العلة بمعلولها ولا يلزم اقتران الطبيعة بمطبوعها أى لتخلف الشرط أو انتفاء المانع (فذاك) القائل (كفر) أى كافر أو ذو كفر ويصح رجوع اسم الاشارة للقول المفهوم من يقل فالحمل ظاهر على معنى فقوله كفر فيكون القائل به كافرا لأنه أثبت الشريك والعجز لله تعالى عن ذلك (عند) جميع (أهل الملة) أى ملة الإسلام والملة والدين والشريعة عبارة عن الأحكام الشرعية فهى متحدة بالذات لكنها مختلفة بالاعتبار لأن الأحكام الشرعية من حيث إنها تملى لتنقل ملة ومن حيث إنها يتدين بها أى يتعبد بها دين ومن حيث انها شرعت أى بينها الشارع شريعة أى مشروعة. واعلم أن الفلاسفة كما قالوا بتأثير الطبائع والعلل قالوا إن الواجب الوجود أثر فى العالم بالعلة فهو تعالى علة فيه فلذا قالوا إن العالم قديم لأنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول فقد أثبتوا له تعالى عدم الاختيار وعدم القدرة ولاشك فى كفرهم عند المسلمين. والحاصل أن الفاعل بحسب الفرض والتقدير ثلاثة فاعل بالطبع وفاعل بالعلة وفاعل بالاختيار وهو الذى إن شاء فعل وإن شاء ترك وكلها قال بها الفلاسفة والثالث كالإنسان عندهم. وأما المسلمون فلم يقولوا إلا بالأخير ثم هو مخصوص بالواحد القهار سبحانه وتعالى (ومن يقل) من أهل الزيغ إن هذه الأمور العادية تؤثر (بالقوة المودعة) أى بواسطة قوة أودعها الله تعالى فيها كما أن العبد يؤثر بقدرته الحادثة التى خلقها الله تعالى فيه فالنار تؤثر بقوة خلقها الله تعالى فيها وكذا الباقى (فذاك) القائل (بدعى) نسبة للبدعة خلاف السنة لأنه لم يتمسك بسنة السلف الصالح التى أخذوها عن النبى صلى الله عليه وسلم وليس بكافر على الصحيح لما تقدم وإذا كان بدعيا (فلا تلتفت) أى لقوله بل يجب الإعراض عنه والتمسك بقول أهل السنة من أنه لا تأثير لما سوى الله تعالى أصلا لا بطبع ولا علة ولا بواسطة قوة أودعت فيها وإنما التأثير لله وحده بمحض اختيار . فان قلت إن بعض أهل السنة قال بالتأثير بواسطة القوة ورجحه الإمام الغزالى والإمام السبكى كما نقله السيوطى فكيف يكون القائل به بدعيا وفى كفره قولان؟. قلت معنى القول بالتأثير بالقوة عند بعض أئمتنا أن الله تعالى هو المؤثر والفاعل بسبب تلك القوة التى خلقها الله تعالى فى تلك الأشياء. فالتأثير عنده لله وحده وإن كان بواسطة تلك القوة . وأما القدرية فينسبون التأثير لتلك الأشياء بواسطة القوة ففرق بين الاعتقادين ومع ذلك فالراجح الأول وهو أن التأثير له وحده عندها لا بها وإن جرت العادة بأنه إنما يحصل التأثير عندها ثم أشار غفر الله له إلى برهان الصفات السلبية

ولم يقل به أحد . قلنا لهم إن ذلك قائم بالمفعول لا بالفاعل ألا ترى الأشخاص والألوان فانها فعله وليست قائمة به ويرد عليه بالعقل والنقل أما النقل قال تعالى والله على كل شىء قدير وخلق كل شىء فقدره تقديرا إلى غير ذلك وأما العقل فلأن العبد لو كان خالقا لأفعال نفسه لكان عالما بها تفصيلا واللازم باطل فكذا الملزوم وأيضا لا يخلو إما أن يكون حصول هذا الفعل بقدرة الله وقدرة العبد معا فان قالوا نعم قلنا لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وإن قالوا بقدرة العبد فقط قلنا لزم وقوع شى فى الكون قهرا عن الله ولزم أن لا يكون الله تعالى واحدا فى الأفعال وأما قولهم إنه يلزم على كلام أهل السنة أن تعذيب الله للعصاة ظلم فباطل لأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير . وحكى أن القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى قاضى قزوين دخل عند ابن عباد وزير المعز فرأى عنده الأستاذ أبا اسحق الاسفرايينى إمام أهل السنة فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء ففهم السنى مراده فقال سبحان من لا يقع فى ملكه ما لا يريده فقال المعتزلى أيريد ربك أن يعصى فقال له السنى أيعصى ربنا قهرا عليه فقال له المعتزلى أرأيت إن منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء فقال السنى إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فالمالك يفعل فى ملكه كيف يشاء فانصرف الحاضرون وقالوا ليس بعد هذا جواب والله كأنه ألقم حجرا (قوله مثلا) أى وكالرى للعطشان يحصل بالماء إن وجد الشرط وهو مماسة الماء العذب للجوف ولم يكن مانع كعلة فى الجوف وقس (قوله أى لتخلف الشرط الخ) علة لما قبله (قوله أى كافر أو ذو كفر) أى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الكفر على حد زيد عدل (قوله فالحمل ظاهر) أى الاخبار عنه ظاهر واضح لا يحتاج لتأويل (قوله قالوا إن الواجب الوجود الخ) وقد تقدم ذلك (قوله بواسطة قوة) أى فهى عندهم كالآلة للفعل كالقدوم للنجار والابرة للخياط (قوله لما تقدم) أى لكونهم لما أثبتوا الله تعالى خلق العبد وقدرته وإرادته صار فعل العبد فى الحقيقة مخلوقا له تعالى (قوله ففرق بين الاعتقادين) أى فاعتقاد المعتزلى أن التأثير للأشياء بواسطة القوة والسنى أن التأثير لله بسبب القوة (قوله ومع ذلك) أى مع حصول الفرق المذكور (قوله فالراجح الأول) أى وما قال البعض المذكور خلاف الراجح فتحصل أن من قال إن الأسباب العادية تؤثر بذاتها من غير جعل من الله تعالى كفر بالاجماع ومن قال بقوة خلقها الله فيها فمبتدع ومن قال إنها تؤثر بإذن الله لكن بينها وبين ما قارنها ملازمة عقلية فلا يصح التخلف فهو جاهل واعتقاده يئول به إلى الكفر لأنه يستلزم انكار المعجزات

اجمالا بقوله (ولو لم يكن) أى إنما وجب اتصافه بالصفات السلبية لأنه لو لم يكن (متصفا بها) بأن كان غير قديم أو باق أو كان مماثلا للحوادث أو غير قائم بنفسه أو غير واحد فيما مر (لزم * حدوثه) تعالى عن ذلك أما القدم فظاهر وأما البقاء فلأنه لو لم يكن متصفا به لم يكن قديما لأن من ثبت قدمه استحال عدمه وإلا لكان جائز العدم فيحتاج إلى مرجح وكل محتاج إلى مرجح حادث وأما القيام بالنفس فلأنه لو قام بغيره لكان عرضا وقد تقدم بيان حدوث الأعراض أو كان صفة قديمة قائمة بموصوفها فيلزم أن لا يتصف بصفات المعانى لما مر وهو باطل وأما المخالفة للحوادث فلأنه لو ماثل شيئا منها لكان حادثا مثلها وأما الوحدانية فلأنه لو كان له نظير فى ذاته أو صفاته للزم العجز لما مر وكل عاجز حادث (وهو) أى الحدوث عليه تعالى (محال) لا يقبل الثبوت عقلا وهذا إشارة إلى الاستثنائية فهو فى قوة قولنا لكن حدوثه محال (فاستقم) تكملة ولا تخلو عن فائدة وإنما كان حدوثه تعالى محالا (لأنه يفضى) أى يؤدى (إلى التسلسل) إن استمر العدد إلى ما لا نهاية له وهو محال لما مر (و) أى أو يفضى إلى (الدور) إن لم يستمر بأن رجع إلى الأول فيكون الأول متأخرا والمتأخر أولا (و) الدور (هو المستحيل النجلى) أى الظاهر لظهور دليله وقد مر وإذا كان كل من التسلسل والدور محالا فما أفضى إليهما وهو الحدوث يكون محالا وإذا كان الحدوث عليه تعالى محالا ثبت اتصافه تعالى بالصفات السلبية على ما تقدم بيانه وقد تقدم برهان كل صفة على حدتها تفصيلا أيضا عند ذكرها والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، ثم فرّع على ما ذكره من صفات السلوب بعض أسماء وتنزيهات فقال (فهو) سبحانه وتعالى (الجليل) أى العظيم الشأن الذى يخضع لجلاله كل عظيم ويستحقر بالنسبة لعظمته كل فخيم والأظهر أن الجلال يرجع للصفات السلبية والكمالية معا لا لأحدهما فقط كما قيل بكل (والجميل) أى المتصف بصفات الجمال والكمال من علم وحياة وقدرة وإرادة وغيرها وإنما تم بالتنزيه عن كل عيب ونقص مما لا يليق بالجناب

المعجزات وما أخبر به الأنبياء من الغيبيات كأحوال القبر والآخرة إذ هو من باب خرق العوائد التى تتخلف فيها الأسباب العادية عما يقارنها ومن اعتقد عدم تأثيرها فيما قارنها وإنما جعلها مولانا أمارات ودلائل على ما شاء من الحوادث من غير ملازمة عقلية بينها وبين ما جعلت دليلا عليه فهو المؤمن حقا والسنى صدقا كما تفيده عبارة السنوسى فى كتبه (قوله اجمالا) أى وأما تفصيلا فقد تقدم دليل كل منها عند ذكره (قوله أى إنما وجب اتصافه الخ) أشار بذلك الى أن قوله ولو لم يكن الخ علة فى الحقيقة لمحذوف واقع فى جواب سؤال مقدر قدره بقوله إنما وجب الخ (قوله فيما مر) أى فى الذات والصفات والأفعال (قوله متصفا بها) أى بهذه الخمسة بأن انتفى عنه الاتصاف ولو ببعضها (قوله بأن كان غير قديم) أى فقط ومن باب أولى إذا كان غير متصف بجميعها فنفى أى واحد منها يلزم منه الحدوث تعالى الله عنه (قوله فظاهر) أى لأنه لا واسطة بين القدم والحدوث فإن انتفى عنه القدم فقد ثبت له الحدوث (قوله ولو لم يكن متصفا به) أى بالبقاء بمعنى وجوب البقاء (قوله لو لم يكن قديما) أى لوجود التلازم بينهما إذ من جاز عليه العدم يستحيل عليه القدم (قوله وإلا لكان جائز العدم) أى وإن لم يستحل العدم لكان الخ ومن باب أولى وجوب العدم فذكر الجائز اقتصار على الشق المتوهم (قوله فلأنه لو قام بغيره) أى بأن كان صفة بحادثة (قوله وهو باطل) أى كونه صفة سواء كانت حادثة أو قديمة وهذا هو أحد شقى القيام بالنفس وترك الآخر وهو عدم احتياجه للمخصص لوضوحه وعلمه من دليل القدم والبقاء (قوله لما مر) أى من برهان التمانع (قوله وهذا إشارة إلى الاستثنائية) أى لأنه ذكر المقدم بقوله ولو لم يكن متصفا بها والتالى بقوله لزم حدوثه وحذف النتيجة لوضوحها وهى عدم اتصافه بها محال لأن استثناء التالى ينتج نقيض المقدم (قوله ولا تخلو عن فائدة) أى وهى أنه لما كان بصدد إقامة الدليل على ثبوت الصفات السلبية وكان مقاما تزل فيه الأقدام وقد خالف فى ذلك بعض فرق نبه الطالب على الاستقامة على الطريق القويم (قوله فما أفضى اليهما) أى بالوسائط كما هو معلوم من تقرير البرهان (قوله وقد تقدم برهان كل صفة) أى فى الشارح (قوله والحمد لله الذى هدانا لهذا) اقتباس من الآية الكريمة المحكية عن أهل الجنة إشارة إلى عظم نعمة المعرفة بالله تعالى إذ هى جنة الشهود المعجلة لأولياء الله تعالى فى الدنيا فمن أجل ذلك حمد بحمد أهل الجنة (قوله فهو الجليل) الفاء للفصيحة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره إذا علمت ما ذكر من تلك الصفات فهو تعالى الجليل الخ (قوله يرجع للصفات السلبية والكمالية معا) أى فهو من الصفات الجامعة فالجلال فى حقه تعالى هو التنزه عن النقائص والاتصاف بالكمالات (قوله كما قيل بكل) أى بأنه يرجع للصفات السلبية فقط والكمالية فقط (قوله وإنما تم) أى صفات الجمال والكمال فتحصل أن الجمال والجلال من الصفات الجامعة للتنزيه عن النقائص والاتصاف بالكمالات لكن مظهر الجلال الانتقام والغضب ومظهر الجمال الرحمة والفضل

الأعز الأحمى ويندرج فى ذلك اللطف والحلم والكرم والعفو وغيرذلك مما لايحصى إذهى ترجع للارادة أوسع القدرة وجلاله ترى العارفين أنه تعالى من هيبته خاشعين وجماله تراهم من حبه مولهين (والولى) أى مالك الخلائق ومتولى أمورهم (والطاهر) أى المنزه عن كل مالا يليق به (القدوس) من القدس وهو الطهر أى المعظيم التنزيه عن كل نقص (والرب) أى المالك ومربى الخلائق (العلى) أى المرتفع القدر المبرأ عن كل عيب (٤٢) (منزه) أى هو منزه ومطهر (عن الحلول) فى الأمكنة أوحلول السريان كسريان الماء فى العود الأخضر (و) عن (الجهة) لشىء فلا يقال إنه فوق الجرم ولا تحته ولا يمينه ولا شماله ولا خلفه ولا أمامه (و) منزه عن (الاتصال) فى الذات أوبالغير وعن (الانفصال) فلا يقال إنه متصل بالعالم ولا منفصل عنه لأن هذه الأمور من صفات الحوادث والله ليس بحادث وقد تقدم أن العالم وإن عظم فى نفسه فهو فى جانب باهر قدرته كأنه ليس بشىء فكيف يكون العلى الكبير الغنى القدير حالا أومتصلا أو منفصلا فى شىء حقير فقير هو فى نفسه عدم قال العارف ابن عطاء الله فى الحكم أيا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم اه سبحانه قد دلت على وجوب وجوده آياته وشهدت بوحدانيته مصنوعاته واشتبه الأمر على أقوام وقوفا مع الأمور العادية وتمسكا بظواهر نصوص شرعية فقال قوم بالجهة وقال آخرون بالجسمية ويلزم منهما الحلول والاتصال أوالانفصال تقدس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وأجاب أئمتنا سلفهم بأن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث مع تفويض معانى هذه النصوص إليه تعالى إيثارا للطريق الأسلم ومايعلم تأويله إلا الله. وخلفهم بتعيين محامل صحيحة ابطالا لمذهب الضالين وارشادا للقاصرين فحملوا اليد على القدرة والوجه على الذات والاستواء على الاستيلاء .

والرضا (قوله الأعز) أى عديم المثيل وقوله الأحمى أى المحمى المنزه عن كل ما لايليق به (قوله وغير ذلك) أى من باقى أسمائه الحسنى وصفاته الحسنى لأن سائر أسمائه وصفاته الواردة تتائج تلك الصفات (قوله إذ هى ترجع للارادة) أى صفة الذات وقوله أوسع القدرة أى تعلقها وهى صفة الفعل فيقال فى اللطف هو إرادة الإحسان أوهو نفس الإحسان والحلم هو إرادة ترك الانتقام أوهو ترك الانتقام وهكذا (قوله من هيبته خاشعين) أى خاضعين متذللين من شهود هيبته تعالى (قوله تراهم من حبه مولهين) أى هائمين فتحصل أن العارفين بربهم إذا تجلى عليهم بالجلال خشعوا وخضعوا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولوكانوا فى أعز النعيم وإذا تجلى عليهم بالجمال تولهوا وتهيموا وازدادوا فرحا وسرورا لوكانوا فى ضيق الحال رضى الله عنهم وعنابهم (قوله ومتولى أمورهم) أى متصرف فيها فلا يكلهم لغيره قال تعالى الله ولى الذين آمنوا، أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى (قوله أى المعظيم التنزيه) من إضافة الصفة للموصوف أى التنزيه العظيم (قوله ومربى الخلائق) أى منميهم شيئا فشيئا الى الحد الذى أراده (قوله المبرأ عن كل عيب) تفسير لما قبله (قوله أى هو منزه) أشار بذلك الى أن قوله منزه خبر لمبتدا محذوف (قوله أوحلول السريان) أى فى الأشياء بحيث يسرى فى كل جزء منها (قوله الاتصال فى الذات) أى بأن يكون مركبا تتصل أجزاؤه ببعضها وقوله أوبالغير أى فليس متصلا بالعالم بحيث يكون حالا أوساريا فيه (قوله كيف يظهر الوجود) أى صاحب الوجود الواجب وهو وجود الله تعالى وقوله فى العدم أى فى صاحبه وهو ماسواه تعالى (قوله أم كيف يثبت الحادث) أى على سبيل الاتصال والانفصال وهو ماسواه تعالى وقوله مع من له وصف القدم أى وهو الله تعالى (قوله سبحانه قد دلت على وجوب وجوده الخ) هذا نتيجة ماقبله أى وحيث علمت مما تقدم اتصافه تعالى بتلك الصفات فهو سبحانه قد دلت الخ وفى الكلام حذف الواو مع ماعطفت أى وتنزيهه عن النقائص وانما قلنا ذلك ليصح ترتب قوله واشتبه الأمر الخ عليه لأنه لايترتب إلا على التنزه عن النقائص فتدبر (قوله واشتبه الأمر على أقوام) أى وهم المعتزلة وقوله وقوفا علة لما قبله أى اختلط الأمر عليهم من أجل وقوفهم الخ وقوله وتمسكا عطف على وقوفا (قوله بظواهر نصوص شرعية) أى والأخذ بالظواهر أصل من أصول الكفر (قوله سلفهم) بدل من أئمتنا وقوله فيما يأتى وخلفهم عطف على سلفهم والمراد بالسلف ماقبل الخمسمائة ومنهم الأئمة الأربعة (قوله والاستواء على الاستيلاء) أى لأنه أحد معنيين ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وفى آخر حكم ابن عطاء الله السكندرى يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته كما صارت العوالم غيبا فى عرشه فهو يشير إلى أن معنى الآية أن العرش وإن كان أكبر المخلوقات وكلها مغيبة فيه هو صغير بالنسبة لرحمة الله ومغيب فيها كما غيبت العوالم فيه ويؤيده قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شىء. وسأل الزمخشرى أباحامد الغزالى عن هذه الآية فأجابه بقوله إذا استحال أن تعرف

تمسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بأين أوكيف وهو مقدس عن الأين والكيف ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عنى ماأقول ... قصر القول فذا شرح يطول
* ثم سر غامض من دونه ... ضربت والله أعناق الفحول
أنت لاتعرف إياك ولا ... تدرى من أنت ولا كيف الوصول
لا ولاتدرى صفات ركبت ... فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها ... لا ولا تدرى متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقل لى ياجهول
أنت أكل الخبز لاتعرفه ... كيف يجرى منك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التى ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدرى من على العرش استوى ... لاتقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يرى ... فلعمرى ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لافوق له ... وهو فى كل النواحى لايزول
جل ذاتا وصفات وسما ... وتعالى قدره عما تقول

(قوله وهكذا) أى فتؤول الفوقية فى قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم بالتعالى فى العظمة دون المكان والنزول فى حديث ينزل ربنا بنزول رحمته أوملك ينادى وكذا يقال فى كل موهم معنى غير لائق ورد فى كتاب أوسنة (قوله الا أن الخلف عينوا الخ) فارتكاب أحدهما كاف فى العقيدة والشخص مخير فى اتباع أيهما شاء لأنهما متفقان على تنزيهه تعالى عن المعنى المحال وعلى الإيمان بأنه من عند الله جاء به رسول الله لكنهم اختلفوا فى تعيين معنى صحيح وعدم تعيينه (قوله بعض أهل العرفان) هو حجة الإسلام الغزالى واستشكل قوله قديما بأنه يوهم العجز وهو عليه محال تعالى الله عنه . وأجيب عنه بأجوبة منها أن المراد بالإمكان إمكان الخلائق فالمعنى ليس فى إمكان الخلائق تغيير ماأراده الله وأبدعه فالمنفى تعلق قدرة الخلق ومنها أن المراد إمكان الله باعتبار تعلق علمه أزلا بإيجاد هذا العالم على هذا النظام وتعلق القدرة التنجيزى لايكون الا على طبق ماسبق به العلم وإلا لانقلب العلم جهلا فليس من الممكن إيجاد عالم غير هذا الوجود وأما قوله تعالى إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم فباعتبار الجواز العقلى بقطع النظر عن تعلق العلم ومنها أن المراد ليس فى الإمكان جعل الحادث قديما لعدم تعلق القدرة بذلك لأن الشىء إماقديم أوحادث فالحادث يستحيل خروجه عن وصف الحدوث إلى القدم ولوزيد فى اتقانه مهما زيد لايخرج عن وصف الحدوث والافتقار وذكر شيخنا الأمير نقلا عن ابن العربى والشعرانى مايفيد ذلك (قوله ولما فرغ من الكلام على الصفات السلبية) أى بعد ذكر الصفة النفسية التى هى الوجود (قوله وقدمها لأنها من باب التخلية الخ) أى واقتداء بالكتاب العزيز حيث قال ليس كمثله شىء وهو السميع البصير حيث قدم النفى الذى هو من القسم الأول على الإثبات الذى هو من القسم الثانى (قوله ثم المعانى) ثم للترتيب الذكرى الاخبارى لا للترتيب فى الزمان إذ لا تأخير فى الوجوب (قوله المسماة بالمعانى) أى فى اصطلاح المتكلمين وتسمى أيضا بالصفات الذاتية لأنها

السلف أسلم وطريق الخلف أعلم. والحاصل أنه لابد من تأويل أى حمل اللفظ على غير ظاهره إلا أن الخلف عينوا الحامل فتأويلهم تفصيلى وتأويل السلف اجمالى فقول العلامة اللقانى وكل نص أوهم التشبيها أوله أى تفصيلا وقوله أوفوض أى بأن تؤوله اجمالا على معنى أنك لاتعين له محلا بدليل قوله بعده ورم تنزيها وأو فى كلامه رحمه الله للتخيير (و) منزه أيضا عن (السفه) وهو وضع الشىء فى غير محله إذ هو المدبر الحكيم الخبير العليم ولذا قال بعض أهل العرفان لما شاهد من عجيبه الاتقان: ليس فى الإمكان أبدع مما كان . ولما فرغ من الكلام على الصفات السلبية شرع فى بيان صفات المعانى وقدمها لأنها من باب التخلية والمعانى من باب التحلية وشأن التخلية أن تقدم على التحلية فقال (ثم المعانى) أى ثم بعد أن عرفت ما تقدم من النفسية والسلبية فيجب عليك معرفة الصفات المسماة بالمعانى لأن كل واحدة منها معنى قائم بذاته تعالى ومرادهم بصفات المعانى الصفات الوجودية أى التى لها وجود فى نفسها قديمة كانت أوحادثة كعلمه وقدرته تعالى وكعلمنا وقدرتنا والبياض والسواد. والحاصل أن الصفات إن كانت وجودية سميت

صفات معان وإن لم تكن
وجودية فان كان مدلولها
عدم أمر لايليق سميت
سلبية وإن لم يكن مدلولها
عدما فان كانت واجبة
للذات مادامت الذات معللة
بعلة سميت صفة نفسية
وحالا نفسية كالوجود
وكالتحيز للجرم وقبوله
للأعراض وإن كانت
معللة بعلة بأن كانت
واجبة للذات مادامت علتها
سميت معنوية كالعالمية
والقادرية أى كون الذات
المتصفة بالعلم عالمة وكون
المتصفة بالقدرة قادرة
نسبة إلى المعانى وهى
(سبعة للرائى) أى الناظر
المتأمل ثم فسرها بقوله
(أى علمه) وماعطف عليه
(المحيط بالأشياء) كلها
واجبها وجائزها ومستحيلها
فليس مراده بالأشياء
الموجودات فقط كما هو
المتعارف عندهم وهو صفة
أزلية تنكشف بها
الموجودات والمعدومات
على ماهى عليه انكشافا
لايحتمل النقيض بوجه
و(حياته) تعالى وهى صفة

لاتنفك عن الذات والوجودية لأنها متحققة باعتبار نفسها وهى فى اللغة ماقابل الذات فيشمل النفسية والسلبية والمعنوية ، وفى الاصطلاح كل صفة قائمة بموصوف زائدة على الذات موجبة له حكما لخرج بقولنا قائمة بموصوف السلبية وبقولنا زائدة على الذات النفسية لأنها عين الذات وبقولنا موجبة له حكما المعنوية لأنها نفسها حكم وعلى القول بأنها أمور اعتبارية فقد خرجت بقولنا قائمة بموصوف وهذا التعريف للمعانى من حيث هى كانت لقديم أوحادث وحينئذ فالفرق بين صفات القديم والحادث أن صفات القديم قديمة ولاتسمى أعراضا وصفات الحادث حادثة وتسمى أعراضا (قوله صفات معان) الإضافة للبيان (قوله سلبية) ليس المراد بكونها سلبية أنها مسلوبة عن الله ومنفية عنه وإلا لزم أن يثبت له الحدوث والعدم والمماثلة للحوادث مثلا بل المراد بكونها سلبية أن كل واحدة منها سلبت أمرا لايليق به جل وعز (قوله فإن كانت واجبة للذات) أى ثابتة لها على طريق الوجوب بحيث لايمكن انفكاكها عن الذات ولما كان هذا يوهم القصر على النفسية القديمة وعدم شموله للنفسية الحادثة أتى بقوله مادامت الذات دفعا لذلك الايهام والمراد بالذات مطلق الشىء سواء كان قائما بنفسه كالجوهر أو قائما بغيره كالعرض ألا ترى أن اللون عرض قائم بغيره ومع ذلك له صفة نفسية لايمكن انفكاكها عنه مادام موجودا وهى قيامه بالغير (قوله مادامت الذات) مامصدرية ظرفية معمولة لقوله واجبة للذات ودام تامة لاخبر لها أى مدة دوام الذات وفيه إشارة إلى أن الأمر النفسى لايتخلف عن الذات التى ذلك الأمر نفسى لها (قوله غير معللة بعلة) ليس خبرا لدام لماعلمت أنها تامة لاخبر لها بل هو حال من الضمير فى واجبة ولايصح أن تكون ناقصة وغير معللة خبرها لأن الذات لاتعلل أى لاتلازم غيرها فالمراد بالتعليل التلازم وليس المراد به التأثير فى المعلول إذ لايقول به أهل السنة (قوله وكالتحيز للجرم) المراد بالجرم ماقام بذاته سواء كان جسما أوجوهرا فردا والمراد بتحيزه أخذه قدرا من الفراغ وفى تمثيل الشارح بالتحيز إشارة لما قلنا من أن هذا فى الصفة النفسية مطلقا قديمة وحادثة (قوله أى كون الذات المتصفة بالعلم عالمة) أى فتكون الذات عالمة معلل بالعلم أى ملازم له فالمراد بالعلة الملزوم والمراد بالمعلول اللازم (قوله نسبة الى المعانى) مرتبط بقوله سميت معنوية (قوله وماعطف عليه) دفع به مايقال إن العلم وحده ليس تفسيرا للمعانى كلها (قوله واجبها وجائزها ومستحيلها) جواب عن سؤال مقدر تقديره الشىء هو الموجود فيقتضى قصر تعلق العلم على الموجودات مع أنه يتعلق بالمعدومات أيضا فأجاب بأنه ليس المراد بالشىء المصطلح عليه بل المراد به الأمر الصادق بالموجود والمعدوم (قوله صفة أزلية الخ) اعلم أن الناس اختلفوا فى العلم هل يحد أولا فقال بعضهم إنه لايحد لظهوره وأنه كاشف لغيره فهو غنى عن أن يظهره غيره ولعسره إذ لم يحد بحد إلا نوزع فيه والقائلون بحده لهم فيه تعاريف كثيرة وأكثرها مدخول وأصحها قولنا هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق احاطة وانكشاف (قوله ينكشف) المراد بالانكشاف التميز والاتضاح . إن قلت التعبير بينكشف يوهم حدوث الانكشاف لأن المضارع يدل على الحال والاستقبال وهو لا يناسب علم الله تعالى أجيب بأن الأفعال الواقعة فى التعاريف مجردة عن الزمان ولادلالة لها عليه فكأنه قيل صفة يحصل بها انكشاف ماتعلقت به كذا قيل. وأنت خبير بأن الفعل وإن كان الملاحظ منه المصدر وهو الانكشاف إلا أن التعبير بالانكشاف هنا غير لائق من جهة انه انفعال يوهم حدوث إيضاح بعد خفاء (قوله الموجودات والمعدومات) دخل فيه العلم نفسه فيعلم بعلمه علمه كما يعلم به ذاته وسائر صفاته لأن كل صفة ليست من صفات التأثير لايستحيل تعلقها بنفسها وبغيرها (قوله لايحتمل النقيض بوجه) أى لابحسب الذهن ولابحسب الخارج عند العالم أما عند غيره فلا إذ كثيرا ما يعلم

أزلية توجب صحة العلم والإرادة (وقدرة) وهى صفة أزلية يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه و (إرادة) وهى صفة أزلية تخصص للممكن ببعض ما يجوزعليه من وجود أوعدم ومقدار وزمان ومكان وجهة إذ لو لم يتصف بواحدة من هذه الصفات الأربعة لاتصف بأضدادها من جهل وموت وعجز وعدم قصد إلى شىء والمتصف بأضدادها لايمكنه أن يخلق شيئا من العالم البديع الإتقان كيف والعالم موجود على أتم النظام وسيأتى لهذا مزيد بيان . ثم ذكر مسئلة تتعلق بالإرادة وقع فيها النزاع بيننا وبين المعتزلة بقوله (وكل شىء كائن) أى موجود من الجواهر والأعراض وهذا مبتدأ وجملة قوله (أراده) أى أراد وجوده خبره فلا يقع فى ملكه تعالى إلا ما يريد وهذا إذا كان الكائن قد أمر الله به كإيمان أبى بكر رضى الله عنه وكذا إيمان بقية المؤمنين بل (وان يكن بضده) أى بضد ذلك الكائن (قد أمرا) بألف الاطلاق والضمير يعود عليه تعالى أى وإن كان ذلك الكائن قد أمر الله تعالى بضده ككفر أبى جهل لعنه الله وكذا كفر بقية الكافرين فانه كائن وقد أمر الله بضده وهو الإيمان ونهى عنه ومع ذلك هو مراد له تعالى بدليل وقوعه والحاصل أن كل كائن أى واقع فهو مراد له تعالى سواء أمر به أولا ومفهومه أن مالم يكن فهو غير مراد الوقوع سواء أمر به كالايمان من أبى جهل أولم يأمر به كالكفر من المؤمنين فالأقسام أربعة كما يأتى وإذا عرفت ذلك (فالقصد) يعنى الإرادة (غير الأمر) بالشىء بل ولا يستلزمه كما أنه لا يستلزمها لما علمت أنهما قد يجتمعان فى شىء كإيمان أبى بكر وقد ينفردان وذلك لأن الإرادة صفة تخصص الممكن ببعض مايجوز عليه والأمر يرجع للكلام النفسى كالنهى (فاطرح) أى اترك (المرا) وهو الجدال والنزاع الباطل من المعتزلة الذاهبين إلى أنه تعالى يقع فى ملكه مالا يريد بناء على اتحاد الإرادة والأمر وهو تعالى لايأمر بالفحشاء فلا يريد القبائح كالكفر والمعاصى وإلالزم أنه يأمر بها وهو باطل وحينئذ فهو تعالى لم يرد من الفاسق إلا إيمانه وطاعته لا كفره ومعصيته قالوا ولأن إرادة القبيح قبيحة كخلقه وإيجاده فعندهم أكثر ما يقع من أفعال العباد ليس بإرادة الله ولا بخلقه وإيجاده وإنما هو بمراد العبد وإيجاده ، وهو شنيع هذا ونحن نمنع اتحاد الإرادة والأمر

الإنسان شيئا ويتردد فيه غيره أوينفيه (قوله أزلية) خرجت الحادثة وقوله توجب صحة العلم والإرادة أى وباقى صفات المعانى والمعنوية وذلك بأن تقول الله متصف بالصفات المعانى والمعنوية وكل من كان كذلك تجب له الحياة ينتج الله يجب له الحياة إذ لايتصور قيامها بغير حى وحياة الله لا بروح بخلاف حياة الحادث فانها بالروح (قوله وقدرة) هى لغة القوة واصطلاحا ماقاله الشارح (قوله أزلية) لم يقل قديمة اما بناء على أن القديم والأزلى مترادفان أوعلى أن الأزلى أعم من القديم لأنه يشمل الذات والصفات والمعدوم والموجود وتخصيص القديم بالذات الواجب الوجود (قوله يتأتى بها إيجاد كل ممكن) دخل فيه أفعالنا الاختيارية ففيه رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وقوله واعدامه هذا هو المشهور وقيل لاتتعلق بالاعدام بل إذا أراد الله اعدام شىء أمسك عنه المدد والتعاريف فى صفات البارى جل وعلا ليست حدودا حقيقية وإنما هى رسوم لأنه لايعلم كنه ذاته وصفاته إلا هو. واعلم أن أعدامنا الأزلية لا تتعلق بها القدرة ولا الإرادة اتفاقا لوجوبها وأما أعدامنا فيما لايزال السابقة على وجودنا ووجودنا بعد عدمنا واستمرار وجودنا واعدامنا بعد وجودنا وإيجادنا يوم القيامة فمن تعلقات القدرة والإرادة (قوله إرادة) هى لغة القصد واصطلاحا ماقاله الشارح وهذا مذهب أهل السنة وعند الجبائى هى صفة زائدة على الذات قائمة لا بمحل وعند الكرامية صفة حادثة قائمة بالذات وعند ضرار نفس الذات وعند النجار صفة سلبية هى كون الفاعل ليس بمكره ولاساه والحق مذهب أهل السنة الذى ذكره الشارح (قوله تخصص الممكن) خرج به ماعداها من الصفات (قوله من وجود أوعدم) بيان لبعض مايجوز عليه قصد به تعداد الممكنات المتقابلات وهى ستة جمعها بعضهم بقوله :

المكنات المتقابلات وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات كذا المقادير روى الثقات

وقد أسقط الشارح سادسها وهو الصفة (قوله إذ لو لم يتصف الخ) شروع فى الاستدلال على ثبوت هذه الأربعة لأن دليلها عقلى لتوقف صنع العالم عليها بخلاف باقى الصفات الثلاثة فدليلها سمعى (قوله وهذا مبتدأ) أى لفظ كل وشىء مضاف إليه وكائن صفته (قوله وهذا إذا كان الكائن الخ) دخول على كلام المتن إشارة إلى أن قوله وان يكن الخ مبالغة فى محذوف (قوله بألف الاطلاق) أى وليست للتثنية (قوله لما علمت أنهما قد يجتمعان فى شىء) أى فبينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان فى مادة وينفرد كل واحد فى مادة (قوله كإيمان أبى بكر) أى وسائر المؤمنين (قوله بناء على اتحاد الإرادة والأمر) هذا قول بعض المعتزلة وقال بعضهم انهما غيران إلا أن تعلق الإرادة تابع للأمر (قوله وحينئذ فهو تعالى الخ) هذا من جملة كلام المعتزلة (قوله وهو شنيع) أى لأنه يلزم وقوع شىء فى الكائنات قهرا عليه فيلزمه إثبات

بدليل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والقبيح إنما هو كسب القبائح والاتصاف بها لاخلقها وإرادتها وبالجملة ماذهبوا إليه يشهد بفساده العقل والنقل (فقد علمت) من قولنا وكل شيء كائن أراده الخ منطوقا ومفهوما (أربعا أقساما) عطف بيان لأربع (فى الكائنات) جمع كائنة أى ذات كائنة القسم الأول مأمور به ومراد كايمان أبى بكر الثانى عكسه كالكفر منه الثالث مأمور غير مراد كالايمان من أبى جهل الرابع عكسه ككفره (فاحفظ) هذا (المقاما) فانه قد زلت فيه أقدام المعتزلة ومعرفته واعتقاده على الوجه المتقدم هو مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفهم وخامس صفات المعانى (كلامه) تعالى وهو صفة أزلية نفسية ليست بحرف ولاصوت تدل على جميع المعلومات (و) سادسها (السمع و) سابعها

العجز تعالى الله عن ذلك (قوله بدليل ماشاء الله كان الخ) هذا لفظ حديث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله منطوقا) أى وهو أن ماشاءه وقع وان لم يأمر به وقوله ومفهوما أى وهو أن مالم يشأه لم يقع وان أمر به (قوله مأمور به ومراد الخ) عدل الشارح رضى الله عنه عن التقسيم المشهور وهو قولهم فقد يأمر ويريد الخ لما فيه من التجوز فان التقسيم للتعلق وهو المأمور به والمراد لا للأمر والإرادة (قوله نفسية) أى قائمة بالنفس أى الذات وعبر عنها بنفسية دون سائر الصفات ردا على المعتزلة القائلين ليس لله كلام نفسى بل معنى كونه متكلما خلق الكلام (قوله ليست بحرف ولاصوت) الحرف أخص من الصوت ولما كان لايلزم من نفى الأخص نفى الأعم ذكر الأعم بعده وإنما كان الصوت أعم من الحرف لأن الكيفية الحاصلة عند انضغاط الهواء وانحباسه بشىء صوت سواء انحبس فى مخرج من مخارج الحروف ويقال له حرف وصوت أو فى غير ذلك ويقال للكيفية الحاصلة حينئذ صوت فقط . واعلم أن كلام الله تعالى يطلق بالاشتراك على الحسى والنفسى الذى هو الصفة القديمة فهو حقيقة عرفية فى كل فالحسى ما كان بحرف وصوت ومدلوله بعض مدلول الكلام النفسى القديم القائم بذاته تعالى والنفسى ماليس بحرف ولاصوت ولايوصف بتقديم ولاتأخير ولاتقسيم ولابداية ولانهاية وهو قديم ليس بمخلوق فالكتب السماوية دالة على بعض مدلول الكلام النفسى ولايحيط بكل مدلوله إلا هو لأن مدلول الكلام النفسى الواجبات والمستحيلات والجائزات تفصيلا وأما الكتب السماوية فقد دلت على بعض الواجبات تفصيلا وكل الواجبات اجمالا وكذا المستحيلات والجائزات وتكليم الله لموسى على الجبل كان بالكلام النفسى على التحقيق عند الأشاعرة وبعض الماتريدية خلافا للمعتزلة والبعض الآخر من الماتريدية فتقسيم الكلام إلى أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد إنما هو لتلك المدلولات التى دل عليها الكلام الحسى وأما الصفة القديمة فيستحيل انقسامها كما علمت أخرج الطبرانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوحى الله إلى موسى عليه السلام إنى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى، وأخرج القضاعى أن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة فأشرق وجهه بالنور لما جاء من عند ربه ليعرف الناس صدق ماادعاه فمارآه أحد إلا عمى فكان يمسح الرائى إليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره فتبرقع لئلا تذهب أبصار الناس عند رؤيته وبقى البرقع على وجهه إلى أن مات وكان يسد أذنيه بعد رجوعه من المناجاة مدة لئلا يسمع كلام الناس فيموت من وحشة قبحه وصار يسمع دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ وقال سيدى على الخواص نشأة أهل الجنة مخالفة لنشأة الدنيا التى نحن عليها صورة ومعنى كما أشار إليه حديث ان فى الجنة مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فيبصر الإنسان فى الجنة بسائر جسده ويسمع كذلك ويأكل كذلك ويشم كذلك وينطق كذلك ويدرك كذلك وهذا القدر القليل من أحوال الجنة يبعده عقل من يسمع ذلك فكيف بغير القليل مما هو أعظم من ذلك قال ولم أر أحدا تكلم على ماذكرته غير سيدى عمر بن الفارض فى تائيته انتهى ملخصا من السحيمى على الشيخ عبد السلام أى حيث قال :

يشاهد منى حسنها كل ذرة ... بها كل طرف جال فى كل طرفة
ويثنى عليها فى كل لطيفة ... بكل لسان جال فى كل لفظة
وأنشق رياها بكل رقيقة ... بها كل أنف ناشق كل هبة
ويسمع منى لفظها كل بضعة ... بها كل سمع سامع متنصت
ويلثم منى كل جزء لثامها ... بكل فم فى لثمه كل قبلة

فاذا علمت ذلك فلا يستغرب قول العلماء ان موسى سمع الكلام بجميع أجزائه من جميع جهاته

(الإبصار) يعنى البصر فقد أطلق اسم المسبب وأراد السبب مجازا يدل على مراده أن الكلام فى المعانى وكنا مايأتى فى التعلق ولو قال ثم البصر لكان أوضح والسمع والبصر صفتان أزليتان ينكشف بهما جميع الموجودات انكشافا تاما والانكشاف بهما يغاير الانكشاف بالعلم كما أن الانكشاف بإحداهما يغاير الانكشاف بالأخرى . ثم فرع على صفات المعانى فى الجملة إذ التفريع إنما يظهر على الأربعة الأول قوله (فهو الاله) أى المعبود بحق (الفاعل المختار) أى الذى ان شاء فعل وان شاء ترك وربك يخلق مايشاء ويختار لا أنه فاعل بالطبع أو بالعلة خلافا للفلاسفة الملعونين ولذا قالوا بقدم العالم لأنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول ونفوا عن الله تعالى صفاته الذاتية وهو مذهب باطل وكفر صراح . ومما يدل على بطلانه تنوع العالم إلى أنواع مختلفة فبعضه جماد وبعضه حيوان وبعضه ظلمانى وبعضه نورانى وبعضه حلو وبعضه مرّ إلى غير ذلك كما أشار له الكتاب العزيز فى كثير من الآى قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون فهذا يشير إلى أن هؤلاء الخاسرين ليسوا بعقلاء إذ فعل العلة والطبيعة ليس إلا شيئا واحدا غير مختلف أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت، أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ولكن من يضلل الله فماله من هاد . ومما بنوه على مذهبهم عدم المعاد الجسمانى وقد زخرفوا مذاهبهم بشبه ظنية خيالية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فضلوا وأضلوا حتى ظن كثير من الناس أن هذه الزخارف علم بل فضلوا المتمسكين بها على علماء الشريعة كلا سوف يعلمون ثم كلا سوف يعلمون . واعلم أن من اشتغل بعلم الفلاسفة قل أن تنجو عقيدته من ظلمة أقلها كثرة التشكيك والوسوسة التى تجره إلى الابداع أو إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فالحذر من الاشتغال بخرافاتهم على أن المطلوب من العبد إنما هو عبادة الله اعتقادا وعملا لينجو من النار فى الآخرة والعلم من حيث إنه علم لاينجى من عذاب الله مالم يعمل به والعبادة المطلوبة شرط صحتها العلم فينبغى للعاقل أن يقتصر من العلم على مابه العمل وهو العلم الشرعى وهو ثلاثة أنواع علم أصول الدين وعلم الفقه وعلم التفسير وما يتصل بذلك من آ لاتها كعلم النحو والمعانى والبيان بخلاف علوم الفلاسفة فانها بطالة ان سلم صاحبها من الضلال وإلا فهى عين الوبال

(قوله الابصار) بكسر الهمزة مصدر أبصر (قوله فقد أطلق اسم المسبب) مفرع على قوله يعنى (قوله يدل على مراده) أى الذى هو البصر وقوله أن الكلام فى المعانى أى فى صفات المعانى القائمة بالذات الوجودية (قوله ولو قال ثم البصر لكان أوضح) أى مع تغير تركيب البيت وإلاضاع الوزن (قوله بجميع الموجودات) أى عند السنوسى والأشعرى فلايخص البصر بالمبصرات والسمع بالمسموعات خلافا للسعد (قوله يغاير) أى فى الحقيقة ونفس الأمر وان كنا لانطلع على ذلك وبهذا اندفع ما أورد أن العلم والسمع والبصر متعلقات بكل موجود فيلزم اما تحصيل الحاصل ان كان ماتعلق به أحدها تعلق به الباقى أو خفاء بعض المعلومات عن العلم إن كان ماتعلق به السمع والبصر لم يتعلق به العلم وكلا الأمرين محال ودليل هذه الصفات الثلاثة نقلى من الكتاب والسنة والإجماع والتواتر قال تعالى وكلم الله موسى تكليما وهو السميع البصير وأجمع أهل الأديان والعقلاء على أنه تعالى سميع بصير متكلم والمشتق يدل على المشتق منه خلافا للمعتزلة النافين للمعانى حيث قالوا سميع بذاته وهكذا وإنما كانت أدلة هذه الثلاثة نقلية لأن إيجاد العالم ليس متوقفا عليها لأن صفة العلم مغنية فان كان الغرض أن علمه محيط بحقائق الواجبات والجائزات والمستحيلات على ماهى عليه تفصيلا فى كل جزئية فهو غنى عن المؤكد . ان قلت إنه يمكن أن يكون دليلها عقليا وتقديره أن تقول لو لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو نقص والنقص عليه محال . أجيب بأن النقص مشاهد فى الحوادث ولايقاس القديم على الحادث لأن كمال الحادث لايلزم أن يكون كمالا فى حق الله ألا ترى الزوجة والولد فانهما كمال فى حق الحادث مستحيل فى حق الله فضعف الدليل العقلى . ان قلت فى الاستدلال بالنقل على صفة الكلام دور وذلك لأنها لاتثبت إلا إذا ثبت صدق الرسول ولايثبت صدقه إلا بالمعجزة وهى لاتثبت إلا إذا ثبت كون البارى متكلما لأن المعجزة تنزل منزلة قول الله صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى وكونه متكلما يتوقف على إثبات الكلام له بالدليل الشرعى . أجيب بأن الجهة منفكة وذلك لأن معنى تنزيل المعجزة منزلة قول الله الخ أنها تدل على مايدل عليه القول من صدق الآتى بها وليس معناه أن فاعلها تكلم بتصديق من ظهرت على يديه وهذا كما تقول الإشارة تدل وضعا على مايدل عليه الكلام وهل المشير متكلم أو أخرس محتمل وليس فى الإشارة مايدل على شئ منها والكلام المستدل عليه هو النفسى لا اللفظى (قوله على الأربعة الأول) أى التى هى العلم والحياة والقدرة والإرادة (قوله عدم المعاد الجسمانى) أى فهم يقولون ان أصول العالم القديمة لاتنعدم وفروعه تنعدم ولاتعود (قوله بل فضلوا) اضراب عما قبله قصد به الترقى فى الرد عليهم (قوله كلا سوف يعلمون) كلا ردع وزجر وفيه تعريض لهم بوعيد التكاثر (قوله وعلم التفسير) أى

نعم علم الطب وما يوصل إلى معرفة الوقت والجهات من علم النجوم فذلك جائز على أنا لا نسلم أن هذا من علم الفلاسفة بل هو من الشرعي بدليل وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، والاذن بالطب مشهور في السنة . واعلم أن هذه الصفات السبع هي المتفق عليها بين القوم فلذا اقتصرت عليها ولم أزد مازاد بعضهم من صفة الادراك ولأن الحق فيها الوقف ولم أذكر الصفات المعنوية اللازمة للسبع المعاني وهي كونه تعالى عالما وكونه حيا وكونه تعالى قادرا الخ لأن الحق ماذهب إليه إمامنا امام أهل السنة أبو الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنه من أنها ليست بزائدة على المعاني بل هي عبارة عن قيام المعاني بالذات لأن لها ثبوتا في الخارج عن الذهن بناء على نفي الحال وأنه لا واسطة بين الموجود والمعدوم . ولما فرغ من بيان صفات المعاني شرع في بيان تعلقها والتعلق اقتضاء الصفة أمرا زائدا على قيامها بالذات كاقتضاء العلم معلوما ينكشف به واقتضاء الارادة مرادا يتخصص بها واقتضاء القدرة مقدورا وهكذا قال (وواجب) عقلا (تعليق ذي)

أي هذه (الصفات) أي صفات المعاني (حتما) أي لزوما (دواما) أي على سبيل الدوام والاستمرار وهذا من زيادة التأكيد لأن الواجب النقلي شأنه ذلك (ماعدا الحياة) بالجر لما زائدة وعدا حرف جر فيجب على كل مكلف أن يعتقد ذلك وحاصله أن هذه الصفات بالنسبة للتعلق وعدمه أربعة أقسام : قسم منها لا يتعلق بشيء وهو الحياة إذ هي صفة تصحح لمن قامت به الادراك من غير أن تطلب أمرا زائدا على قيامها بمحلها وقسم يتعلق وهو ثلاثة أقسام . الأول منها ما يتعلق بجميع أقسام الحكم العقلي وهو صفتان العلم والكلام وإليه أشار بقوله (فالعلم جزما) معمول لقوله تعلقا قدم عليه (والكلام السامي) أي العالي المرتفع القدر المنزه عن الحروف والأصوات والتقديم والتأخير والسكوت واللحن والاعراب وغير ذلك مما يتصف به كلام الحوادث (تعلقا) أي ان هاتين الصفتين تعلقا جزما أي مجزوما به (بسائر) أي بجميع جزئيات (الأقسام) أي أقسام الحكم العقلي الثلاثة الواجب والمستحيل والجائز أما كونهما متعلقين فلأنهما طلبا أمرا زائدا على قيامهما بمحلهما إذ العلم يقتضي معلوما ينكشف به والكلام يقتضي معنى يدل عليه وأما تعلقهما بجميع أقسام الحكم العقلي فظاهر إلا أن تعلقهما مختلف فتعلق العلم تعلق انكشاف وتعلق الكلام تعلق دلالة كما فهم مما ذكرته لك فالعلم يتعلق بجميع الكليات والجزئيات أزلا وأبدا بلا تأمل واستدلال ولا سبب من الأسباب فلا يوصف بالضروري ولا بالنظري وله تعلق واحد تنجيزي قديم والكلام يدل على ماذكر دلالة مستمرة بلا انقطاع أزلا وأبدا فهو تعالى به آمر ناه مخبر فهو في نفسه واحد وتكثره إنما هو بتكثر التعلقات كالعلم والقدرة

للقرآن والحديث فدخل علم الحديث بهذا المعنى (قوله نعم علم الطب الخ) استدراك على ماذكره من أن الاشتغال بعلم الفلاسفة بطالة (قوله على أنا لا نسلم الخ) ترق في الاستدراك (قوله من صفة الادراك) ظاهره أنها صفة واحدة وهو أحد قولين وعليه فقيل متعلقة بالموجودات وقيل بالمشمومات والملموسات والمذوقات والآخر أنها إدراكات ثلاثة كل واحد متعلق بشيء خاص فعلى أنه يتعلق بالموجودات يكون كالسمع والبصر له ثلاث تعلقات ولا يعلم المغايرة بينها إلا هو تعالى وعلى تعلقه بالأمور الثلاثة سواء قلنا انه واحد أو متعدد فله تعلقان صلوحي قديم وتنجيزي حادث فتدبر (قوله ولأن الحق الوقف) الأظهر حذف الواو وجعله علة لعدم الزيادة وإنما كان الحق الوقف لأن دليل الصفات الثلاثة نقلي ولم يرد سمع بإثباتها وهذا أحد أقوال ثلاثة هو أصحها والثاني إثباتها بناء على أن إثبات الصفات الثلاثة بالدليل العقلي وهي من جملة الكمالات والثالث نفيها بناء على أن إثباتها بالدليل السمعي ولم يرد في الادراك نص وأيضا إثباتها بدون نقل يوهم النقص لأن الشم والذوق واللمس تفيد التكيف والاتصال وهو محال عليه تعالى (قوله لأن لها ثبوتا في الخارج) أي بحيث تكون قائمة بالذات فلا ينافي أن هذا الأمر اعتباري متحقق في نفسه بقطع النظر عن اعتبار المعتبر فالقدرة مثلا صفة قائمة بالذات وجودية يصح أن ترى وكونه قادرا على غير قول الأشعري صفة قائمة بالذات لازمة للقدرة ثابتة في الخارج ولا ترى وهكذا وعلى كلام الأشعري صفة اعتبارية لها ثبوت في الذهن فقط. واعلم أنه على القول بإثبات الأحوال فليس للمعنوية تعلقات كالمعاني لأن التعلق حال وحينئذ يلزم وصف الحال بالحال وكان المناسب للشارح رضي الله عنه أن يعدها كما عدها السنوسي واللقاني لأجل الإيضاح والتعليم ولأن تركها ربما يوقع العوام في نفي نسبتها إلى الله تعالى وهو كفر (قوله وهذا من زيادة التأكيد) أي قوله دواما لأن حتما توكيد لمعنى الوجوب ودواما زيادة تأكيد (قوله تصحح) أي توجب وقوله الادراك أي الاتصاف به أزلا وأبدا فهي شرط عقلي يلزم من عدمها عدم الادراك ولا يلزم من وجودها وجود الادراك ولا عدمه وهذا تعريف للحياة من حيث هي قديمة أو حادثة وتقدم تعريف القديمة في الشرح (قوله معمول) أي لقوله جزما (قوله والتقديم والتأخير) أراد به لازمه وهو التقدم والتأخر لأنه هو الذي من صفات الكلام

ولذا قسموه إلى أمر ونهي وخبر واستخبار فمن حيث اقتضاؤه فعلا أو تركا يسمى أمرا ونهيا ومن حيث تعلقه بثبوت أمر لأمر أو نفيه عنه يسمى خبرا وهل يشترط في تسميته بذلك كالخطاب وجود المخاطبين بالفعل أو لا خلاف وينبنى عليه الخلاف في الأحكام هل هي حادثة أو قديمة باعتبار تنزيل من سيوجد منزلة الموجود اكتفاء بوجود المأمور في علم الآمر وله تعلقات ثلاثة تنجيزى قديم باعتبار دلالته على الواجبات والمستحيلات والجائزات التي سيوجد منها وما لا يوجد وصلوحى قديم باعتبار دلالته على الأمر والنهي قبل وجود المخاطبين وتنجيزى حادث عند وجودهم . القسم الثاني ما يتعلق بجميع الممكنات وهو صفتان أيضا القدرة والإرادة وإليه أشار بقوله (وقدرة) و (إرادة تعلقا * بالممكنات) لا بالواجبات ولا بالمستحيلات وأشار بقوله (كلها) يا (أخا التقى) أي يا أيها الملازم على التقوى للرد على المعتزلة القائلين بأن قدرته تعالى لا تتعلق بأفعال العبد الاختيارية بل العبد مستقل بخلق فعله الاختياري وإن بعض أفعاله الاختيارية كالمعاصي ليست بإرادة الله تعالى بناء على أن الإرادة تستلزم الأمر أو هي عينه ولا ريب في أنه مذهب فاسد ومن ثم أشرت بقولي أخا التقى إلى أن من لم يعتقد ما قلنا فليس بتقى وهما وإن تعلقا بالممكن إلا أن تعلق الإرادة به تعلق تخصيص إذ هي صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه ولها تعلقان قديمان تنجيزى وصلوحى فتخصيصها في الأزل الأشياء على الوجه الذي ستوجد عليه فيما لا يزال تنجيزى قديم وصلوحها لأن يكون على خلاف ما هو عليه صلوحى قديم قيل ولها تعلق ثالث تنجيزى حادث وهو تخصيصها الشيء بالفعل وقت وجوده على وفق التخصيص الأزلي وأما تعلق القدرة به فتعلق إيجاد أو إعدام على طبق الإرادة ولها تعلقان صلوحى قديم وتنجيزى حادث وهذا التعلق الحادث هو المعبر عنه بالخلق والرزق والإحياء والإماتة المسماة عندنا بصفات الأفعال فهي حادثة وسيأتي له زيادة إيضاح في قسم الجائز . واعلم أن تعلق القدرة والإرادة والعلم مترتب فتعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم فلا يوجد شيئا أو يعدمه إلا إذا أراده ولا يريده إلا إذا علمه فما علم أنه يكون أراد كونه ثم أبرزه على طبق الإرادة وما علم أنه لا يكون فلم يرد كونه فلم يوجد وإن أمر به كالإيمان ممن علم الله أنه يستمر على الكفر حتى الموت وإنما تعلق القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل لأنهما لما كانا صفتى تأثير ومن لازم الأثر وجوده بعد عدم لزم أن ما لم يقبل العدم أصلا وهو الواجب وما لم يقبل الوجود أصلا وهو المستحيل لم يصح أن يكون أثرا لهما وإلا لزم تحصيل الحاصل وقلب الحقائق بصيرورة الواجب أو المستحيل جائزا وهو تهافت لا يعقل فالكمال المطلق في عدم تعلقهما بالواجب والمستحيل لما علمت والنقص الذي ما بعده نقص تعلقهما بهما المؤدى ذلك إلى إعدامهما أنفسهما وإعدام الذات العلية وإيجاد الشريك والعجز والجهل نعوذ بالله من الضلال الذي تمسك به بعض أهل الاختلال . والقسم الثالث ما يتعلق بجميع الموجودات وهو صفتان أيضا السمع والبصر وإليه أشار بقوله (واجزم) أيها المكلف (بأن سمعه) تعالى (والبصرا) الألف للإطلاق (تعلقا) معا تعلق انكشاف (بكل موجود يرى) بالبناء للمجهول أي يعلم أي معلوم له تعالى قديما كان كذاته وصفاته أو حادثا كذوات المخلوقين وصفاتهم والانكشاف بهما يغاير الانكشاف بالعلم وكذا الانكشاف بكل منهما يغاير الانكشاف بالأخرى ومتعلقهما أخص من متعلق العلم فيسمع ويرى سبحانه الذوات والصفات كانت من قبيل الأصوات أو من غيرها فسمعه وبصره تعالى يخالفان سمعنا وبصرنا في التعلق لأن سمعنا إنما يتعلق عادة ببعض الموجودات وهي الأصوات بشرط عدم البعد جدا وبصرنا إنما يتعلق عادة ببعض الموجودات وهي الأجسام وألوانها في جهة مخصوصة على وجه مخصوص

الكلام (قوله ولذا قسموه) أي من حيث التعلقات (قوله يسمى أمرا ونهيا) لف ونشر مرتب (قوله وهل يشترط الخ) المعتمد أنه لا يشترط وعليه فالأحكام قديمة (قوله وتنجيزى حادث عند وجودهم) هذا مبنى على أنه لا يشترط في الخطاب وجود المخاطبين بالفعل (قوله للرد على المعتزلة) وتقدم له بسط الرد عليهم (قوله ولها) أي للإرادة (قوله قيل ولها تعلق ثالث تنجيزى حادث) إن قلت إن فيه تحصيل حاصل فما الحكمة في هذا التعلق . أجيب بأن حكمته إظهاره للملائكة (قوله مترتب) أي في التعقل فقط بالنظر لتعلق القدرة الحادثة مع تعلق الإرادة التنجيزى الحادث ولتعلق الإرادة القديم مع تعلق العلم وأما بالنظر إلى تعلق القدرة الحادث مع تعلق الإرادة التنجيزى القديم وكذا تعلق الإرادة التنجيزى الحادث مع تعلق العلم فهو ترتب خارجى كترتب الحادث على القديم في الخارج (قوله وإلا لزم تحصيل الحاصل الخ) أي إن تعلقت بإيجاد الواجب أو بإعدام المستحيل وقوله وقلب الحقائق أي إن تعلقت بإعدام الواجب أو بإيجاد المستحيل (قوله لأن سمعنا إنما يتعلق عادة الخ) أي ومن غير العادة قد يتعلق سمعنا بغير الأصوات كسماع موسى لكلام الله القديم الذي ليس بحرف ولا صوت وكسماعنا كلام رب العالمين في الجنة (قوله وهي الأصوات) الضمير لبعض الموجودات وأنث الضمير لاكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه (قوله وبصرنا إنما يتعلق عادة ببعض الموجودات) بشرط المقابلة واتصال الأشعة وقد تخرق العادة كما في رؤية وجه الله الكريم (قوله وهي الأجسام) جمع جسم

كما أنهما يخالفان سمعنا وبصرنا أيضا فى الذات فهما صفتان قديمتان قائمتان بذاته تعالى وأما سمعنا وبصرنا فحادثان قائمان بمحل مخصوص فبصرنا قائم بانسان العين أو هو قوة مودعة فى العصبتين المجوفتين اللتين يتلاقيان ثم يفترقان كما هو مذهب الحكماء وسمعنا قائم بالصماخ أى ثقب الأذن أو هو قوة قائمة بالعصب المفروش فى مقعر الصماخ والله تعالى منزه عن ذلك وسمعنا وبصرنا من أسباب علومنا بخلاف سمعه وبصره تعالى ولهما تعلقات ثلاثة تنجيزى قديم بذاته وصفاته تعالى وصلوحى قديم بذواتنا وصفاتنا وتنجيزى حادث عند وجودنا (وكلها) أى صفات المعانى (قديمة بالذات) أى بذاتها أى إن قدمها ذاتى وليست بممكنة فى نفسها وانما قدمها بقدم الذات المقدس أو أن ذاته تعالى علة فيها كما قال بذلك بعض علماء أهل السنة وهو قول شنيع تمجه قلوب الصالحين العارفين بربهم إذ لا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بمقام الله الأعز الأحمى مع أنه لا حجة على ارتكابه بل الحجة قائمة على ما ذكرنا كما أشرت له بقولى (لأنها ليست بغير الذات) العلية بمعنى أنها لا تنفك عنها فلا يعقل قيام الذات بدونها ولا وجودها فى غير الذات المقدس فلا يصح القول بأنها ممكنة فى نفسها أو أن الذات العلية علة فيها وكما أنها ليست بغير الذات ليست بعينها أيضا وهو واضح وإلا لزم أن تكون الذات صفات وأن الحياة عين العلم مثلا وهو باطل فبطل ما ذهب إليه المعتزلة من أنه تعالى قادر بذاته وحى بذاته وعالم كذلك وهكذا لا بصفات زائدة على الذات تسمى بالقدرة والحياة وهكذا لئلا يلزم تعدد القدماء المحال. والجواب أن المحال إنما هو تعدد ذوات أما ذات واحدة متصفة بصفات لا يصح الانفكاك عنها فليس بمحال بل هو الواجب وانما اقتصرنا على الأول لأننا فى مقام الاستدلال على أن قدمها ذاتى ولما ذهب المعتزلة إلى استحالة الكلام عليه تعالى لأنه إنما يكون بحروف وأصوات وتقديم وتأخير وغير ذلك وهذه كلها حادثة ولا يصح اتصافه تعالى بالحوادث وإلا لكان حادثا وصرفوا ما ورد فى الكتاب والسنة من أنه تعالى متكلم عن ظاهره على معنى أنه خالق الكلام فى غيره كالشجرة التى كلمت موسى عليه السلام مثلا فالكلام صفة غيره لا صفته تعالى أجاب أهل السنة بمنع حصر الكلام فى الحروف والأصوات بجعل الكلام قسمين لفظى ونفسى والثانى هو المراد كما أشار إليه بقوله (ثم الكلام) أى كلامه تعالى الذى هو صفة ذاته نفسى (ليس بالحروف) والأصوات (وليس) متلبسا (بالترتيب) من تقديم وتأخير (كما) لكلام الحادث (المألوف) لنا

وهو ما تركب من جوهرين فردين فأكثر وهو المتحيز القابل للقسمة وقضيته أن الجوهر الفرد لا يرى وهو كذلك بحسب العادة وما ذكره الشرح من أن المرئى هو الأجسام والألوان معا لا الألوان فقط هو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة القائلين المرئى الألوان فقط (قوله بانسان العين) أى النقطة الصغيرة التى فى وسط السواد (قوله مودعة) أى كائنة ومستقرة (قوله اللتين يتلاقيان) أى ويتقاطعان تقاطعا صليبيا وقيل يتلاقيان ثم يرجعان كالدالين المقلوبتين ظهر إحداهما فى ظهر الأخرى فقول الشارح ثم يفترقان مرور على القول الثانى وهذان القولان للفلاسفة (قوله من أسباب علومنا) أى فإذا رأينا أو سمعنا شيئا نعلم بسبب ذلك معانى تقوم بعقولنا (قوله وصلوحى قديم بذاتنا وصفاتنا) أى قبل وجودنا (قوله أو أن ذاته تعالى علة فيها) أو بمعنى الواو لأن هذا هو معنى قوله وإنما قدمها بقدم الذات (قوله بعض علماء أهل السنة) أى وهو الفخر الرازى وتبعه السعد والبيضاوى وجماعة وشنع ابن التلمسانى على الفخر بقوله وصرح الفخر والعياذ بالله بكلمة لم يسبق اليها فقال هى ممكنة باعتبار ذاتها واجبة بوجوب ذاته جل وعلا وضاهى قول الفلاسفة العالم ممكن باعتبار ذاته واجب بوجوب مقتضيه ونعوذ بالله من زلة عالم وبناها على اعتقاد صحة شبهة الفلاسفة بأن الافتقار بمعنى مطلق التوقف يوجب الإمكان وأن كل مركب مفتقر الى أجزائه وجزؤه غيره والمفتقر للغير لا يكون إلا ممكنا وتوهم التركيب باعتبار الصفات وادعى أن الإمكان لا ينافى القدم وهى عقيدة باطلة تهدم كثيرا من مسائل أهل السنة (قوله لأنها ليست بغير الذات) أى ولا بعينها كما يأتى فلا يقال لها غير الذات ولا عينها وقصد المصنف بذلك الرد على المعتزلة حيث أوردوا على أهل السنة شبهة حاصلها أنكم ادعيتم وجود صفات المعانى وقد كفرتم النصارى بزيادة العين فأنتم أولى فى الكفر لاثبات قدماء ثمانية. وحاصل الجواب أى المحظور المبطل للتوحيد إنما هو تعدد القدماء المتغايرة المنفكة وصفات المعانى ليست كذلك فعلم أن مذهب أهل السنة أن صفات الذات زائدة عليها قائمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك فهى دائمة الوجود مستحيلة العدم فهو حى بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا وقد نفى المعتزلة تلك الصفات هروبا من تلك الشبهة وقالوا قادر بذاته الى آخرها وهو مذهب باطل لكنه فسق وليس بكفر. والحاصل أن الصفات إما عين الذات وهى النفسية أو غير الذات وهى السلبية لكون مدلولها عدما والفعلية لحدوثها أو لا عين الذات ولا غيرها وهى وجودية وتسمى المعانى أو لا عين الذات ولا غيرها وهى اعتبارية وتسمى معنوية أو صفات جامعة وهى العزة والجلال والجمال والغنى وغير ذلك (قوله أو أن الذات الخ) أو بمعنى الواو كما تقدم نظيره فكان الأوضح التعبير بها (قوله ولما ذهب المعتزلة إلى استحالة الكلام عليه تعالى الخ)

حاصله

وحينئذ فلا يلزم المحال وفى قولى وليس بالحروف الخ رد أيضا على الكرامية والحنابلة الزاعمين أن كلامه تعالى عرض من جنس الأصوات والحروف إلا أنه قديم قائم بذاته تعالى. ولما فرغ سامحه الله تعالى من القسم الأول وهو مايجب لله تعالى شرع فى بيان القسم الثانى وهو مايستحيل عليه تعالى فقال (ويستحيل) عليه تعالى (ضد ماتقدم) الألف للاطلاق (من الصفات) بيان لما أى الصفات النفسية والسلبية والمعانى (الشامخات) أى المرتفعات المنزهات عن الحدوث ولوازمه (فاعلما) أصله فاعلمن بنون التوكيد الخفيفة فقلبت فى الوقف ألفا والمراد بالضد هنا الضد اللغوى وهو مطلق المنافى سواء كان وجوديا أو عدميا فكأنه قال ويستحيل عليه تعالى كل ماينافى ماتقدم من الصفات لا الضد الاصطلاحى على ماسيأتى وأنواع المنافاة عند المناطقة أربعة تنافى النقيضين وتنافى الضدين وتنافى العدم والملكة وتنافى المتضايفين . أما النقيضان فهما إيجاب الشىء وسلبه نحو زيد لا زيد وزيد قائم زيد ليس بقائم وأما الضدان فهما المعنيان الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ولايتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالبياض والسواد واحترزنا بغاية الخلاف من نحو البياض مع الحركة وأما العدم والملكة فهما وجود الشىء وعدمه عما من شأنه أن يتصف به كالبصر والعمى والعلم والجهل البسيط فالبصر وجودى وهو الملكة والعمى عدمى إذ العمى عدم البصر عما من شأنه البصر وكذا العلم والجهل وأما المتضايفان فهما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ويتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالأبوة والبنوة والمراد بالوجودى فى المتضايفين ماليس معناه عدم كذا لا الموجود فى الخارج عن الذهن إذ الأبوة مثلا

حاصله أن المعتزلة يقولون إن الكلام لا يكون إلا حروفا وأصواتا وحينئذ فلا يتصف به المولى بحيث يكون قائما به لئلا يلزم قيام الحوادث به ومعنى كونه متكلما أنه خالق الكلام فى غيره ردّ عليهم أهل السنة بأن كلامنا النفسى ليس بحرف ولاصوت وهو كلام حقيقة وليس مراد أهل السنة التماثل فى الحقيقة فى التشبيه فى أن كلا منهما ليس بحرف ولاصوت وإن تباينا فى الحقيقة . إن قلت إن المعتزلة ينكرون تسمية مايجده الإنسان فى نفسه كلاما ويردون ذلك للإرادة أو العلم أو الخواطر . قلت كلامهم ساقط لمخالفته لإطلاق العرب عليه كلاما . قال الأخطل :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما … جعل اللسان على الفؤاد دليلا

(قوله والحنابلة) المراد بهم فرقة من الفرق الضالة وليس المراد بهم أتباع الإمام أحمد بن حنبل فإنهم منزهون عن القول بذلك (قوله إلا أنه قديم قائم بذاته) راجع للحنابلة وأما الكرامية فإنهم يقولون إن كلامه تعالى بحروف وأصوات حادثة ولايبالون بقيام الحادث بالقديم (قوله سامحه الله) إنما دعا بالمسامحة ولم يدع برفع الدرجات مثلا لأن شأن العارفين لايرون لأنفسهم عملا بل حالهم الذل والانكسار والتقصير وإن وصلوا فى المعرفة الغاية القصوى فإن صدر منهم كلام يدل على التعظيم والاجلال لأنفسهم فذلك بالنظر لإنعام الله عليهم لا بالنظر لأنفسهم (قوله من الصفات) أل للعهد الذكرى أى الصفات المتقدم ذكرها ولذا فسرها الشارح بالنفسية والسلبية والمعانى (قوله فقلبت فى الوقف ألفا) أى لقول ابن مالك

وأبدلنها بعد فتح ألفا … وقفا كما تقول فى قفن قفا

(قوله كل ماينافى الخ) أى سواء كان ضدا حقيقة أو نقيضا أو مساويا للنقيض أو أخص منه (قوله وأنواع المنافاة عند المناطقة) أى وأما عند الأصوليين فهما اثنان فقط تنافى النقيضين وتنافى الضدين ويجعلون العدم والملكة داخلين فى النقيضين والمتضايفين داخلين فى الضدين (قوله أربعة) وجه الحصر فيها أن المتقابلين إما أن يكونا وجوديين أو وجوديا وعدميا فإن كانا وجوديين فلايخلو أن يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر أولا الأول المتضايفان كالأبوة والبنوة والثانى المتضادان كالبياض والسواد وإن كان أحدهما وجوديا والآخر عدميا فإن اعتبر فى العدمى كون محله قابلا للوجودى كالبصر والعمى بالنسبة لزيد لا بالنسبة للحائط فعدم وملكة وإن لم يعتبر ذلك فتقابل النقيضين كسواد ولاسواد واعترض الحصر بأن العدمى قد يقابل بالعدمى كالعمى ولاعمى فهو أعم من أن يكون باعتبار الاتصاف بالبصر أو باعتبار عدم القابلية وعلى هذا فتزيد الأقسام على الأربعة المذكورة ولكن النقول عن المناطقة هذه الأربعة والإشكال لايدفع الأتقان (قوله فهما إيجاب الشىء وسلبه) أى ويكون فى المفردات كالمثال الأول والمركبات كالثانى (قوله من نحو البياض مع الحركة) أى فليس بينهما غاية الخلاف إذ قد يرتفعان بأن يكون ساكنا أسود وقد يجتمعان بأن يكون أبيض (قوله وأما العدم والملكة الخ) اعلم أن الملكة عبارة عن الأمر الوجودى القائم بالشىء كالبصر فإنه أمر وجودى قائم بالعين والعدم عبارة عن انتفاء تلك الملكة على المحل الذى شأنه أن يتصف بتلك الملكة وقت انتفائها فقول الشرح عما من شأنه أن يتصف به أى عن المحل الذى شأنه أن يتصف به وقت النفى والتمثيل لمقابلة العدم للملكة بمقابلة العمى للبصر بناء على مذهب الحكماء وعند

لاوجود لها فى الخارج عن الذهن ولا تنافى بين الخلافين كالبياض والحركة وكذا بين المثلين كالبياض والبياض والمحققون على التنافى بينهما قالوا لأن المحل لوقبل المثلين لزم أن يقبل الضدين لأن القابل للشيء لايخلو عنه أوعن ضده أوعن مثله فلوقبل المثلين لجاز وجود أحدهما فى المحل مع انتفاء الآخر فيخلفه ضده فيجتمع الضدان وهو محال. إذا علمت ذلك فيستحيل عليه تعالى ثلاثة عشر صفة وهى أضداد الصفات الأولى لما علمت أنها واجبة له تعالى والواجب لايقبل الانتفاء فيستحيل عليه تعالى العدم والحدوث وطروّ العدم ويسمى الفناء والمماثلة للحوادث من جرمية أوعرضية أوحلول أواتصال أوانفصال أوبعد أوقرب أوكبر أوصغر وكذا يستحيل عليه تعالى عدم القيام بنفسه بأن يفتقر إلى محل أومخصص وعدم الوحدانية بأن يكون ذا كثرة فى ذاته أوصفاته أو يكون له شريك فى فعل من الأفعال وكذا يستحيل عليه تعالى الجهل مركبا أوبسيطا أوما فى معناه من ظن أوغفلة أونسيان أونوم أواشتغال بشأن عن شأن ويستحيل عليه تعالى الموت والعجز وما فى معناه من فتور أونصب والكراهية أى عدم الارادة بأن يقع فى ملكه ما لا يريده أو تصدر الكائنات عنه تعالى بالتعليل أو بالطبع لما يلزم من قدم العالم الذى قام البرهان القاطع على حدوثه وورد

الشرع به لأنه يجب اقتران العلة بمعلولها والطبيعة بمطبوعها والقائل بذلك كافر باجماع المسلمين كما تقدم وتقدم الفرق بين الفاعل بالعلة والفاعل بالطبع من أن العلة لاتتوقف على وجود شرط ولا انتفاء مانع والطبيعة تتوقف على ذلك ومما يدل على بطلانها اختلاف أنواع العالم على كثرتها إذ معلول العلة والطبيعة لايختلف وكذا يستحيل عليه تعالى البكم أى عدم الكلام بوجود آفة تمنع منه وفى معناه السكوت النفسى ويستحيل عليه تعالى الصمم والعمى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما وجبت له هذه الصفات واستحال عليه أضدادها (لأنه) تعالى (لو لم يكن موصوفا * بها لكان واستحالة بالسوى) أى بسواها من الجهل والعجز وغيرهما مما تقدم من المستحيلات (معروفا) يعنى موصوفا أى أنه لو لم يكن متصفا بها لاتصف بأضدادها لكن اتصافه تعالى بأضدادها باطل لما يلزم عليه من الافتقار والحدوث كما أشار له بقوله (وكل من قام به سواها) أى غيرها من الجهل أوما فى معناه أوالعجز إلى آخر الأضداد (فهو الذى فى الفقر) أى الاحتياج إلى من يكمله وهو متعلق بقوله (قد تناهى) أى بلغ النهاية فى الفقر وهو محال لأنه يؤدى إلى الحدوث فيكون من جملة العالم الحادث المفتقر والواو فى قولنا (والواحد المعبود) للحال (لايفتقر * لغيره) وهو فى المعنى دليل لقولنا وكل من قام بها الخ لأنه فى قوة قولنا لأنه معبود وكل معبود لايفتقر لغيره وقد حذفنا كبرى القياس مع النتيجة والتقدير وكل من تناهى فى الفقر فهو حادث فكل من قام به سواها فهو حادث كما أشرنا له فى التقرير وهذا القياس دليل الاستثنائية المطلوبة أعنى قولنا لكن اتصافه بأضدادها باطل كما أشرنا له أيضا (جل) عن ذلك الافتقار (الغنى) بالسكون للوزن أى عن كل ماسواه لاتصافه تعالى بكل كمال وتنزهه عن كل نقص (المقتدر) على كل شىء وكل شىء فهو إليه فقير ولما أنهى الكلام

المتكلمين العمى وصف وجودى قائم بالعين كالبصر وحينئذ فالتقابل بينهما من تقابل الضدين (قوله لاوجود لها فى الخارج عن الذهن) أى خلافا للفلاسفة القائلين بأن الأمور النسبية كالإضافات وغيرها أعراض موجودة (قوله كالبياض والحركة) أى وكل متخالفين فى الحقيقة يمكن اجتماعهما كالقدرة والعلم مثلا (قوله بأن المحل لوقبل المثلين الخ) حاصله قياس استثنائى ذكر شرطيته وحذف الاستثنائية منه وتقريره لوقبل المحل المثلين لزم أن يقبل الضدين لكن قبول المحل للضدين باطل فبطل المقدم ولما كانت الاستثنائية ظاهرة تركها ولما كانت الملازمة فى الشرطية خفية بينها بقوله لأن القابل الخ (قوله ثلاثة عشر صفة) أى بمقتضى ذكره للصفات كذلك ومن عد المعنوية كالسنوسى فالمستحيلات عشرون (قوله العدم) هو مساو لنقيض الوجود لأن نقيضه لاوجود وهو العدم على القول بنفى الأحوال وأما على القول بثبوتها فالعدم أخص من نقيض الوجود إذ يصدق نقيضه بالثبوت وبالعدم (قوله والحدوث) أى الوجود بعد عدم وهو أخص من نقيض القدم إذ نقيض القدم لاقدم وهو يصدق بالوجود بعد العدم الذى هو الحدوث بالعدم المنقطع بالوجود واللاحق (قوله وطروّ العدم) هو مساو لنقيض البقاء (قوله والمماثلة للحوادث) هى مساوية لنقيض المخالفة (قوله عدم القيام بنفسه) هو نقيض القيام وكذا عدم الوحدانية نقيض الوحدانية (قوله الجهل مركبا أوبسيطا) مقابلة العلم للأول من مقابلة الضدين والثانى من مقابلة العدم للملكة (قوله الموت) مقابلته للحياة من تقابل العدم والملكة إن قلنا إن الموت عدم الحياة، وتقابل الضدين إن قلنا إنه أمر وجودى (قوله والعجز) هو مساو لنقيض القدرة (قوله والكراهية) هى مساوية لنقيض الإرادة (قوله البكم) هو ومابعده من الصمم والعمى إما من مقابلة الضدين أوالعدم والملكة (قوله السكوت النفسى) أى وأما السكوت اللفظى فلا يتوهم فى حق الله لاستحالة الكلام اللفظى عليه تعالى (قوله لأنه لولم يكن موصوفا بها الخ) شروع فى الاستدلال على وجوب هذه الصفات

على قسمي الواجب والمستحيل شرع في بيان الجائز فقال (وجائز في حقه) تعالى (الإيجاد) أي إيجاد للممكنات سواء وجدت بالفعل أو لم توجد والإيجاد والخلق بمعنى واحد وهو تعلق القدرة بوجود المقدور فإن تعلقت بالحياة سمي احياء وبالموت سمي إماتة وبالمرزوق سمي رزقا وترزيقا وهذه التعلقات هي المسماة بصفات الأفعال وهي حادثة كما ترى لأنها عبارة عن التعلق التنجيزي القدرة وهو حادث قطعا . فإن قلت قد تقدم أن تعلق القدرة واجب فكيف يحكم عليه هنا بالجواز . قلت الواجب التعلق الصلوحي القديم أما التنجيزي فجائز وكل جائز حادث . فإن قلت الخلق والإيجاد من صفاته تعالى وكيف

يتصف تعالى بالحوادث قلنا هذه أمور اعتبارية تعرض للقدرة لا وجود لها في الأذهان ولا تحقق لها في نفسها ككونه قبل العالم ومعه وبعده فلا يلزم قيام الحوادث به تعالى (والترك) أي ترك الإيجاد للممكنات سواء وجدت أو لم توجد يعني أن إيجاد كل ممكن أو تركه أمر جائز في حقه تعالى إن شاء فعل وإن شاء ترك ومن ذلك بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ورؤية الباري تعالى وإثابة العاصي وتعذيب المطيع (والاشقاء) وهو خلق قدرة الكفر أو خلق الكفر في العبد والعياذ بالله تعالى ويسمى الخذلان والاضلال وقيده الأشعري بحالة الموت وأطلقه الماتريدي (والاسعاد) وهو خلق قدرة الطاعة أو هو خلق الطاعة في العبد ويسمى بالهداية وقيده الأشعري بحالة الموت فالشقي والسعيد من مات على الكفر أو الإيمان وعند الماتريدي هو الكافر أو المؤمن وينبني على هذا الخلاف هل الشقاوة والسعادة يتبدلان فقال الأول لا والثاني نعم والخلف لفظي وأما الاشقاء والاسعاد فلا يتبدلان اتفاقا أما عند إمامنا الأشعري فلأنهما الإماتة على الشقاوة أو السعادة فهما من صفات الأفعال وهي عنده حادثة لأنها عبارة عن تعلق القدرة بالمقدور كما مر وأما عند الماتريدي فلأنهما قديمان كالإحياء والإماتة والخلق والرزق وجميع ما نعبر عنه بصفات الأفعال فقد جزم الماتريدية بقدمها ومجموعها عند محققيهم عبارة عن صفة واحدة تسمى بالتكوين قائمة بذاته تعالى لكونها صفة معنى كالقدرة والإرادة يتأتى بها وجود الأشياء على وفق الإرادة والفرق بينها وبين القدرة أن القدرة عندهم بها صحة التأثير في الممكن

واستحالة أضدادها وهو زيادة في الايضاح وإلا فتقدمت أدلتها مفصلة وقد ذكر أولا قياسا شرطيا صرح منه بالمقدم والتالي بقوله : لولم يكن موصوفا بها لكان بالسوى معروفا
وحذف الاستثنائية التي قدرها الشرح وقوله وكل من قام به سواها الخ شروع في قياس حملي ذكر صغراه وحذف كبراه ونتيجته قصد به الاستدلال على الاستثنائية التي أنتجها القياس الشرطي وقد وضح الشرح المقام فتدبر (قوله أي ايجاد الممكنات) أشار بذلك إلى أن أل عوض عن المضاف إليه (قوله سواء وجدت بالفعل الخ) إن قلت إنها إذا وجدت بالفعل كان واجبا لا جائزا وإيجاده ثانيا تحصيل حاصل أجيب بأن المراد ايجاد الممكن في حد ذاته بقطع النظر عن كونه موجودا أولا (قوله وبالمرزوق) أي بالشيء المرزوق وكان الأوضح أن يقول وبالمرزوق به (قوله قد تقدم أن تعلق القدرة واجب) أي في قوله : وواجب تعليق ذي الصفات * حتما دواما ماعدا الحياة (قوله التعلق الصلوحي) أي كونها صالحة للفعل والترك وهذا السؤال والجواب تقييد لما تقدم من الاطلاق (قوله فلا يلزم قيام الحوادث به تعالى) أي ولا يلزم قيام الحوادث بذاته إلا إذا كانت تلك الصفات الحادثة المتصف بها وجودية كالبياض والسواد ونحوهما وأما إذا كانت الصفات الحادثة المتصف بها اعتبارية لا وجود لها في الخارج ولا ثبوت فلا يلزم قيام الحوادث بذاته لأن الأمر العدمي الاعتباري لا يقوم بشيء (قوله ومن ذلك بعثة الرسل الخ) رد بذلك على المعتزلة القائلين بوجوب بعثهم والحكماء القائلين باستحالتها (قوله ورؤية الباري) رد به على المعتزلة القائلين بأنها محالة (قوله وهو خلق قدرة الكفر) هذا تعريف إمام الحرمين وقوله أو خلق الكفر تعريف الأشعري والمراد بالقدرة عند إمام الحرمين سلامة الأسباب والآلات بناء على أن العرض يبقى زمانين والمراد بها عند الأشعري العرض المقارن للفعل بناء على أن العرض لا يبقى زمانين والحق في هذه المسئلة مع إمام الحرمين دون الأشعري لكن عبارة الأشعري أوفق بمذهب أهل السنة من أن الأفعال كلها مخلوقة لله وليست قدرة العبد مؤثرة فيما قارنها من الأفعال وعبارة إمام الحرمين محتملة له وللمذهب المعتزلة إذ يحتمل أن معناه خلق قدرة الكفر التي بها التأثير فيه (قوله ويسمى الخذلان) هو ضد التوفيق وفيه الخلاف المتقدم بين الأشعري وإمام الحرمين (قوله من مات على الكفر أو على الإيمان) لف ونشر مرتب (قوله فقال الأول) أي وهو الأشعري وقوله لا أي لا يتبدلان بل هما أزليتان والإسلام والكفر علامة السعادة والشقاوة (قوله والثاني) أي وهو الماتريدي وقوله نعم أي يتبدلان فإذا مات المسلم على الكفر فقد انقلبت سعادته شقاوة وإذا أسلم الكافر عند الموت فقد انقلبت شقاوته سعادة (قوله والخلف لفظي) أي لأن العبرة بالخاتمة على كلا القولين وإنما الخلاف في التسمية فقط فالأشاعرة يقولون الإسلام علامة على السعادة لا لنفسها والكفر علامة على الشقاوة لا لنفسها (قوله عبارة عن تعلق القدرة) أي التنجيزي الحادث (قوله لكونها صفة معنى كالقدرة والإرادة) أي

والتكوين به وجود الأشياء وحاصله أنه لايصح أن يكون مبدأ لوجود القدرة لأن أثرها صحة الفعل والترك من الفاعل فتكون نسبتها إلى الطرفين على السواء فلابد من صفة أخرى بها الصدور وهى التكوين فهى ليست التعلق التنجيزى للقدرة حتى تكون حادثة وجائزة والجائز إنما هو الحدوث وعدمه لا الإيجاد فإنه قديم لكونه صفة ذاته تعالى فالاشقاء والاسعاد لا يتبدلان لقدمهما لما علمت أنهما يرجعان إلى التكوين الذى هو صفة ذاته تعالى والشقاوة والسعادة يتبدلان لأنهما الكفر والإيمان لا بقيد الموت على ذلك ولا يلزم من قدم التكوين قدم المكون إذ لايلزم من قدم الصفة قدم متعلقها وجملة القول فى ذلك أن الإيجاد والخلق والرزق والإحياء والإماتة والاشقاء والإسعاد والتصوير إلى غير ذلك عند الأشعرية صفات حادثة لأنها إضافات واعتبارات بين القدرة والمقدور وعند الماتريدية قديمة لأنها صفة أزلية بها صدور العالم وكل جزء من أجزائه وتسمى تكوينا لكن إن تعلقت بوجود الشىء سميت إيجادا وخلقا أو بموته سميت إماتة أو بصورته سميت تصويرا وهى زائدة على القدرة والإرادة فالإرادة بها التخصيص والقدرة هى القوة على فعل الشىء أو تركه ونسبة الأمرين اليها على السواء فليس بها صدور الأشياء وإنما بها قبول الصدور فهى مبدأ لقبول الصدور والتكوين مبدأ لنفس الصدور والمحققون من الأشاعرة على أنه ليس فى الأزل إلا مبدأ الإيجاد والاشقاء والاسعاد وغير ذلك ولا دليل على صفة أخرى سوى القدرة والإرادة فإن القدرة وإن كان نسبتها إلى وجود المكون وعدمه على السواء لكن مع انضمام الإرادة يتخصص أحد الجانبين وإنما نص على الاشقاء والاسعاد وإن دخلا فى الإيجاد اهتماما بشأنهما ودخل فى الجائز رعاية الصلاح والأصلح إذ لو وجب عليه تعالى

ماهو الأصلح فى حق العبد ماوقعت محنة وماخلق الله تعالى الكافر الفقير المعذب دنيا وأخرى وماحصل ألم لطفل لاتكليف عليه ولما كانت بعض البهائم والطيور فى غاية الضعف والبلاء ولما كان لطلب الهداية وكشف الضر معنى لوجوب إيصال ماهو الأصلح للعبد ولما بقى فى قدرة الله تعالى بالنسبة إلى مصالح العباد شىء آخر إذ قد أتى على مافى وسعه من الأصلح الواجب (ومن يقل فعل الصلاح وجبا) الألف للاطلاق (على الاله) تعالى وهم المعتزلة (قد أساء) حذف الفاء ضرورة أى فقد أحزن (الأدبا) اللائق بحقه تعالى والألف للإطلاق أيضا ففى الأدب استعارة بالكناية وفى الاساءة استعارة تخييلية ثم الكلام كناية عن عدم اتصافهم بالأدب لأنه يلزم من اساءتك لغيرك بعده عنك ونفرته منك بل لايستطيع أن ينظر اليك وهى أبلغ من الحقيقة يعنى أنهم أخلوا بالأدب مع الله تعالى غاية الاخلال حتى خلت قلوبهم عن بوارق الاجلال وارتكبوا بدعة شنيعة وقوة فظيعة وذلك لأن من وجب عليه شىء فهو مقهور ثم لايصح أن يراد بالوجوب عليه تعالى مايستحق تاركه الذم والعقاب كما فى حق المكلفين وهو ظاهر فما بقى إلا أن معناه لزوم صدور الأصلح عنه بحيث لايتمكن من الترك وإلا فلا معنى للوجوب وأقوى ماتمسكوا به فى ذلك أن ترك الأصلح يستلزم المحال من سفه أو جهل أو عبث أو بخل وظاهر أنه رفض لقاعدة الاختيار وتمسك بالفلسفة الظاهرة العوار. وحكى أن الإمام أبا الحسن الأشعرى رضى الله عنه سأل شيخه أبا على الجبائى وهو يقرر مسئلة وجوب الصلاح فقال له ماتقول فى ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعا والآخر عاصيا والثالث صغيرا فقال الأول يثاب فى الجنة والثانى يعاقب فى النار والثالث لايثاب ولا يعاقب فقال الأشعرى فان قال الثالث يارب لم أمتنى صغيرا ولم تبقنى إلى أن أكبر فأطيعك لأثاب فى الجنة فقال الجبائى يقول الرب تعالى إنى كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الأصلح لك موتك صغيرا فقال الأشعرى فإن قال الثانى يارب لم تمتنى صغيرا لئلا أعصى فأدخل النار فماذا يقول الرب فبهت الجبائى ويروى أنه قال للأشعرى أبك جنون فقال الأشعرى ولكن وقف حمار الشيخ فى العقبة فترك الأشعرى مذهبه واشتغل هو ومن معه بابطال رأى المعتزلة واثبات ماوردت به السنة ومضى عليه الجماعة فسموا أهل السنة والجماعة وسبب

فتكون المعانى عنده ثمانية وعند الأشعرى سبعة (قوله وهى التكوين) أى المشار اليها بقوله تعالى كن فيكون (قوله إنما هو الحدوث) أى الذى هو أثر الإحداث فالإحداث عنده قديم والحدوث حادث (قوله لكن إن تعلقت الخ) أى تسمى باسم متعلقها (قوله هى القوة على فعل الشىء أو تركه) أى الصلاحية للفعل والترك (قوله رعاية الصلاح) هو مايقابل الفساد كالإيمان فى مقابلة الكفر والصحة فى مقابلة المرض ، وقوله والأصلح هو يقابل الصلاح كالثواب بلا تكليف فى مقابلة الثواب مع التكليف وكونه فى أعلى الجنان فى مقابلة كونه فى الجنة (قوله ماوقعت محنة الخ) أى مع أن المشاهد خلافه (قوله حذف الفاء ضرورة) أى ولولا الضرورة لوجب اقتران الجملة بالفاء لتصدرها بقد (قوله استعارة بالكناية) أى فقد شبه الأدب بانسان أحزنه شخص وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الإساءة فاثباتها تخييل (قوله وهى) أى الكناية (قوله عن بوارق الاجلال) أى عن أنوار التعظيم والاحترام (قوله وذلك) أى وبيان الدليل على وجوب عدم وجوب الصلاح والأصلح مايستحق تاركه الذم والعقاب أى وهو الوجوب الشرعى (قوله لزوم صدور الأصلح عنه) أى وهو الوجوب العقلى وهو مالايتصور فى العقل عدمه (قوله الظاهرة العوار) أى الخلل

تسميه المعتزلة معتزلة ان رئيسهم واصل بن عطاء اعتزل عن مجلس الحسن البصرى بتقرير أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن قد اعتزل عنا واصل (واجزم) أى اقطع واعتقد وجوبا (أخى) فى الإسلام إذ الأب الذى خرجنا بسببه من ظلمة الكفر إلى نور الايمان واحد وهو النبى عليه الصلاة والسلام (رؤية الاله) سبحانه وتعالى بمعنى الانكشاف التام بالبصر أى بوقوعها (فى جنة الخلد) أى الاقامة على سبيل الدوام حال كون الرؤية حاصلة (بلا تناهى) للمرئى تعالى أى من غير احاطة بحدود المرئى ونهاياته لاستحالة الحدود والنهايات عليه تعالى فكما أنهم يعلمونه بلا حد ونهاية وبلا كيف يرونه كذلك فيرى لا فى مكان ولا فى جهة ولا باتصال شعاع ولا على مسافة بينه تعالى وبين الرائى لأن الرؤية عندنا بخلق الله تعالى فى أى محل شاء وليس بلازم أن لا يكون الا عند اجتماع الشرائط كما سيأتى توضيحه وتقع لكل من دخل الجنة من انس وجن من هذه الأمة وغيرها حتى النساء والصبيان وتتفاضل الرؤية كما وكيفا والمدة على قدر العلم بالله تعالى وحبه فى الدنيا حتى إن البعض لا تنقطع عنه أبدا كما أنه كان فى الدنيا لا يتعلق قلبه بغير الله تعالى أبدا كذا ذكروا (إذ الوقوع) أى وقوع رؤيته تعالى (جائز بالعقل) إذ العقل إذا خلى ونفسه لم يحكم

بامتناعها وتقرير الدليل العقلى إنا قاطعون برؤية الأعيان والأعراض ضرورة أنا نميز بين الأعيان والأعراض ولا بد للحكم من علة مشتركة بينهما وهى إما الوجود أو الحدوث أو الإمكان إذ لا رابع لها يشترك والحدوث الوجود بعد العدم والإمكان استواء الوجود والعدم ولا مدخل للعدم فى الرؤية ضرورة فتعين الوجود وهو مشترك بين الله وبين غيره فصح أن يرى لتحقق العلة وهى الوجود فيصح أن ترى سائر الموجودات من الطعوم والروائح والأصوات وعدم رؤيتها لكون الله تعالى لم يخلق فى العبد رؤيتها بطريق جرى العادة

(قوله وجوبا) أى شرعيا يثاب على فعله ويعاقب على تركه (قوله وهو النبى) عليه الصلاة والسلام أى فبينه وبين المؤمنين نسبة هو أصلهم وهم فروعه والجامع بينهم وبينه دين الإسلام بل هو أعلى وأجل من أب الجسم قال تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (قوله بمعنى الانكشاف التام بالبصر) أى فالانكشاف بالعلم أقل من الانكشاف بالبصر وإن كان كل من العلم والبصر لا يحيط به ولذا قال ابن العربى إن رؤية الله جعلت تقوية للمعرفة الحاصلة فى الدنيا لأنه ليس راء كمن سمعا (قوله أى بوقوعها) أى حصولها (قوله أى الإقامة على سبيل الدوام) تفسير للخلد وفيه إشارة إلى أن المراد دار السعادة مطلقا لا خصوص المسماة بهذا الاسم (قوله لكل من دخل الجنة) أى من الحيوانات التى شأنها التكليف فخرج الحيوانات الغير العاقلة فلا ترى ولو دخلت الجنة (قوله حتى النساء والصبيان) أى من هذه الأمة وغيرها وهذا هو المعتمد وقيل لا يرونه وقيل يرونه فى الأعياد (قوله وتتفاضل الرؤية) أى تزيد وقوله كما أى عددا وقوله وكيفا أى قدرا وعظما (قوله حتى إن البعض لا تنقطع عنهم أبدا) أى ولذا قال أبو يزيد إن لله رجالا لو حجبوا عن الرؤية طرفة عين لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار ومن هذا المقام قول بعض العارفين :

ليس قصدى من الجنان نعيما ... غير أنى أريدها لأراكا

(قوله إذ الوقوع الخ) علة لما تقدم من الأمر بالجزم بالرؤية (قوله إذا خلى ونفسه) الواو للمعية ونفسه منصوب على المفعولية معه وهو المختار دون الرفع لضعفه إذ يكون معطوفا على الضمير المتصل المرفوع من غير فاصل قال ابن مالك: وبلا فصل يرد * فى النظم فاشيا وضعفه اعتقد . وقال أيضا فى باب المفعول معه * والنصب مختار لدى ضعف النسق * (قوله على أن قومه الخ) ترق فى الرد عليهم وأيضا ذكر المحققون من علماء التفسير أن سؤال موسى الرؤية كان قبل قولهم أرنا الله جهرة بالزمن الطويل فحينئذ لا يصح ترتب سؤاله على سؤالهم (قوله اجتماع الحركة والسكون) أى فى زمن متحد فى جرم متحد

وقد استدل على الجواز أيضا بدليل سمعى وهو أن موسى عليه الصلاة والسلام قد سألها بقوله تعالى رب أرنى أنظر إليك فلو لم تكن جائزة ما سألها وإلا كان طلبها إما جهلا بأحكام الألوهية وإما سفها أو عبثا بطلب المحال والأنبياء منزهون عن ذلك كله وأن الله تعالى قد علقها على ممكن وهو استقرار الجبل والمعلق على الممكن ممكن إذ معنى التعليق الإخبار بوقوع المعلق عند ثبوت المعلق عليه والمحال لا يقع على شىء من التقادير الممكنة فلو لم تكن ممكنة لزم الخلف فى خبره تعالى وهو محال وما قيل من أن سؤال موسى عليه السلام لم يكن لتحصيل مطلوبه وإنما كان لتعليم قومه أنها ممتنعة حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولا نسلم أن المعلق عليه ممكن بل هو استقرار الجبل حال تحركه وهو محال فجوابه أن كلا من ذلك خلاف الظاهر فلا وجه للحمل عليه على أن قومه إن كانوا مؤمنين كفاهم قوله لهم إنها ممتنعة وإلا لم يصدقوه فى حكم الله بالامتناع فالسؤال عبث على كل حال والاستقرار حال التحرك ممكن بأن يقع السكون بدل الحركة إنما المحال اجتماع الحركة والسكون (وقد أتى فيه) أى فى وقوع الرؤية للمؤمنين (دليل النقل) من الكتاب والسنة وأجمعت الأمة على ذلك قبل ظهور البدع بابقاء النصوص الواردة على ظاهرها من غير تأويل وكل ما هو كذلك فالجزم به واجب أما الكتاب

فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وأما السنة فغير ما حديث منها قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو حديث مشهور وخالف فى ذلك المعتزلة فأحالوها متمسكين بشبه أقواها شبهة المقابلة وتقريرها أنه تعالى لو كان يرى لكان مقابلا للرائى ضرورة فيكون فى جهة وحيز ويلزم اتصال الأشعة من الباصرة بالمرئى والمسافة بين الرائى والمرئى بحيث لا يكون بعيدا جدا ولا قريبا جدا ولكان المرئى إما جوهرا وإما عرضا ولكان المرئى إما كله فيلزم التناهى والحصر وإما بعضه فيلزم التبعيض والتجزؤ واللوازم كلها محالة فالملزوم مثلها وحاصل الجواب ما أشرنا له سابقا من أن الرؤية عبارة عن نوع من الإدراك يخلقه الله متى شاء ولأى شىء شاء فى أى محل شاء فلا يلزم ما ذكر وقياس الغائب على الشاهد فاسد فكما أن العلم ادراك وهم يعلمون لا فى مكان ولا جهة ولا محدودا ولا محصورا فكذا الرؤية نوع من الإدراك فيدركونه كذلك ومع ذلك هو انكشاف تام كما نص عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى كثير من الأحاديث وبالجملة فالمعتزلة فى مخالفتهم لأهل السنة قد ضلوا عن الحق إما لتمسكهم بالمتشابهات وإما لميلهم إلى القواعد الفلسفية والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وقولى فى جنة الخلد وأما فى عرصات القيامة ففى السنة ما يقتضى وقوعها فيها للمؤمنين أيضا وهو الصحيح بل قيل والكفار ليكون الحجب عليهم حسرة ولا مانع من أن يروه فى صفات الجلال وأما رؤيته تعالى فى المنام فقد وقعت لكثير من الصالحين من سلف الأمة وخلفهم ولا خفاء فى أنها نوع مشاهدة تكون بالقلب لا بالعين   المؤلف

(قوله فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) أى حسنة مضيئة وقوله تعالى على الأرائك ينظرون وقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى هى الجنة والزيادة هى رؤية الله وعليه جمهور المفسرين (قوله فغير ما حديث) ما زائدة أى فغير حديث أى أكثر منه (قوله منها قوله صلى الله عليه وسلم) هذا الحديث رواه الشيخان والدارقطنى عن جرير قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته (قوله فأحالوها) أى قالوا بعدم جواز رؤيته فى الدنيا والآخرة بل قال أكثرهم تجويزها كفر (قوله متمسكين بشبه) أى عقلية ونقلية ذكر العقلية وترك النقلية وأقواها قوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو وارد مورد المدح فيكون إدراكه بالبصر نقصا وهو عليه محال . وأجيب عن ذلك بأن معنى لا تدركه لا تحيط به على أنه قال لا تدركه ولم يقل لا تراه فالأبصار لا تحيط به كما أن العقول لا تحيط به (قوله ففى السنة ما يقتضى وقوعها فيها للمؤمنين أيضا) أى لما ورد فى الحديث ما معناه ينادى مناد من قبل الله تعالى يوم القيامة كل أمة تتبع معبودها فعباد الشمس يلقون معها فى النار وهكذا كل معبود مع عابده إلا من رضى الله عنهم كعيسى ومريم وعلىّ فإن من عبدهم يلقى مع شيطانه فى النار إلى أن قال فى الحديث فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيقولون لا نبرح حتى نرى معبودنا فيتجلى لهم ملك لو وضعت بحار الأرض فى نقرة ابهامه لوسعها فيقول لهم أنا ربكم امتحانا لهم فيقولون نعوذ بالله لست ربنا فإن ربنا لا يتحيز وأنت متحيز ثم يتجلى لهم ملك آخر لو وضعت بحار الأرض ومثلها معها فى نقرة ابهامه لوسعها فيقولون له مثل ما قالوا للأول ثم يتجلى الله سبحانه وتعالى فيخر المؤمنون سجدا فيريد المنافقون السجود كالمؤمنين فلا يقدرون لأنه يصير ظهورهم طبقا فينادى المنادى وامتازوا اليوم أيها المجرمون وهذا معنى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق الآية فكشف الساق عند الخلف مؤول بكشف الحجاب أو كما قال (قوله وهو الصحيح) مقابله قول من قال لا يرى قبل دخول الجنة (قوله بل قيل والكفار) أى والمنافقين لكن الحق أنهم لم يروا لقوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولا يلزم من مزاحمة المنافقين للمؤمنين فى القيامة رؤيته وإنما قولهم وفعلهم تقليد كما كانوا يفعلونه فى الدنيا (قوله وأما رؤيته تعالى فى المنام فقد وقعت الخ) من جملة من رآه فى المنام الإمام أحمد بن حنبل فقد نقل عنه أنه رآه فى المنام تسعة وتسعين مرة وقال لئن رأيته تمام المائة لأسألنه عن أفضل ما يتقرب به المتقربون فرآه تمام المائة وسأله فقال له بتلاوة كلامى يا أحمد فقال بفهم وبغير فهم فقال بفهم وبغير فهم. واعلم أنه إذا رؤى فى المنام فقد يرى بالصفة التى ذكرت فى التوحيد وهى حق وقد يرى بصفة الحوادث فإن رؤى كذلك وأمر الرائى بما يخالف الشرع كأن قال له أسقطت عنك التكليف فهو الشيطان فإن أطاعه وفعل بمقتضاه فهو ضال مضل قد خسر الدنيا والآخرة وإن لم يأمره بذلك فهو رسول من عند الله فإذا علمت ذلك تعلم أن الشيطان قد يتمثل بالمولى جل جلاله على أحد قولين وأما النبى عليه الصلاة والسلام فلا يتمثل به الشيطان فمن رأى النبى عليه الصلاة والسلام فقد رآه حقا لما فى الحديث من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى فإذا رأى شخص النبى قال له مثلا أسقطت عنك التكاليف فالرؤيا حق والغلط من الرائى والفرق أن الله ليس كمثله شىء فتمثيل الشيطان به لا يضر فى العقيدة لقيام البرهان على خلافه وأما النبى صلى الله عليه وسلم فهو بشر فلو تمثل به الشيطان لأفسد الدين وسمعت من شيخنا

المؤلف يقول إن كبار الأولياء لا يتمثل بهم الشيطان أيضا لعموم قوله تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - (قوله والمعتمد أن النبى صلى الله عليه وسلم رآه ليلة الإسراء) أى وهو قول ابن عباس والجمهور، وقوله لا بالقلب فقط هو قول السيدة عائشة ورجح قول ابن عباس بأنه مثبت وهو مقدم على النافى على أنها لم تدرك زمنها ولم تقع فى الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم وأما الكليم فلم ير وإنما حصل له الكلام وهو أعظم عطاياه فسمى كليما ولم يسم النبى كليما مع أنه أعطى الكلام أيضا لكونه فاز بالأشرف وهو الرؤية فمن ادعى رؤية الله يقظة بعينى رأسه فهو ضال مضل قيل فاسق وقيل مرتد . إن قلت كيف تصنع فى قول العارف ابن الفارض :

وأباح طرفى نظرة أملتها ... فغدوت معروفا وكنت منكرا

وقوله أيضا : وإذا سألتك أن أراك حقيقة ... فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترا

وقوله أيضا : ومن على سمعى بلن إن منعت أن ... أراك فمن قبلى لغيرى لذة

إذ يوهم أن مقصوده رؤية الله وأنه رأى بالفعل مع أن من ادعى ذلك فهو كافر على أحد القولين . قلت أحسن ما يجاب به أن ذلك خطاب للحضرة النبوية فقوله ومن على سمعى الخ أى يا رسول الله إن لم ترنى ذاتك فأسمعنى خطابك وقوله وإذا سألتك الخ أى يا رسول الله لا تعاملنى فى رؤيتك كما عومل به موسى بل عاملنى فى رؤيتك وأرنى ذاتك كما أراك الله ذاته ولذا قال أيضا :

أبق لى مقلة لعلى يوما ... قبل موتى أرى بها من رآكا

ويجاب أيضا بأن الكلام فى الحضرة الإلهية والرؤية محمولة على الرؤية القلبية التى قال فيها .

أننا مع الأحباب رؤيتك التى ... إليها قلوب الأولياء تسارع

فقوله وأباح طرفى أى قلبى وسماه طرفا تجوزا لأن الكلام خارج مخرج الكناية لأنه ليس صريحا فى الذات العلية [تتمة] من جملة من أنكر رؤية الله تعالى الزمخشرى فى الكشاف وأنشد يهجو أهل السنة بقوله : لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمرى موكفه

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه(١)

والمعتمد أن النبى صلى الله عليه وسلم رآه ليلة الإسراء بالبصر لا بالقلب فقط .

ولما فرغ من القسم الأول من أقسام هذا الفن

(١) وقد أجاب عن بيتى المعتزلى حضرة الفاضل الشيخ (أحمد على المليجى) بقوله - أجزل الله له الأجر والثواب :

يا منكرا نظر العباد لربها ... فى جنة من غير كيف للصفه

الله أثبتها بنص كتابه ... والعقل جوزها بنور المعرفه

ودليله لذوى البصائر ظاهر ... وبه أقر أولو العقول المنصفه

وهو القياس على وجود إلهنا ... والكل أجمع أنه بالبلكفه

وعليه فاجزم بالجواز ولا تكن ... ممن تعنت وارتضى قول السفه

واخبر بها حيث القياس مطابق ... وأرح فؤادك من عناء السفسفه

أو فاترك الإثنين واتبع الهوى ... وإذا تقاد إلى المهاوى المتلفه

وتعد فى الدنيا لدى عقلائها ... أغبى غبى كالحمير الموكفه

وبها يكون جزاء مثلك محقه ... منها ولكن بالسيوف المرهفه

هذا اعتقادى لا أميل لغيره ... وهو الصواب ولم يكن بالزخرفه

قال ناظم هذه الأبيات هذا ما فتح الله به ومن كان لديه جواب أقوى منه فليأت به وله الأجر .

وهو الألوهيات شرع فى القسم الثانى وهو النبوات فقال (وصف) أيها المكلف وجوبا (جميع الرسل) بسكون السين للضرورة أى يجب عليك أن تعتقد أنهم عليهم الصلاة والسلام متصفون (بالأمانة) وهى حفظ الله تعالى بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهى عنه ولو نهى كراهة ولو حال الطفولية وهى المسماة بالعصمة

قال ابن المنير حيث انتقل للهجو فقد أذن النبى صلى الله عليه وسلم لحسان فيه ونقتدى به فنقول :

وجماعة كفروا برؤية ربهم ... هذا لوعد الله ماإن يخلفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم ... إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفه

وقال أبو حيان :

شبهت جهلا صدر أمة أحمد ... وذوى البصائر بالحمير الموكفه
وجب الخسار عليك فانظر منصفا ... فى آية الإعراف فهى المنصفه
أترى الكليم أتى بجهل ماأتى ... وأتى شيوخك ماأتوا عن معرفه
إن الوجوه إليه ناظرة بذا ... جاء الكتاب فقلتم هذا سفه
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى ... فهوى الهوى بك فى المهاوى المتلفه

وقال الجاربردى : عجبا لقوم ظالمين تستروا ... بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه
قد جاءهم من حيث لايدرونه ... تعطيل ذات الله مع نفى الصفه

وقال التاج السبكى :

لجماعة جاروا وقالوا انهم ... للعدل أهل مالهم من معرفه
لم يعرفوا الرحمن بل جهلوا ومن ... ذا أعرضوا بالجهل عن لمح الصفه

وقال أبو الحسن البكرى :

ياجامعا بين الضلالة والسفه ... ومشبثا فى دينه بالفلسفه
ومذمما فى عدله جور بلا ... عرف وبزعم وصفه بالمعرفه
فبزعمه لم ينصرف عن غيه ... بل ظل فى حجج تلوح مزخرفه
قد قلت قول الله حق ثم لم ... تؤمن برؤياه وذلك متلفه
ومنعت من قدم الصفات ضلالة ... فلظى لذاتك كل وقت مشرفه
فلك الذى قد قلته فى رؤية ... وجزيت بالعدل السيوف المرهفه

اه من حاشية شيخنا الأمير على الشيخ عبد السلام (قوله وهو الألوهيات) أى مايتعلق بحضرة الاله من الواجب والمستحيل والجائز فى حقه تعالى والرد على المخالفين فى ذلك ، وختم ذلك البحث بالرؤية لأنه المقصد الأعظم للعارفين ولذا قال بعضهم :

ليس قصدى من الجنان نعيما ... غير أنى أريدها لأراكا

(قوله وصف أيها المكلف وجوبا) أى يجب عليك أن تعتقد أنهم موصوفون بتلك الصفات (قوله ولو حال الطفولية) إن قلت إنه لاتكليف قبل البعثة فلا معصية قبلها فكيف يقال إنهم معصومون من المعاصى قبل النبوة والحال أنه لامعصية قبلها . قلت المراد الصورة التى يحكم عليها بأنها معصية بعد البعثة . إن قلت إن إخوة يوسف قد فعلوا معه ماظاهره الحرام فعلى أنهم ليسوا بأنبياء فلا إشكال وأما على أنهم أنبياء فهو مشكل . أجيب بأنهم وإن كانوا أنبياء إلا أنهم ليسوا برسل مشرعين فللنبى أن يفعل بمقتضى الحقيقة وباطن الأمر كما فى خرق السفينة وقتل الغلام الواقع من الخضر عليه السلام فهو بحسب الظاهر حرام وبحسب الباطن مصلحة فاخوة يوسف أعلمهم الله بالالهام أو الوحى أن يوسف يملك مصر وتحصل له السيادة العظمى بها فتعين عليهم أن يفعلوا أمورا وإن كان ظاهرها الحرام إلا أنها فى الباطن والواقع واجبة عليهم ليتوصلوا بذلك إلى وصوله مصر ففعلهم هذا حرام ظاهرا مأمورون به باطنا ويقال فيهم كما قال الخضر وما فعلته عن أمرى وكذا يقال فى أكل آدم من الشجرة

وبوضح

إذ لوجاز عليهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه للزم أن يكون ذلك المحرم أوالمكروه طاعة ، بيان
اللازمة أن الله تعالى قد
أمرنا باتباعهم فى أقوالهم
وأفعالهم من غير تفصيل
إلا فيما ثبت اختصاصهم به
عن الأمة ، وحينئذ فكل
ماصـدر منهـم فنحن
مأمورون به وكل مأمور
به فهو طاعة لأن الله تعالى
لايأمر بالفحشاء (والصدق)
أى فى دعـواهم الرسالة
فى تبليغهم الأحكام وهو
مطابقة حكم الخبر للواقع
قال تعالى ـ وماينطق عن
الهوى ـ ولأنهم لوجاز عليهم
الـكذب للزم الـكذب
فى خبره تعالى لأنه تعالى
صـدّقهم بالمعجزة النازلة
منزلة قوله : صدق عبدى
فى كل مايبلغ عنى وتصديق
الـكاذب كذب محض
والـكذب على الله محال
لأنه نقص وما أدى إلى
المحال محال والمعجزة أمر
خارق للعادة مقـرون
بالتحدى مع عدم المعارضة
فدخل فى قولنا أمر الفعل
والترك كعدم إحراق النار
لإبراهيم وقولنا خارق الخ
احتراز من أن يتمسك
بالعادات وقولنا مقرون
بالتحدى أى دعـوى
الرسالة احتراز من كرامات
الأولياء والارهاصات
وهى ماتتقدم بعثة الأنبياء
تأسيسا لها وقولنا مع عدم
المعارضة احتراز من السحر والشعوذة وسيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم

ويوضح المقام قول العارف الجيلى :

ولى نكتة غرا هنا سأقولها ... وحق لها أن ترعويها المسامع
هى الفرق مابين الولى وفاسق ... تنبه لها فالأمر فيـه بدائع
وماهو إلا أنه قبـل وقعـه ... يخبر قلبى بالذى هو واقع
فأجنى الذى يقضيه فى مرادها ... وعينى لها قبل الفعال تطالع
فكنت أرى منها الإرادة قبلما ... أرى الفعل منى والأسير مطاوع
إذا كنت فى أمر الشريعة عاصيا ... فانى فى حكم الحقيقة طائع

ويؤول أيضا مايوهم خلاف الأمانة فى حقهم كقوله تعالى ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ووضعنا عنك وزرك بأن المراد ذنوب أمته ووزرهم أوالمراد وزره على فرض وقوعه أى إن وقع منك ذنب أو وزر فقد غفرناه لك ووضعناه عنك أو المراد بالوزر أثقال الوحى فانه كان يثقل عليه نزول الوحى فأخبره الله بأنه وسع صدره ووضع عنه أثقال الوحى فكان بعد ذلك لايثقل عليه (قوله إذ لوجاز عليهم أن يخونوا الخ) هذا قياس استثنائى مركب من شرطية متصلة مذكورة واستثنائية محذوفة استثنى منها نقيض التالى فأنتج نقيض المقدم ونظم القياس هكذا لوخانوا بفعل محرم أومكروه لانقلب المحرم أوالمكروه طاعة فى حقهم لكن انقلاب المحرم أوالمكروه طاعة مأمورا بها باطل فبطل المقدم وهو صدور الخيانة منهم وإذا بطل صدور الخيانة منهم وجبت لهم الإمانة وهو المطلوب (قوله باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم) مراده بالأفعال ماقابل الأقوال فيشمل الإقرار إذ لايقرون على محرم أومكروه (قوله والصدق)أى ولو فى المزاح لما فى الحديث أمزح ولا أقول إلا حقا ويؤول له ماظاهره الـكذب فى حق الأنبياء كما فى واقعة إبراهيم الخليل مع الأصنام فى قوله تعالى قال بل فعله كبيرهم هذا كلام خارج مخرج التقريع والتهديد والتبكيت لأنه لم يكن عند الأصنام غيره فما فائدة قولهم من فعل هذا (قوله المعجزة) هى فى الأصل مشتقة من الإعجاز وهو إثبات العجز فى الغير ثم استعمل فى لازمه وهو اظهاره ثم نقلت للأمر الخارق الذى ذكره الشرح والتاء فى معجزة للنقل من الوصفية للاسمية (قوله مع عدم المعارضة) أى مع عدم القدرة على المعارضة والإتيان بمثله (قوله كرامات الأولياء) أى وهى الأمور الخارقة للعادة الظاهرة على يد ظاهر الصلاح . والحاصل أن أحوال الخارق للعادة ستة جمعها بعضهم بقوله :

إذا مارأيت الأمر يخرق عادة ... فمعجزة إن من نبىّ لنا صدر
وإن بان منه قبل وصف نبوة ... فالارهاص سمه تتبع القوم فى الأثر
وإن جاء يوما من ولى فإنه الـكرامة فى التحقيق عند ذوى النظر
وإن كان من بعض العوام صدوره ... فـكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق إن كان وفق مراده ... يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
وإلا فيدعى بالاهانة عندهم ... وقدتمت الأقسام عند الذى اختبر

(قوله والإرهاصات) مأخوذ من الرهص بالـكسر وهو أساس الحائط سميت بذلك لأنها مؤسسة للنبوة ومقوية لها وذلك كخمود نار فارس وانشقاق إيوان كسرى وتظليل الغمام وغير ذلك (قوله من السحر والشعوذة) أى فان كلا منهما يمكن معارضته والإتيان بمثله وماذكره الشارح من أن السحر خارج بقيد عدم المعارضة مبنى على القول بأنه خارق للعادة وقال القرافى إنه معتاد وغرابته للجهل بأسبابه فمن عرف أسبابه وتعاطاها أجاب معه وعليه فهو خارج بقوله خارج للعادة والشعوذة هى خفة فى اليد

وعلى والديه وأولاده وآله وصحبه وأمته قد ادعى أنه رسول الله إلى الإنس والجن بل إلى الخلق جميعا وأظهر المعجزة على دعواه أما دعواه الرسالة فقد علم بالتواتر حتى لا ينكر ذلك مؤمن ولا كافر وأما اظهار المعجزة فلوجهين أحدهما أنه أظهر كتابا من عند الله تعالى وتحدى به مع كمال بلاغتهم وقوتهم على معرفة أساليب الكلام وطلب من إنسهم وجنهم ذلك فلم يقدروا على المعارضة ـ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ـ أى معينا فتحدى بعشر سور فلم يقدروا فتحدى بسورة الصادق بأقصر سورة فلم يقدروا على المعارضة مع شدة حرصهم على ذلك حتى خاطروا بمهجهم وأعرضوا عن المعارضة بالحروف إلى المقارعة بالسيوف ولم ينقل عن واحد منهم مع توفر دواعيهم الإتيان بشئ مما يدانيه بل جعل الكذاب أن يعارضه فأتى بخرافات مضحكة أى إنسان سمعها إلا وضحك وعلم أنها هذيان كما فى معارضته لسورة الكوثر بقوله إنا أعطيناك العقعق فصل لربك وازعق إن شانئك هو الأبلق وكما فى معارضته سورة الفيل بقوله الفيل ماالفيل وما أدراك ماالفيل له ذنب طويل ومشفر وتيل ، وماأحسن قول شرف الدين الأبوصيرى فى البردة :

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور يد الجانى عن الحرم

ثانيهما أنه نقل عنه عليه الصلاة والسلام من خوارق العادات مابلغ القدر المشترك من حد التواتر وإن كان تفاصيلها آحادا كتسبيح الحصى فى كفه وتكليم الجمادات والحيوانات ونبع الماء من الأصابع وظهور البركة فى الأطعمة والأشربة وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، هذا مع ماكان عليه من حسن الخلق الذى لا يراه أحد إلا ويقطع أنه ليس بكذاب وإن كان يقع من الضالين العناد وكمال خلقه من تمام الحلم والعلم مع كونه ولد فى قوم لا يعرفون شيئا من غير أن يتعاطى أسباب العلم ووفور البركة مع قلة أكله جدا فيقدم حيث تحجم الأبطال ويقف حيث يفر عند شدة الهول صناديد الرجال ويثبت على حاله من الدعوى لدى شدائد ما الأهوال حتى لم يجد أعداؤه إليه مطعنا فى حال من الأحوال بل شهد له العدو والحبيب بوفور الكمال والإفضال كل ذلك نقل الينا بالتواتر فعلمنا ذلك علما ضروريا فلا يعاند فى ذلك إلا من استحق من الله تعالى شديد النكال وأما نبوة غيره كآدم فمن بعده فقد علم بالكتاب والسنة وأثنى عليهم الله تعالى فى كتابه بقوله رسلا مبشرين ومنذرين وغير ذلك فيجب لهم مايجب له عليه الصلاة والسلام والبعض قد عينه الكتاب والبعض لم يعينه وقد ثبت بالكتاب والسنة أنه آخر النبيين فلاتبتدأ نبوة بعده عليه الصلاة والسلام وقد ضرب الأشياخ لصدق مدعى الرسالة بدليل المعجزة مثالا يتضح به دلالتها على صدقه ويعلم ذلك بالضرورة فقالوا امثال ذلك مما إذا قام رجل فى مجلس ملك بحضور جماعة وادعى أنه رسول هذا الملك اليهم فطلبوا منه الحجة على ذلك فقال دليلى على صدق قولى أن يغير الملك عادته بأن يقوم عن سريره ويقعد ثلاث مرات والملك يسمع ذلك ففعل الملك ذلك فلاشك أنه يحصل للجماعة العلم الضرورى أنه صادق فى دعواه ومنزل منزلة قوله صدق هذا الرجل فيما ادعاه ولافرق فى حصول العلم بذلك لمن شاهده أولم يشاهده ولكن نقل إليه خبر هذا الفعل بالتواتر (والتبليغ) أى إيصال الأحكام التى أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم إذهم مأمورون بالتبليغ قال تعالى ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والأمر للوجوب وقدتقدم أنهم لا يخونون الله تعالى بفعل منهى عنه وماثبت له عليه الصلاة والسلام

ترى الشىء على خلاف ماهو عليه ويقال شعبذة بالباء أيضا (قوله وعلى والديه) الأحسن كسر الدال ليشمل الأجداد (قوله إلى الإنس والجن) أى إرسال تكليف وقوله بل للخلق جميعا أى ولكن إرساله للجمادات والحيوانات الغير العاقلة إرسال تشريف وللملائكة قيل تكليف وقيل تشريف وللثقلين إرسال تكليف (قوله الصادق بأقصر سورة) الظاهر أنه منصوب نعت لمحذوف معمول تحدى تقديره التحدى الصادق الخ (قوله مما يدانيه) أى يقرب منه (قوله بل جعل الكذاب) أى واسمه مسيلمة من أرض اليمامة ادعى النبوة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا وبعثه لرسول الله صلى الله عليه وسلم صورته من عند مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض بينى وبينك نصفان لى نصفها ولك نصفها فأرسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له من عند محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده (قوله رد الغيور) مفعول مطلق لقوله ردت والغيور صفة لموصوف محذوف أى الرجل الغيور وهو كثير الغيرة عظيمها وقوله عن الحرم جمع حرمة أى إن الرجل إذا كان عظيم الغيرة ووجد جانيا على حريمه يدفعه بشدة وقوة ولو أدى إلى قتله فآيات القرآن العزيز بلاغتها ترد معارضها كهذا الرد (قوله فيقدم حيث تحجم الأبطال) أى يتقدم لقتال الكفار فى محل يرجع منه الشجعان ولا يستطيعون الإقبال منه ولا الوقوف فيه (قوله صناديد الرجال) جمع صنديد وهو الشجاع (قوله بل شهد له العدو والحبيب الخ) أى وناهيك بما وقع من هرقل لأبى سفيان (قوله والبعض قد عينه الكتاب) أى وهو خمسة وعشرون منهم ثمانية عشر فى الأنعام فى قوله وتلك حجتنا الآيات والباقى محمد وآدم وصالح وهود وشعيب وإدريس وذو الكفل كما يأتى (قوله والبعض لم يعينه) أى وهو

يثبت لهم وقال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين ولايتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ (والفطانة) بفتح الفاء وهى حدة العقل وذكاؤه فلا يجوز أن يكون الرسول ولا النبى مغفلا أو أبله أو بليدا لأنهم أرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شبه المجادلين ولا يكون ذلك من مغفل ولا أبله ولأنا مأمورون بالاقتداء بهم فى الأقوال والأفعال والمقتدى به لا يكون بليدا ولأن البلادة صفة نقص تخل بمنصبهم الشريف ومن ذلك يعلم أنهم لا يكونون إلا من أشرف الناس رجالا ونساء إذ شأن دنىء الأصول أن تأنف النفس من اتباعه والاقتداء به ولذا كانوا منزهين عن كل ما يخل بالمروءة وكل ما يؤدى إلى نقص فى مراتبهم العلية عليهم صلوات الله وسلامه (ويستحيل) فى حقهم عليهم السلام (ضدها) أى ضد هذه الواجبات الأربعة المتقدمة (عليهم) فيمتنع فى حقهم الخيانة بفعل منهىّ عنه إذ أفعالهم لا تخلو عن الواجب والمندوب والمباح وهذا بالنظر إلى الفعل فى حد ذاته وأما لو نظر إليه بحسب عوارضه فالحق أن أفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب لا غير وأما المباح فلا يقع منهم كما يقع من غيرهم بل لا يقع منهم إلا مصاحبا لنية تصرفه إلى كونه مطلوبا وأقله قصد التشريع للغير وذلك من باب التعليم وناهيك به مرتبة وإذا كان بعض تابعيهم كالأولياء لا تخلو أفعاله من الواجب والمندوب بصرف المباحات بالنية الصالحة إلى المندوبات كأن يصرف الأكل للتقوّى على العبادة وإقامة البنية والجماع لصون النفس عن الحرام وللنسل المطلوب وغير ذلك فكيف بهؤلاء السادة الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام وكذا يستحيل عليهم الكذب لما مر (٦١) ولقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وكذا يستحيل عليهم كتمان شىء مما أمروا بتبليغه إذ كيف يقع منهم الكتمان وهو ملعون صاحبه بنص قوله تعالى إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب الآية وأما مالم يؤمروا بتبليغه فبعضه يخيرون فى تبليغه وهو مالم يؤمروا بعدم تبليغه وبعضه يجب كتمانه وهو ما أمروا بكتمانه كبعض الأسرار الإلهية وبعض هذا القسم أذن لهم فى ايصاله لبعض الأفراد كالخلفاء الأربعة وكأبى هريرة رضى الله عنهم وهذه الأسرار هى المتداولة بين الأولياء وكذا يستحيل عليهم البلاهة والغفلة والبلادة (وجائز) عليهم كل عرض بشرى لا يؤدى إلى نقص فى مراتبهم العلية بأن لا يكون منهيا عنه ولا مباحا مزريا ولا مرضا مزمنا أو تعافه النفس كالجذام والبرص سواء كان مما لا يستغنى عنه عادة (كالأكل) والشرب والنوم أم كان مما يستغنى عنه كأكل الفواكه والنكاح أو كان من الأمراض غير المزمنة وغير المنفرة فكل ذلك جائز (فى حقهم) عليهم الصلاة والسلام ولا تخلو هذه الأعراض النازلة بهم من فوائد كتعظيم أجورهم وعلوّ مراتبهم عند الله تعالى والله تعالى وإن كان قادرا على أن يفعل بهم ذلك من غير ابتلاء ومشقة تحصل لهم إلا أن حكمته تعالى اقتضت ترتب ذلك على الابتلاء لا يسئل عما يفعل وكالتشريع كما عرفنا أحكام السهو فى الصلاة من سهوه صلى الله عليه وسلم وكيف تؤدى الصلاة فى حال المرض والخوف من فعله عليه الصلاة والسلام حال ماذكر ودلالة الفعل أقوى من دلالة القول وكالتسلى بأحوالهم إذا نزل بنا ما نزل بهم وكالتنبيه على حقارة الدنيا وخسة قدرها عند الله تعالى ولذا قال عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء فإذا نظر العاقل فى أحوالهم عليهم الصلاة والسلام من أمراض وأسقام وقلة مال وأذية الخلق لهم علم أنها لا قدر لها عند الله تعالى فأعرض عنها بقلبه بالكلية وعلق قلبه بربه فى البكرة والعشية إن كان ذا همة علية حتى يرى أثر موته عاقبة هذه العيشة المرضية ودخل فى قولنا المباح المزرى سؤال الصدقة بل قبولها فلا يجوز عليهم والأكل فى السوق ودخل فى المرض المزمن العمى والجنون ولو قل لأن شأنه أن يزمن ولأنه

ماعدا هذه الخمسة والعشرين قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك (قوله ضدها) المراد بالضد مطلق المنافى وذلك لأن الكذب عدم مطابقة الخبر للواقع والخيانة فعل المحرمات والمكروهات والكتمان عدم الوفاء بما أمروا بتبليغه للخلق وحينئذ فالتقابل بين الصدق والكذب تقابل الشىء والمساوى لنقيضه وأما بين الأمانة والخيانة فتقابل الضدين لأنه فسر الخيانة بالفعل وهو وجودى وأما بين التبليغ والكتمان فتقابل الشىء والمساوى لنقيضه وكذا بين الفطانة والبلادة (قوله بفعل منهى عنه) الباء للتصوير (قوله لما مر) أى من الدليل العقلى وقوله ولقوله تعالى الخ هذا هو الدليل النقلى (قوله وبعض هذا القسم أذن لهم فى إيصاله الخ) وبعض العلماء يجعل هذا من القسم المخير فيه فتكون الأقسام ثلاثة ما أمروا بتبليغه لم يكتموا منه حرفا وما أمروا بكتمانه لم يبلغوا منه حرفا وما خيروا فيه بلغوا البعض وكتموا البعض وما بلغوه منه هو الأسرار الإلهية السارية فى الأولياء وهذا هو الظاهر (قوله والنكاح) المراد به الجماع فى الحل أعم من أن يكون بعقد أو ملك يمين لكن بقيد العقد بالمسلمات الحرائر (قوله وكالتسلى) أى التصبر وعدم الحزن على فقد الدنيا فإذا حصل لك فقر مثلا أو مرض تسلى بما وقع للأنبياء قبلك (قوله وخسة قدرها) أى لأن حلالها حساب وحرامها عقاب (قوله جرعة ماء) بضم الجيم وفتحها والمعنى لو كان للدنيا قيمة قليلة توازن جناح بعوضة فضلا عن كونها كثيرة ما سقى الخ (قوله العيشة المرضية) مفعول

تقص ولم يعم نبى قط وماقيل إن شعيبا عليه السلام كان ضريرا لاأصل له ويعقوب إنما حصلت له غشاوة وزالت وأما السهو فيجوز فى الأفعال كالسلام من ركعتين دون الأقوال وأما نسيان الأحكام فلايجوز عليهم قبل التبليغ ويجوز بعده لحفظه بعده ولوجوب ضبطه على المبلغ ليعمل به وليبلغه ويجوز نسيان المنسوخ مطلقا قبل التبليغ وبعده. واعلم أن ماجاز عليهم من الأعراض البشرية التى لاتؤدى إلى نقص فى مراتبهم العلية فإنما هو بحسب ظواهرهم فقط وأما بواطنهم فهى معمورة بالأسرار الإلهية متعلقة بحب خالق البرية فلايحصل منهم ضجر ولاشكوى ولاتأوه منها بل لايزيدهم منها إلا قربا وحبا بل هذه الحالة تكون فى كثير من أممهم فكيف بهم عليهم الصلاة والسلام ولما أوجبت المعتزلة ارسال الرسل بناء على قاعدتهم من وجوب الصلاح عليه تعالى والأصلح فى حق عبيده أن يرسل إليهم الرسل لينبهوهم على ماينجيهم من المهالك ومايوبقهم فيها وأحاله السمنية والبراهمة نظرا إلى أنه عبث لكون العقل كافيا عنه أشار إلى الرد عليهم بقوله

(إرسالهم تفضل) وإحسان من الله تعالى (ورحمة) منه (للعالمين) وليس بواجب عليه لما علمت أنه الفاعل المختار الذى لاحرج عليه ولايسئل عما يفعل ولا عستحيل لأن العقل إذا خلا ونفسه قد يغفل عن أكثر الأحوال المناسبة له فى معاشه فكيف بدقائق الشرع والسمعيات التى لاتتلقى إلا من الصادق (جل مولى) بضم الميم وكسر اللام أى معطى (النعمة) التى من أجلها إرسال الرسل إلينا فلله الحمد على ذلك وعلى كل حال . ولما كانت مباحث هذا الفن ثلاثة الهيات ونبوات وسمعيات وقد تقدم الكلام على بيان الأولين شرع فى الثالث وهو السمعيات فقال (ويلزم) أى يجب على المكلفين (الإيمان) أى التصديق (بالحساب) وهو لغة العدّ واصطلاحا توقيف الله عباده فى المحشر على أعمالهم فعلا أوقولا وأنهما أو اعتقادا تفصيلا بأن يكلمهم الله تعالى بكلام قديم ليس بحرف ولاصوت بأن يزيل عنهم الحجاب حتى يسمعوه أو بصوت يخلقه الله تعالى يدل عليه وقد يكون من الملائكة فقط وقد يكون منه تعالى ومن الملائكة جميعا وكيفيته مختلفة فمنه اليسير ومنه العسير والسر والجهر والفضل والعدل على حسب الأعمال فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ويكون للمؤمنين والكافرين إنسا وجنا بعد أخذهم الكتب لقوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا الآية وأيسر الحساب محاسبة الله فقط حتى لايعلم بذلك انس ولاجن ولاملك يقول له تعالى هذه سيئاتك قد غفرتها لك وهذه حسناتك قد ضاعفتها لك ولايكون للمعصومين ويستثنى ممن يحاسب سبعون ألفا أفضلهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فإنهم يدخلون الجنة بغير حساب كما ورد بذلك الحديث وهذه الأمة وإن كانت آخر الأمم إلا أنها تقدم فى الآخرة فى الحساب وغيره (و) يجب الإيمان بـ(الحشر) أى حشر الأجساد وهو سوقها إلى الموقف المسمى بالحشر بعد بعثهم من قبورهم المسمى بالنشر كما سيأتى ومراتب الناس فى الحشر متفاوتة فمنهم الراكب ومنهم الماشى على رجليه ومنهم من

ثان ليرى والأول قوله عاقبة هذه (قوله وزالت) أى حين جاءه البشير بقميص يوسف كما أخبر الله تعالى بقوله فارتد بصيرا (قوله والبراهمة) نسبة لبرهام كبيرهم (قوله نظرا إلى أنه عبث الخ) أى فهو بناء على أصلهم الفاسد من التحسين والتقبيح العقليين (قوله أشار للرد عليهم) أى الفرق الثلاث وكذا على الفلاسفة القائلين إن الرسل موجودون بالعلة والطبيعة لكن السمنية والبراهمة والفلاسفة كفار والمعتزلة فساق (قوله فلله الحمد على ذلك) أى على إرسال الرسل لنا ولم يدعنا كالبهائم هملا (قوله أى يجب على المكلفين) أى وجوب الأصول من أنكره كفر لثبوته كتابا وسنة وإجماعا فالكتاب قال تعالى سريع الحساب وغير ذلك من الآيات والسنة قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وغير ذلك من الأحاديث وأجمع المسلمون عليه والمراد بالمكلفين مايشمل الجن لأن لهم مالنا وعليهم ماعلينا (قوله فى المحشر) بفتح الشين وكسرها (قوله وقد يكون من الملائكة فقط) أى وهو أصعبها (قوله بعد أخذهم الكتب) أى وبعد الشفاعة فى فصل القضاء (قوله وأيسر الحساب محاسبة الله فقط) أى لأن الغالب فيها العفو (قوله يقول تعالى له هذه سيآتك الخ) أى بعد أن يضع كنفه عليه وهذا لمن يحب الستر على عباد الله (قوله كما ورد بذلك الحديث) وهو مامعناه أعطانى ربى سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فاستزدت ربى فزادنى فقال لى هكذا وهكذا كناية عن كونه أعطاه من غير عدد فهؤلاء يسمون عتقاء الرحمن وورد فى بعض الروايات أن مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا (قوله وهو سوقها إلى الموقف) أى وأول من تنشق عنه الأرض المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم صاحباه ثم أهل البقيع ثم أهل مكة من أهل الشام ثم من بقى وأنواع الحشر أربعة اثنان فى الدنيا أحدهما جلاؤه عليه الصلاة والسلام اليهود من المدينة إلى الشام ثانيهما سوق النار التى تخرج من قعر عدن الناس قرب قيام الساعة إلى المحشر واثنان فى الآخرة أحدهما جمعهم إلى الموقف بعد إحيائهم والثانى صرفهم من الموقف إلى الجنة أو النار (قوله المسمى بالنشر) أى فالحشر السوق والنشر الإخراج من القبور وهو أحد قولين والآخر أنهما متحدان

يمشى على وجهه ويكون فى صور مختلفة على حسب الأعمال فمنهم من هو على صورة القردة وهم الزناة ومنهم على صورة الخنازير وهم آكلو السحت والمكس ومنهم الأعمى وهو الجائر فى الحكم ومنهم الأصم الأبكم وهو الذى يعجب بعمله ومنهم من يمضغ لسانه مدلعا على صدره يسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ومنهم المقطوع الأيدى والأرجل وهم الذين يؤذون الجيران ومنهم من يصلب على جذوع من النار وهم السعاة بالناس إلى السلطان ومنهم من هو أشد نتنا من الجيف وهم الذين يقبلون على الشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم ومنهم من يلبس جبة سابغة من قطران لاصقة بجلده وهم أهل الكبر والعجب والخيلاء كذا رأيته بخط شيخنا ناقلا له عن الثعلبى (والعقاب) على الذنوب والكفر فى القبر وفى المحشر وبعده بأنواع مختلفة على حسب الأعمال فمنهم من يعاقب بالحيات أو بالعقارب ومنهم من يعاقب بالضرب ومنهم من يعاقب بغير ذلك ثم مآل الكفار إلى النار ويخلدون فيها وأما أهل المعاصى فقد يغفر لهم فلا يدخلون النار وبعضهم يدخلها ولكن لا يخلد فيها بل لابد من خروجه منها بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم أو غيره على ما شاء الله تعالى وأما بعد البعث فمحله الروح والجسد قطعا وكذا قبله فى البرزخ على المشهور بأن يعيد الله الروح إليه أو إلى

جزء منه إن قلنا إن المعذب بعض الجسد ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو الحيتان فان القادر لا يعجزه شىء وقيل إنه يتعلق بالأرواح فقط (والثواب) أى الجزاء على الأعمال بالجنة فى الآخرة وغيرها من أنواع النعيم وكذا فى البرزخ وبعده وأنواعه مختلفة أيضا على حسب الأعمال والإفضال من الواحد المتعال (والنشر) وهو البعث والمراد به إحياء الله الموتى من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية بأن يجمعها الله تعالى بعد تفرقها وقيل بعد عدمها بالكلية ماعدا عجب الذنب فإنه لا يعدم وقيل هو الإخراج من القبور بعد الإحياء برد الروح فيه (والصراط) وهو لغة الطريق الواضح وشرعا جسر ممدود على متن جهنم بين الموقف والجنة لأن جهنم بينهما ترده المؤمنون والكفار للمرور عليه إلى الجنة أدق من الشعرة وأحد من السيف وأنكر القرافى تبعا لشيخه العز كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف بل هو متسع لما ورد مايدل على ذلك والأظهر أنه

يختلف ضيقا واتساعا باختلاف الأعمال وقيل إن الكفار لا يمرون عليه بل يؤمر بهم إلى النار من أول الأمر وقيل بعضهم يمر وبعضهم لا والمارون عليه مختلفون فمنهم سالم بعمله ناج من الوقوع فى نار جهنم وهم على أقسام فمنهم من يجوزه كلمح البصر ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ومنهم كالريح العاصف ومنهم كالطير ومنهم كالجواد السابق ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشى ومنهم من يمر عليه حبوا على قدر تفاوتهم فى الأعمال الصالحة والإعراض عن المعاصى فكل من كان أسرع إعراضا عنها إذا مرت على خاطره كان أسرع مرورا ومنهم من تخدشه كلاليبه فيسقط ولكن يتعلق بها فيعتدل ويمر ويجاوزه بعد أعوام ومنهم غير السالم بل يسقط فى نار جهنم وهم متفاوتون أيضا بقدر الجرائم ثم منهم من يخلد فى النار كالكفار ومنهم من يخرج منها بعد مدة على حسب ما شاء الله تعالى وهم عصاة المؤمنين بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأخيار وهو من الممكنات التى أخبر بها الصادق وكل ما كان كذلك فيجب الإيمان به قال تعالى فاستبقوا

وأنهما اسم للاخراج من القبور مع السوق (قوله مدلعا) أى مدلى (قوله وهم الذين يقبلون على الشهوات واللذات) أى المحرمة (قوله بخط شيخنا) المراد به العلامة العدوى نفعنا الله به (قوله وكذا قبله فى البرزخ) أى ويكون للكفار والمنافقين والعصاة من هذه الأمة أو غيرها ويدوم على الكفار والمنافقين وبعض العصاة وينقطع عمن خفت ذنوبهم (قوله وغيرها من أنواع النعيم) أى كرؤية وجه الله الكريم (قوله وكذا فى البرزخ) هو فى اللغة الحاجز بين الشيئين وعرفا الحاجز بين الدنيا والآخرة وله زمان ومآل ومكان فزمانه من الموت إلى يوم القيامة ومآله الأرواح ومكانه من القبر إلى الجنة لأرواح السعداء أو الى النار لأرواح الأشقياء وقوله وبعده أى وبعد البرزخ وهو يوم القيامة فينعم بظل العرش مثلا (قوله وقيل بعد عدمها بالكلية) أى فيصير الجسم معدوما بالكلية كما كان قبل وجوده قال تعالى كما بدأكم تعودون وهذا القول هو المعتمد وهذا الخلاف فى غير من لاتأكل الأرض أجسامهم ونظمهم التتائى فقال :

لاتأكل الأرض جسما للنبى ولا ... لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب ... أذانه لاله مجرى الفلك

وزاد العلامة الأجهورى خمسة فقال :

وزيد من صار صديقا كذلك من ... غدا محبا لأجل الواحد الملك
ومن يموت بطعن أو رباط او ... كثير ذكر وهذا أعظم النسك

(قوله على متن جهنم) أى ظهرها (قوله الأظهر أنه مختلف) أى وهو الصواب (قوله وهم على أقسام) أى ثمانية (قوله من تخدشه كلاليبه) أى وهى فى حافتيه معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به كشوك السعدان كما ورد ذلك (قوله كالكفار) الكاف استقصائية والأوضح أن يقول وهم الكفار

الصراط وفى الحديث يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجوزه وغير ذلك قال ابن الفاكهانى وهو موجود والأخبار عنه صحيحة اه فذهب أهل السنة الى ابقائها على ظاهرها مع تفويض علم حقيقته الى الله تعالى خلافا للمعتزلة وقال بعضهم إنه سيوجد عند الحاجة إليه (والميزان) وهو قبل الصراط توزن به أعمال العباد ودل عليه الكتاب فى آيات متعددة والسنة حتى بلغت أحاديثه مبلغ التواتر والحمل على الحقيقة ممكن فيجب الايمان به وإن كنا لانعرف حقيقة جوهره والتأويل بتمام العدل كما ذهب اليه المعتزلة عناد ومكابرة والصحيح

أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال والجمع فى قوله تعالى ونضع الموازين القسط للتعظيم وإن خفة الموزون وثقله على صورته فى الدنيا وإن الكفار توزن أعمالهم كالمؤمنين بدليل قوله تعالى ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم الآية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى نافعا ولا يكون للأنبياء ولا للملائكة ولا لمن يدخل الجنة بغير حساب لأنه فرع عن الحساب ولا حساب على من ذكر وهو على صورة ميزان الدنيا له كفتان ولسان وتوزن الأعمال بأن تصور الأعمال الصالحة فى صورة حسنة نورانية فتوضع فى كفة النور وهى المعدة للحسنات وهى عن يمين العرش مقابلة الجنة وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية فتوضع فى كفة الظلمة المعدة للسيئات وهى عن شمال العرش تجاه النار وقيل توزن الصحف المكتوبة فيها الأعمال بناء على أن الحسنات متميزة عن السيئات بكتاب ويشهد له حديث البطاقة وهناك صنج مثاقيل الذر يعلم بها كية التفاوت تحقيقا لتمام العدل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (والحوض) أى حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد فيه أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر وفى الصحيحين حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه لايظمأ أبدا .

(قوله بين ظهرانى جهنم) تثنية ظهر والمراد به الجانب أى بين جانبيها أو النون والياء زائدتان للمبالغة والمعنى بين أجزاء ظهر جهنم (قوله خلافا للمعتزلة) أى فانهم يقولون بعدم وجوده ويؤولون ماورد وقوله وقال بعضهم أى بعض المعتزلة فهم افترقوا فرقتين فرقة تنكره رأسا وفرقة تنكر وجوده الآن ويقولون يوجد عند الحاجة إليه (قوله فى آيات متعددة) منها قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم إلى غير ذلك من الآيات (قوله وإن كنا لانعرف حقيقة جوهره) أى فغاية مانعرف منه أنه كفتان نورانية للحسنات وظلمانية للسيئات (قوله عناد ومكابرة) أى لأنه إذا أمكن الحمل على الحقيقة فلايعدل عنها والعدل عنها بارتكاب المجاز تكلف ومكابرة (قوله للتعظيم) أى فهو نظير رب ارجعون (قوله على صورته فى الدنيا) أى فالخفيفة تطيش وتعلو والثقيلة تسقط لأسفل (قوله وأن الكفار توزن أعمالهم) أى فيوزن غير الكفر من السيئات ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر وحسناتهم التى لاتتوقف على نية كالعتق والوقف وصلة الرحم يخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لا للنجاة من عذاب الكفر فانه لايخفف عنهم ولاينقطع بدليل أن أبالهب جوزى بالتخفيف بسبب عتقه جاريته التى بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم وقيل حسناته التى فعلها يجازى عليها فى الدنيا كسعة الرزق وعافية البدن ولايجازى عليها فى الآخرة أصلا ويكون ثمرة وزن عمله التشديد فى عذاب الكفر وعدمه لأن الكفار يتفاوتون فى العذاب بقدر تفاوتهم فى الكفر (قوله ولا لمن يدخل الجنة بغير حساب) أى لماورد يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن (قوله بأن تصور الأعمال الخ) أى ولايقال إن فيه قلبا للحقائق لأنه مثال وعلى تسليم أن فيه قلبا للحقائق يقال إن الممتنع قلب أقسام الحكم العقلى لاتصيير المعنى جرما لأن قدرته تعالى صالحة لذلك فإنه من جملة الممكنات (قوله حديث البطاقة) أى فقد ورد مامعناه أن عبدا كتب عليه تسعة وتسعون سجلا من المعاصى كل سجل طوله مد البصر فتوضع فى كفة السيئات فيقول الله ياعبدى هل فعلت حسنة فيقول لايارب فيقول سبحانه وتعالى بل بقى لك عندنا أمانة فيأمر باخراج بطاقة وهى ورقة صغيرة قدر الأنملة مكتوب فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله فتوضع فى كفة الحسنات فتطيش سجلات المعاصى ولايثقل مع اسم الله شىء فيقول امضوا بعبدى الى الجنة بفضلى ومغفرتى (قوله يعلم بها كية التفاوت) أى فتوضع السيئات فى مقابلة الحسنات فإن رجح أحدهما وضع صنج بقدر مارجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فان لم يكن له إلا حسنات فقط أو سيئات فقط وضعت الصنج فى الكفة الأخرى (قوله وفى الصحيحين الخ) وقد ورد فيما أوحى الله إلى عيسى فى صفة نبينا صلى الله عليه وسلم له حوض أبعد من مكة الى مطلع الشمس فيه آنية مثل نجوم السماء وله كل لون شراب الجنة وطعم كل ثمار الجنة

(قوله

والصحيح أن لكل نبي حوضا فليس من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم وأنه يكون قبل الميزان وهل هو حوض واحد أو حوضان؟ والثاني بعد الصراط قولان وقيل الذي بعد الصراط هو الكوثر وهو نهر في الجنة لا حوض وإنما الحوض قبل الصراط وهو جسم مخصوص يصب فيه ميزابان من ماء الكوثر ترده أمته عليه الصلاة والسلام من شرب منه شربة لايظمأ بعدها أبدا ويكون الشرب في الجنة إنما هو على سبيل التلذذ لا العطش ويطرد عنه من بدل وغير إما بالارتداد وإما أن يحدث في الدين ما ليس منه كأهل البدع على اختلاف أنواعهم وكأهل الكبائر المعلنين بها وكالظلمة الجائرين في أحكامهم لأن المرتد مخلد في النار

وخالف المعتزلة في ذلك وهم أحق للطرد منه عن غيرهم (والنيران) بكسر النون جمع نار وهي جسم لطيف محرق يميل إلى جهة العلو والمراد بها دار العقاب الذي أشده النار بجميع طبقاتها السبع أعلاها جهنم وهي لعصاة المؤمنين ثم تخرب بعد خروجهم منها فلظى فالحطمة فالسعير فسقر فالجحيم فالهاوية وباب كل من داخل الأخرى على الاستواء وحرها هواء محرق لا جمر لها سوى بني آدم والجن والأحجار المتخذة آلهة من دون الله نعوذ بالله منها (والجنان) جمع جنة وهي لغة البستان والمراد منها دار الثواب وهي سبع أعلاها وأفضلها الفردوس وفوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر أنهار الجنة فجنة المأوى فجنة الخلد فجنة النعيم فجنة عدن فدار السلام فدار الجلال هذا ما ذهب إليه ابن عباس وجماعة وذهب الجمهور إلى أنها أربع بدليل ما في سورة الرحمن وقيل الجنة واحدة وما تقدم أسماء لمسمى واحد إذ كل اسم صالح لها والجنة والنار موجودتان الآن والجنة هي التي أهبط منها آدم عليه السلام خلافا للمعتزلة الذاهبين إلى أنهما سيوجدان في الآخرة وأن آدم أهبط من بستان على ربوة من الأرض (و) يجب الإيمان بوجود (الجن) وهم أجسام لطيفة نارية لهم قدرة على التشكلات (و) بوجود (الأملاك) وعصمتهم أيضا قال تعالى ـ لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ـ جمع ملك ، وهو جسم لطيف روحاني نوراني له القدرة

(قوله والصحيح أن لكل نبي حوضا) أي ولم يصح أن حوض صالح ضرع ناقته (قوله وأنه يكون قبل الميزان) أي وهل هو قبل الصراط أو بعده قولان وبالجملة فالواجب علينا اعتقاد أنه ثابت وجهل تقدمه على الصراط والميزان أو تأخره لايضر في الاعتقاد (قوله ترده أمته) أي والأمين عليه عليّ ابن أبي طالب كما ورد (قوله لايظمأ بعدها أبدا) ولو دخل النار فلا يعذب فيها بالعطش (قوله ويطرد عنه من بدل وغير) أي فالكافر لايشرب منه والمبتدع يشرب منه بعد الرد (قوله دار العقاب) ورد في صفتها أن أرضها من رصاص وسقفها من نحاس حيطانها من كبريت وقودها الناس والحجارة (قوله فلظى) أي وهي لليهود (قوله فالحطمة) وهي للنصارى (قوله فالسعير) وهي للصابئين فرقة من اليهود زادوا ضلالا بعبادتهم العجل (قوله فسقر) وهي للمجوس عباد النار (قوله فالجحيم) وهي لعبدة الأصنام (قوله فالهاوية) وهي للمنافقين وكل من اشتد كفره كفرعون وهامان وقارون . وقد نظم ذلك شيخنا الأمير بقوله :

جهنم للعاصي لظى ليهودها ... وحطمة دار للنصارى أولي الصمم
سعير عذاب الصابئين ودارهم ... مجوس لها سقر جحيم لذي صنم
وهاوية دار النفاق وقيتها ... وأسأل رب العرش أمنا من النقم

وماذكره الشارح تبع فيه بعض الأحاديث ولكن آيات القرآن شاهدة بأن كل اسم من تلك الأسماء يطلق على مايعم الجميع لأنه يذكر صفات الكفار بأي وجه ويعبر عن وعيدهم بأي اسم من هذه الأسماء فتدبر وذكر ابن العربي أن نار الدنيا من جهنم طفئت في البحر مرتين ولولا ذلك لم ينتفع بها وبعد أخذ نار الدنيا منها أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة (قوله دار الثواب) أي ولها ثمانية أبواب كبار باب الشهادتين وباب الصلاة وباب الصيام وباب الزكاة وباب الحج وباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب الصلة وباب الجهاد في سبيل الله ومن داخلها عشرة أبواب صغار ومحل الجنة فوق السموات السبع ولم يصح في محل النار خبر (قوله موجودتان الآن) أي ويبقيان ببقاء الله خلافا للجهمية القائلين بفنائهما وفناء أهليهما وهم كفار وقوله تعالى مادامت السموات والأرض المراد سقف الجنة والنار وأرضهما لا سماء الدنيا وأرضها لتبدلهما قبل الدخول وقوله تعالى إلا ماشاء ربك أي بدخول النار أولا ثم يخرجون منها فخلودهم إما من غير سابقة عذاب أو مع سابقته وهذا في السعداء ويقال في الأشقياء إلا ماشاء ربك من مدة البرزخ والوقف وانظر بسط الأجوبة في حاشيتنا على الجلالين إن شئت (قوله الى أنهما سيوجدان في الآخرة) أي وخلافا للفلاسفة فانهم أنكروا وجودهما بالمرة (قوله ويجب الإيمان بوجود الجن) أي ومن أنكر وجودهم كفر لمصادمة القرآن (قوله على التشكلات) أي بأي صورة جميلة أو قبيحة وتحكم عليهم

على التشكلات الجميلة. ويجب الإيمان بهم إجمالا فيمن علم منهم إجمالا وتفصيلا فيمن علم منهم تفصيلا بالشخص كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل وهم رؤساء الملائكة عليهم الصلاة والسلام أجمعين ومنكر ونكير ورضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران أو بالنوع كحملة العرش وأعوان السيد عزرائيل والحفظة وهم ملائكة موكلون بحفظ البشر ولو صغيرا وكافرا من الجن مثلا قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله والكتبة وهم ملائكة يكتبون على المكلف جميع ماصدر منه من قول ولو نفسيا وفعل واعتقاد لايفارقونه إلا فى حالة الجماع والغسل والخلاء والمشهور أنهما ملكان يسمى أحدهما الرقيب والثانى العتيد كما فى سورة قٓ ولكل يوم وليلة ملكان يتعاقبون عند صلاة العصر وصلاة الصبح وقيل بل هما ملكان فقط لايتغيران مادام حيا فإذا مات جلسا على قبره يستغفران له أى إن كان مؤمنا ومحلهما من الإنسان عاتقاه وقيل ذقنه وقيل شفتاه وقيل عنقه وقيل الناجذان وقيل إن الكتبة هم الحفظة، وبالجملة الواجب اعتقاده أن على الإنسان حفظة وكتبة على سبيل الاجمال (ثم) يجب الإيمان بوجود (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام تفصيلا فيما علم منهم تفصيلا وهم المذكورون فى القرآن كمحمد عليه الصلاة والسلام وآدم ونوح وإدريس وهود وصالح واليسع وذى الكفل وإلياس ويونس وهو ذو النون أى الحوت وأيوب وإبراهيم وإسمعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وشعيب وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى واجمالا فيما علم منهم إجمالا والأولى ترك حصرهم فى عدد معين لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن فى ذكر العدد ان يدخل فيهم من ليس منهم لجواز ان يذكر أكثر من الواقع أو يخرج منهم من هو منهم إن كان العدد أقل وماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن عددهم فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وفى رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا فخبر آحاد لايفيد القطع ولاعبرة بالظن فى باب الاعتقادات، ويجب اعتقاد أن محمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين أفضلهم وأنه آخرهم ويليه فى الفضل

الصورة (قوله على التشكلات الجميلة) المراد بها ماعدا الخبيسة كالكلب والخنزير فيشمل الفظيعة الهائلة كمالك خازن النار ومنكر ونكير وعزرائيل فى إتيانهم الكفار ولاتحكم عليهم الصورة (قوله كحملة العرش) وهم فى الدنيا أربعة وفى الآخرة ثمانية (قوله موكلون بحفظ البشر) أى تكرمة لهم قال تعالى: ولقد كرمنا بنى آدم (قوله من الجن مثلا) أى والعاهات والآفات (قوله من أمر الله) أى من ضر خلقه الجن والإنس وغيرهم وقيل من بمعنى الباء أى بأمره عن كل مكروه فإذا جاء القدر خلوا عنه قال كعب الأحبار لولا أن الله تعالى وكل بكم حفظة يذبون عنكم فى مطعمكم ومشربكم لتخطفتكم الجن (قوله يكتبون الخ) أى وحكمة الكتابة أن العبد إذا علم بها استحيا وترك المعصية (قوله لايفارقونه إلا فى حالة الجماع الخ) أى فإذا فعل فى تلك الأحوال الثلاث حسنة أوسيئة فإنهم يعرفونها بنتن رائحة السيئة وطيب رائحة الحسنة (قوله يسمى أحدهما الرقيب) وهو كاتب الحسنات وقوله والثانى العتيد أى وهو كاتب السيئات وقيل كل يسمى بكل وجعل الله كاتب الحسنات أميرا على كاتب السيئات فان فعل حسنة كتبت حالا وإن فعل سيئة يقول كاتب السيئات أكتب فيقول له كاتب الحسنات اصبر لعله يستغفر ويتوب فان تاب كتب حسنة فان لم يتب بعد ست ساعات فلكية قال له كاتب الحسنات اكتب أراحنا الله منه وتعرض صحائف الأعمال صباحا ومساء على رسول الله فإن رأى خيرا حمد الله وشكر لصاحبه وإن رأى غير ذلك استغفر لفاعله (قوله ولكل يوم وليلة ملكان الخ) المعتمد أن الحفظة عشرة بالليل وعشرة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح والعصر فيسألهم الله وهو أعلم بهم فيقول لهم كيف تركتم عبادى فيقولون يا ربنا تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون كما ورد بذلك الحديث الصحيح ولايفارقون الشخص أبدا إلى الممات فإذا مات فقد فرغ حفظهم له وهم واحد عن يمينه وآخر عن شماله وآخر أمامه وآخر خلفه واثنان على عينيه وواحد على شفته واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وواحد آخذ بناصيته فان تواضع رفعه وإن تكبر خفضه. إن قلت إنا نجد تخلف حفظهم له بأن تفقأ عينه مثلا. يجاب بأن هذا أمر مبرم فلابد من إنفاذه وهكذا كل مبرم (قوله إن كان مؤمنا) أى ويلعنانه إن كان كافرا (قوله وقيل الناجذان) هما مؤخر أضراسه اليمين واليسار وقلمهما لسانه ومدادهما ريقه (قوله وقيل إن الكتبة هى الحفظة) هذا ضعيف والمعتمد أنهم غيرهم فالحفظة عشرون بالليل والنهار والكتبة ملكان رقيب وعتيد كما علمت (قوله تفصيلا الخ) المراد أنه بحيث لو سئل عن واحد منهم لم ينكر كونه نبيا وإن لم يحفظ أسماءهم عن ظهر قلب (قوله لايفيد القطع) أى والكلام فى الاعتقاديات وهى لاتكون إلا بالقطعى (قوله أفضلهم) أى الأنبياء ومن باب أولى غيرهم فهو أفضل الخلق على الإطلاق جنا وإنسا وملكا دنيا وأخرى فى جميع

أولو العزم من الرسل فبقية الرسل فالأنبياء فرؤساء الملائكة فبقية الملائكة من غير تعيين إذ لاتعلم الحقيقة فأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأفضلهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي فبقية العشرة فبقية البدريين فأهل بيعة الرضوان فبقية الصحابة فالتابعون فتابع التابعين ويجب الإمساك عما وقع بين الصحابة من النزاع (و) يجب الإيمان بوجود (الحور) جمع حوراء والحور شدة بياض العين مع شدة سوادها وهن نساء الجنة ووصفن بالعين لاتساع أعينهن (والولدان) أي الغلمان وهم على صورة غلمان الدنيا وهم

الحاصل بإجماع المسلمين ماعدا الزمخشري فإنه خرق الإجماع وقال بتفضيل جبريل على محمد عليه السلام مستدلا بما في سورة التكوير من قوله تعالى إنه لقول رسول كريم الآية حيث وصف جبريل بأنه رسول كريم إلى قوله أمين واقتصر في وصف محمد على قوله وماصاحبكم بمجنون فرد عليه بأن القرآن في أعلى طبقات البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال فإن كلام الكفار كان في الواسطة الذي كان يأخذ عنه النبي حيث قالوا إنما يعلمه بشر وقالوا إن به جنة أي أخذا من الجن فرد عليهم المولى بمدح الواسطة وبراءة المصطفى مما يقولون فانه كان معروفا بينهم بالصادق الأمين قال تعالى أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون وتفضيله صلى الله عليه وسلم دل عليه أساطير الأولين والآخرين (قوله أولو العزم) أي وهم خمسة ذكرهم الله تعالى في قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى (قوله فالأنبياء) أي غير الرسل (قوله فبقية الملائكة الخ) هذه طريقة الأشاعرة وهي مرجوحة وطريقة الماتريدية هي الراجحة وحاصلها أن تقول أفضل الخلق نبينا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح ثم بقية الرسل ثم الأنبياء غير الرسل وهم متفاضلون فيما بينهم لكن لايعلم تفضيلهم إلا الله ثم جبريل ثم اسرافيل ثم ميكائيل ثم عزرائيل ثم عامة البشر ثم عامة الملائكة (قوله فأصحاب النبي) أي فرتبتهم تلي الملائكة على طريقة الأشاعرة وعلى طريقة الماتريدية الملائكة دون البشر في الفضل دل على فضلهم الكتاب والسنة والإجماع وقرن الصحابة مائة وعشرون سنة مبدؤها البعثة (قوله وأفضلهم أبو بكر الخ) رد بذلك على الخطابية القائلين بتقديم عمر على أبي بكر وعلى الشيعة القائلين بتقديم علي على عثمان (قوله فبقية العشرة) أي يلون عليا في الفضل وهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ابن عمة رسول الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبوعبيدة عامر بن الجراح ولايعلم تفاوتهم في الفضل إلا الله (قوله فبقية البدريين) أي فرتبتهم تلي رتبة الستة من العشرة ولافرق بين من استشهد فيها وهم أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وجملتهم ثلثمائة وثلاثة عشر وقيل وخمسة عشر وقيل وسبعة عشر وقيل وتسعة عشر وإنما قال وبقية البدريين لأن العشرة رؤساء أهل بدر (قوله فأهل بيعة الرضوان) أسقط الشرح أهل أحد الذين لم يحضروا بدرا وهم أفضل من أهل بيعة الرضوان الذين لم يحضروا بدرا ولا أحدا وكانوا ألفا وأربعمائة وقيل وخمسمائة (قوله فالتابعون) أي فرتبتهم تلي رتبة الصحابة وقرن التابعين الذين انفردوا فيه عن الصحابة سبعون سنة (قوله فتابع التابعين) أي فرتبتهم تلي رتبة التابعين في الفضل وقرنهم ثلاثون سنة والأصل في ذلك التفضيل قوله صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومن بعد هذه القرون قيل سواء في الفضل وقيل متفاوتون فكل قرن أفضل من الذي بعده وهو الحق لحديث مامن يوم إلا والذي بعده شر منه (قوله ويجب الإمساك عما وقع بين الصحابة من النزاع) أي لأن التفتيش عما جرى بينهم ليس من العقائد الدينية ولا مما ينتفع به في الدين بل ربما ضر في اليقين فلايباح الخوض فيه إلا للتعليم أو الرد على المتعصبين ومع ذلك فيجب تأويله وصرفه إلى محمل حسن فإنهم مجتهدون والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب (قوله وهن نساء الجنة) روى أن سحابة أمطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى إذا دخل ولي الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين وهذا معنى قوله تعالى حور مقصورات في الخيام والصحيح أن نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله والولدان) بكسر الواو جمع وليد بمعنى مولود وسموا أولادا لكونهم على شكلهم وصورتهم (قوله وهم

خدمة أهل الجنة وقيل إنهم أولاد الكفار الذين يموتون قبل البلوغ فإنه ورد أنهم خدمة أهل الجنة (ثم) يجب الإيمان (الأولياء) جمع
ولى وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد حسب الإمكان وهو معنى قول من قال هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب الإمكان
المواظب على الطاعات المجتنب للمخالفات المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات ويجب اعتقاد كراماتهم والكرامة أمر خارق
للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح غير مقرون بدعوى النبوة كل ذلك ورد به الكتاب والسنة وأجمعت عليه
الأمة قبل ظهور المخالفين
وكل ما كان كذلك فالإيمان
به واجب (و) كذا يجب
الإيمان (بكل ما جاء) أى
روى ونقل (عن) أى عن
النبى (البشير) أى المبشر
لمن أوفى بالعهود بأنه محمود
العاقبة صلى الله عليه وسلم
(من كل حكم) بيان
لكل ما جاء (صار) فى
الاشتهار بين الخاصة
والعامة (كـ) الأمر
(الضرورى) الذى لا يخفى
على أحد وهذا من عطف
العام على الخاص لشموله
ما تقدم من الحساب وما
عطف عليه وغيره
كوجوب شهادة أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول
الله وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة وصوم رمضان وحج
بيت الله الحرام وحرمة
الزنا والخمر والربا وحل
النكاح والبيع ونحو ذلك
وكالمعراج بجسده الشريف
صلى الله عليه وسلم يقظة
وهو العروج إلى السماء مع
جبريل عليه السلام بلا
براق بعد الإسراء ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا للبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه والمراد بالمعراج ما يعم الإسراء وقصته مشهورة وكسؤال الملكين منكر ونكير وهما ملكان أسودان أزرقان أى أعينهما
يأتيان للميت مؤمنا كان أو كافرا أو منافقا بعد تمام الدفن فى القبر الذى يستقر فيه دائما وعند انصراف الناس فيقعدانه ويعيد الله فيه الروح
بتمامه وقيل فى نصفه ويسألانه من ربك وما دينك وما تقول فى الرجل الذى بعث فيكم فيقول المؤمن ربى الله ودينى الإسلام والرجل
المبعوث فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا فى الجنة فيراهما جميعا وأما المنافق أو الكافر

(قوله خدمة أهل الجنة) أى فهم مخلوقون فى الجنة ابتداء كالحور العين ليسوا من أولاد الدنيا وهو الصحيح من أقوال كثيرة وقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا ورد بأن الله أخبر عنهم أنهم يلحقون بآبائهم فى السيادة والحلقة (قوله ثم يجب الإيمان بالأولياء) أى وجوب الأصول فمن أنكر وجودهم كفر لمصادمة القرآن قال تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، إن أولياؤه إلا المتقون. وأما من أنكر كراماتهم كالحليمى من أهل السنة والمعتزلة فهو فاسق مبتدع محتجين بأنها لو وجدت الكرامات لالتبست بمعجزات الأنبياء فيلتبس النبى بغيره ولو وجدت واستمرت لكثرت وخرجت عن كونها خارقة للعادة ورد ذلك بأنا لا نسلم التباس الولى بالنبى للفرق بينهما وهو دعوى النبوة وعدمها ولا نسلم أن كثرتها تصيرها غير خارقة بل تفيد استمرار الخارق وهو أمر واقع لا شك فيه وسئل بعضهم لأى شىء كثرت الكرامات فى الزمان المتأخر دون المتقدم فأجاب بأن ذلك لضعف إيمان المتأخرين فاحتيج لتأليفهم بالكرامات ليعتقدوا فى الصالحين وأما فى الزمن المتقدم فاعتقادهم تابع لميزان الشرع (قوله جمع ولى) سمى بذلك لأنه تولى خدمة الله أو لأن الله تولى أمره فلم يكله لغيره طرفة عين (قوله اعتقاد كراماتهم) أى ثبوتها فهى واقعة شرعا جائزة عقلا ودليل ذلك قصة مريم وولادتها عيسى من غير زوج وآصف ابن برخيا وعمر بن الخطاب مع نيل مصر ومع النار التى ظهرت من جهة المدينة فى زمنه فأشار إليها بردائه فأطفأها وغير ذلك من كرامات الصحابة والتابعين إلى وقتنا هذا (قوله فى الاشتهار) بيان لوجه الشبه أى إن الأحكام التى أتى بها النبى صلى الله عليه وسلم واشتهرت حتى صارت كالأمور الضرورية يجب الإيمان بها وكل من أنكر شيئا منها فقد كفر وأما الأحكام التى لم تبلغ فى الاشتهار هذا الحد فلا يكفر منكرها كالرفع من الركوع والسجود ونحو ذلك (قوله كوجوب شهادة أن لا إله إلا الله) تمثيل لما جاء عن البشير (قوله بلا براق) هذا هو المعتمد وقيل عرج بالبراق (قوله والمراد بالمعراج ما يعم الإسراء) جواب عما يقال إن منكر المعراج فاسق فكيف تحكم عليه بالكفر. فأجاب بأن المراد بالمعراج ما يشمل الإسراء فمنكر الإسراء كافر ومنكر المعراج فاسق (قوله وكسؤال الملكين) أى فهو مما يجب الإيمان به لكن منكره لا يكفر للاختلاف فيه (قوله منكر) بفتح الكاف اسم مفعول ويجوز كسرها على أنه اسم فاعل لأنه منكر على غيره كلامه (قوله ونكير) فعيل بمعنى مفعول من نكرت الرجل إذا لم تعرفه سميا بذلك لأن الميت لم يكن يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتهما (قوله أزرقان) أى أعينهما أى كقدور النحاس من شدة حمرتهما يراها الناظر كالبرق الخاطف جعلهما الله تكرمة للمؤمن ليثبته وينصره وهتكا لستر المنافق فى البرزخ وإخافة للكافر ليتحير فى الجواب وهما للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح وقيل هما للكافر والعاصى وأما المؤمن الموفق فله ملكان آخران اسمهما مبشر وبشير (قوله مؤمنا كان أو كافرا الخ) هذا هو الصحيح خلافا لقول ابن عبد البر والسيوطى لا يسئل الكافر (قوله الذى يستقر فيه) أى وأما من علم الله أنه ينقل من قبر لآخر فلا يسئل إلا فى القبر الذى يبعث منه (قوله ويعيد الله الروح فيه بتمامه)

ليقول لا أدرى فيقولان له لادريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد فى يد أحدهما فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويترفقان بالمؤمن وينهران الكافر والنافق ويسألان كل أحد بلسانه على الصحيح ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع أو حرق وسحق وذرى فى الهواء إذ لا يبعد أن يخلق الله تعالى الحياة فيه وأحوال المسئولين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان ومنهم من يسأله أحدهما قال القرطبى اختلفت الأحاديث فى كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب الأشخاص فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسأل عن كلها انتهى واختلف فى اختصاصه بهذه الأمة ولا يسئل الأنبياء ولا الملائكة ولا الصديقون والمرابطون والشهداء وملازم قراءة تبارك كل ليلة ومن قرأ فى مرض موته الإخلاص ثلاثا والبطون ومن مات فى أيام الطاعون ولو لم يطعن والمجنون والأبله وجزم الجلال السيوطى بعدم سؤال الأطفال ويسألان الجن لتكليفهم وعموم أدلة السؤال وهذا السؤال هو فتنة القبر وكنعيم القبر وعذابه والمراد عذاب البرزخ ونعيمه ولو لم يقبر والتعبير بالقبر جرى على الغالب ومحله الروح والجسد جميعا إذ لا مانع أن يخلق الله تعالى فى جميع الأجزاء أو بعضها نوعا من الحياة قدر ما يدرك ألم العذاب أو لذة النعيم وهذا لا يستلزم أن يتحرك أو يضطرب أو يرى أثر العذاب عليه حتى إن من أكلته السباع أو صلب فى الهواء يعذب وإن لم نطلع على ذلك وقيل مختص بالروح. والنعيم يكون للمؤمنين والعذاب للكافرين ولعصاة المؤمنين من هذه الأمة وغيرها وهو قسمان دائم وهو للكفار وبعض العصاة ومنقطع وهو لبعض العصاة ممن خفت جرائمهم وانقطاعه إما بسبب كصدقة أو دعاء أو بلا سبب بل بمجرد العفو ومن عذاب القبر ضغطته وهى التقاء حافتيه حتى تختلف أضلاع الميت ويختلف باختلاف العمل حتى إن الصالح يضمه ضمة الأم الشفوقة على ولدها وكحياة الشهداء وهم من قتلوا فى جهاد الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى حتى إنهم يأكلون ويشربون ويتنعمون فى الجنة قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وإن لم تعلم كيفية هذه الحياة إذ هى غير معقولة لأكثر البشر وسموا شهداء لأن أرواحهم شهدت دار السلام أى حضرتها ودخلتها بخلاف غيرهم فإنه لا يدخلها إلا يوم القيامة أو لأن الله وملائكته شهدوا له بالموافاة وكأخذ العباد المكلفين من الثقلين فى الحشر ما عدا الأنبياء والسبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب كتبهم التى كتبت فيها الملائكة الحفظة أعمالهم التى صدرت عنهم فى الدنيا بالأيمان والشمائل فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا وحاصل ما قيل فى ذلك أن صحائف الأيام والليالى توصل حتى تكون صحيفة واحدة وقيل ينسخ ما فى جميعها فى صحيفة واحدة فإذا مات العبد جعلت فى خزانة تحت العرش حتى إذا كان يوم القيامة والناس فى الموقف بعث الله تعالى ريحا فتطيرها من تلك الخزانة فلا تخطىء صحيفة عنق صاحبها ثم تأخذها الملائكة من الأعناق فيعطونها لهم فى أيديهم على حسب حالهم من إيمان أو كفر فالمؤمن يعطى كتابه بيمينه والكافر بشماله ويثقب صدره فيدخل يده اليسرى فيه ويأخذ كتابه من وراء ظهره وأول من يأخذ كتابه بيمينه على الإطلاق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس وأما أبو بكر فهو رئيس السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب وبعد عمر أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى رضى الله عنه وأول من يأخذه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد

هذا هو قول الجمهور لظاهر الأحاديث المتواترة ولذا قال السيوطى :

وكله يحيا لدى الجمهور　　لا جزؤه لظاهر المأثور

(قوله ويترفقان بالمؤمن) أى ولو عاصيا بحسب تفاوت مراتب المؤمنين (قوله على الصحيح) أى كما هو ظاهر الأحاديث وأقوال السلف وقيل بالعربية وقيل بالسريانية والمعتمد أن السؤال مرة واحدة للمسلم والمنافق والكافر وذهب أكثر العلماء إلى أنه ثلاث مرات فى ساعة واحدة عقب نزوله القبر وذهب السيوطى إلى أنه يتكرر على المؤمن سبعة أيام المرة الأولى عقب نزوله والباقى بعد الفجر له (قوله ولا الصديقون) جمع صديق وهو من صدق الله ورسوله وأخلص لله ظاهرا وباطنا (قوله والمرابطون) جمع مرابط وهو الملازم طرف بلاد المسلمين لحفظهم من الكفار (قوله والشهداء) أى قتلى المعركة أو شهداء الآخرة وهم فرق كثيرة منهم المبطون الآتى (قوله وملازم قراءة تبارك كل ليلة) أى بعد غروب الشمس إلى طلوع الفجر ويدخل وقتها بالزوال ومثله ملازم قراءة سورة السجدة (قوله والمبطون) أى الذى مات بإسهال بطنه لما ورد من قتله بطنه لم يعذب فى قبره (قوله والمجنون) أى إن جن قبل البلوغ أو بعده وهو مسلم واستمر به الجنون إلى الموت (قوله والأبله) هو الذى لا عقل له يصل إلى حد تدبير دينه أو دنياه وهو المغفل (قوله والمراد عذاب البرزخ) أى وإنما أضيف إلى القبر لأنه الغالب وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب قبر أو لم يقبر (قوله فى جهاد الكفار) مثله من قتل على الحق كقتال البغاة وقطاع الطريق وإقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (قوله لإعلاء كلمة الله) أخرج به من قاتل لا لأعلاء كلمة الله بل للغنيمة أو لإظهار الشجاعة فإن له حكم شهداء الدنيا من

المخزومى ثم إذا أخذ العبد كتابه وجد حروفه نيرة أومظلمة على حسب الأعمال الحسنة أوالقبيحة وأول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فإذا قرأه ابيض وجهه إن كان مؤمناواسود إن كان كافرا وذلك قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية ويخلق الله تعالى له علم القراءة وإن لم يكن يقرأ فى الدنيا والصحيح أن عصاة المؤمنين يأخذون صحائفهم بأيمانهم ويكون علامة على دخولهم الجنة ولو بعد دخولهم النار وكالشفاعة وهى أنواع : الأول شفاعته صلى الله عليه وسلم فى فصل القضاء لاراحة الخلق من طول الوقوف ومشقته وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم. الثانى شفاعته فى إدخال قوم الجنة بغير حساب قال النووى وهى مختصة به . الثالث الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها قال عياض وليست مختصة به وتردد النووى أى لأنه لم يرد تصريح بذلك. الرابع الشفاعة فى إخراج قوم من النار ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة وصالحو المؤمنين . الخامس الشفاعة فى زيادة الدرجات وجوز النووى اختصاصها به عليه الصلاة والسلام. السادس الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار كما فى حق أبى طالب ففى الصحيح أنا أول شافع وأول مشفع وإنه ذكر عنده عمه أبوطالب فقال لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار . وكشرائط الساعة الخمسة المتفق عليها أى علاماتها أى العلامات

الدالة على قربها. أولها خروج المسيح الدجال بالحاء المهملة على الصحيح سمى مسيحا لمسحه الأرض فى أمد يسير أى مدة أربعين يوما كما سيأتى فى الحديث وقيل لأنه ممسوح العين اليسرى ووصف بالدجال أى الكذاب للفرق بينه وبين المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وسمى عيسى مسيحا لمسحه الأرض أى سياحته فيها وقيل لأنه ماسح على ذى عاهة إلا برئ بإذن الله تعالى وقيل لأنه ممسوح بالبركة . ثانيها نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء وقتله للدجال ففى الصحيح « لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية » الحديث وفى مسند أحمد من حديث جابر يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه عرض جانب أذنيه أربعون ذراعا فيقول للناس أنا ربكم وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه وأقامت الملائكة بأبوابهما ومعه جبال من خبز والناس فى جهد إلا من اتبعه ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول الجنة ونهر يقول النار فمن أدخل الذى يسميه الجنة فهو فى النار ومن أدخل الذى يسميه النار فهو فى الجنة قال وتبعث معه الشياطين تكلم ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء تمطر فيما يرى الناس ويقتل نفسا ثم يحييها فيما يرى الناس فيقول للناس أيها الناس فهل يفعل مثل هذا إلا الرب فيفر الناس إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيأتى فى السحر فيقول أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث فينطلقون فإذا هم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له تقدم ياروح الله فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب فينماع أى يذوب كما ينماع الملح فى الماء فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادى ياروح الله هنا يهودى فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله وفى الصحيح أحاديث بمعنى ذلك انتهى ذكره السيوطى. ثالثها خروج

عدم غسلهم والصلاة عليهم لانوابهم الكامل (قوله وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم) أى إجماعا وذلك لأن الناس فى ذلك الوقت يذهبون إلى الرسل من آدم إلى عيسى فردا فردا يسألونهم الشفاعة فى الانصراف من ذلك الموقف فكل يبدى حجة إلى أن يذهبوا إليه صلى الله عليه وسلم يسألونه الشفاعة فيقول أنالها أنالها فيسجد تحت العرش فيقول الله له ارفع رأسك واشفع تشفع فيرفع رأسه وهذا هو المقام المحمود لأنه من حينها يكثر حمد الناس له فينصب له لواء له ثلاث ذؤابات ذؤابة بالمشرق وأخرى بالمغرب وأخرى بالوسط والأنبياء ومن دونهم تحت ذلك اللواء (قوله قال عياض وليست مختصة به) أى وهو المعتمد (قوله وصالحو المؤمنين) أى والأطفال بل والمولى يشفع أيضا فيمن قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيرا قط (قوله فيجعل فى ضحضاح من نار) أى لما ورد أنه أقل أهل النار عذابا ففى الحديث أقل أهل النار عذابا رجل ينتعل بنعلين من نار تغلى منهما دماغه (قوله أى العلامات الدالة على قربها) أى وهى العلامات الكبرى (قوله على الصحيح) وقيل بالخاء المعجمة لأنه ممسوخ الصورة (قوله وليضعن الجزية) أى لايقبلها بل إما الإسلام أوالسيف (قوله فى خفقة من الدين) أى قلة (قوله وإدبار) أى إعراض (قوله اليوم منها كالسنة) أى وهو أول يوم منها وقوله واليوم منها كالشهر أى الثانى وقوله واليوم منها كالجمعة أي الثالث (قوله ومعه نهران الخ) هو معنى قوله فى بعض الروايات ومعه جنة ونار (قوله شياطين تلكم) هو اسم موضع (قوله ويقتل نفسا ثم يحييها) أى وهو الخضر عليه السلام ورد أنه حين يحييه يقول له أولم تؤمن فيقول له والله ما ازددت فيك إلا بصيرة ثم بعد إحيائه تمسك يده فلا يقتل أحدا (قوله فيفر الناس) أى مع المهدى (قوله فيأتى فى السحر) أى فى وقته (قوله ليتقدم إمامكم)

أى

يأجوج ومأجوج بالهمز ودونه وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام فهما من ذرية آدم عليه السلام من غير خلاف وروى مسلم من حديث النواس بن سمعان إن الله تعالى يوحى إلى عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال أنى قد أخرجت عبادا لى لايدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون أى من كل نشز يمشون مسرعين فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ماء هاوهى بالشام طولها عشرة أميال ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذا أثر ماء ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم فيرغب نبى الله وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه ر الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلاملأه زهمتهم فيرغب إلى الله نبى الله وأصحابه فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله تعالى مطراً لايكنّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتى ثمرك الحديث وقوله لايدان لأحد تثنية يدومعناه لاقدرة ولاطاقة ومعنى حرزهم إلى الطور ضمهم إليه واجعل لهم حرزا وقوله النغف بتحريك الغين المعجمة الدود الذى يكون فى أنوف الإبل

والغنم وقوله فرسى كقتلى وزنا ومعنى واحده فريس وفى الثعلبى من حديث حذيفة قلت يارسول الله مايأجوج ومأجوج قال أمم كل أمة أربعمائة ألف لايموت الرجل حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه وهم من ولد آدم فيسيرون إلى خراب الدنيا فيكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق فيمرون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة طبرية حتى يأتون بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من فى السماء فيرمون نشابهم إلى السماء فيرد الله تعالى نشابهم

أى وهو الهدى (قوله يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان لااشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة (قوله بالهمز ودونه) أى فهما لغتان وقراءتان سبعيتان (قوله من ولد يافث بن نوح) اعلم أن أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العجم والعرب والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوب ويافث أبو الترك والبربر وصقلبة ويأجوج ومأجوج كلهم كفار دعاهم النبى عليه السلام الى الإيمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله فيرغب نبى الله) أى يدعو ويتضرع (قوله زهمتهم) أى جيفتهم فتنتن الأرض منهم (قوله فتطرحهم حيث شاء الله) فى بعض الروايات فتطرحهم فى البحر ولايدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولايصلون إلى من تحصن بورد أوذكر (قوله أمم) فى بعض الروايات إنهما جيلان كل جيل مشتمل على أربعة آلاف أمة (قوله حتى يرى ألف عين الخ) فى رواية لايموت الواحد منهم حتى يرى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفترش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لايمرون بفيل ولاوحش ولاخنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه فلما رأى ذلك ذو القرنين شرع فى بناء السد واهتم به فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب فلما وصل إلى ظاهر الأرض بنى بقطع الحديد وأفرغ عليه النحاس المذاب روى أنهم يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كأشد مما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرجون منه الى الناس فيستسقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله أى وإذا قرب وقوع معنى القول) أى وإنما عبر بالماضى لحصوله فى علم الله لأن الماضى والحال والاستقبال فى علم الله واحد لاحاطته به (قوله فتخرج رأس الدابة من الصفا) هذا أحد روايتين والأخرى أنها تخرج من بين الركن حذاء

محمرا دما وقد ورد أن الدجال يقتله عيسى ابن مريم فيخرج بعده يأجوج ومأجوج فيقتلون من اتبع الدجال الذى قتله عيسى وينحصر عيسى ومن معه فى رؤوس الجبال فيسلط الله عليهم داء فى أعناقهم فيموتون كموت رجل واحد انتهى ذكر جميعه النفراوى فى شرح الرسالة.
رابعها خروج الدابة التى تكلم الناس آخر الزمان المشار إليها بقوله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أى وإذا قرب وقوع معنى القول عليهم وهوما وعدوا به من البعث والعذاب أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قيل تكلمهم ببطلان الأديان إلا دين الإسلام وقيل تقول يافلان أنت من أهل الجنة ويافلان أنت من أهل النار وقيل تقول إن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون وروى أنه سئل عليه الصلاة والسلام عن مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى عنه عليه الصلاة والسلام أن لها ثلاث خرجات خرجة بأقصى اليمن فيفشو ذكرها فى البادية ولايدخل ذكرها مكة ثم تمكث زمنا طويلا وخرجة قريبة من مكة فيفشو ذكرها بالبادية وبمكة وخرجة بينما عيسى ابن مريم عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تهتز الأرض تحتهم وينشق الصفا مما يلى المشعر فتخرج رأس الدابة من الصفا تجرى الفرس ثلاثة أيام وماخرج ثلثها وبعد خروجها يمس رأسها السحاب وتسمى الجساسة، وفى الحديث

أن طولها ستون ولها أربعة قوائم وزغب وريش وجناحان لايفوتها هارب ولايدركها طالب وعن كعب صورتها صورة حمار قيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير. خامسها طلوع الشمس من مغربها. واختلف في ذلك هل هو في يوم واحد أو في ثلاثة أيام ثم تطلع من المشرق على عادتها إلى يوم القيامة وإذا طلعت من المغرب غربت في المشرق وعند ذلك يغلق باب التوبة على المؤمن العاصي والكافر وقيل هو خاص بالكافر لقوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وهل ذلك خاص بالمكلف أو عام وهل يستمر إلى يوم القيامة وهو ظاهر قول البرهان اللقاني في شرح جوهرته الحق أن من يوم طلوع الشمس من مغربها إلى يوم القيامة لاتقبل توبة أحد كما في حديث ابن عمر لكن صحح الأجهوري في حاشيته على الرسالة أن عدم قبولها من المؤمن والكافر خاص بمن شاهد الطلوع وهو مميز أما غير المميز لصبا أو جنون ثم حصل له التمييز أو ولد بعد

ذلك فإنه تقبل منه التوبة وقال في شرحه على المختصر عن ابن عباس لاتقبل توبة الكافر إلا إذا كان صغيرا ثم أسلم بعد ذلك فإنها تقبل منه وأما المؤمن المذنب فتقبل منه توبته. واعلم أن التصديق بما ذكر هو الإيمان الشرعي لأن الإيمان لغة هو مطلق التصديق وشرعا هو تصديق النبي صلى الله عليه وسلم بالقلب في جميع ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة أي فيما اشتهر بين أهل الإسلام وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة بحيث يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال وإن كان في أصله نظريا كوحدة الصانع جل وعلا ووجوب الصلاة ونحوها إجمالا فيما علم إجمالا وتفصيلا فيما علم كذلك والمراد من تصديقه عليه الصلاة والسلام الإذعان والقبول لما جاء به بحيث يقع وصف عليه اسم التسليم من غير تكبر وعناد لامجرد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير اذعان وقبول حتى يلزم إيمان كثير من الكفار الذين كانوا عالمين بحقيقة نبوته عليه الصلاة والسلام وما جاء به لأنهم لم يكونوا أذعنوا لذلك ولا قبلوه بحيث يطلق عليه اسم التسليم وعلى هذا فالإيمان الشرعي هو حديث النفس التابع للمعرفة أي الادراك الجازم بناء على الصحيح من أن إيمان المقلد صحيح فالاذعان والقبول والتصديق والتسليم عبارات عن شيء واحد وهو حديث النفس المذكور فيكون الإيمان فعلا من أفعال النفس وليس من قبيل العلوم والمعارف ويظهر من كلام بعضهم أنه الراجح وذهب المحقق التفتازاني وكثير من المحققين إلى أن التصديق الشرعي المعبر عنه بالإيمان والإذعان والتسليم هو نفس الادراك فيكون من قبيل العلوم والمعارف والأصح في الإدراك أنه كيف لا فعل ولا انفعال للنفس ويكون التكليف به باعتبار أسبابه من الفكر الموصل إليه

دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد (قوله إن طولها ستون) المراد ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام كما ورد (قوله وأذن أيل) هو حيوان يظهر في المغرب والسودان أصغر من البعير كما أخبرني به بعض الثقات (قوله وخف بعير الخ) ورد أن بين المفصلين اثنى عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وعن أبي هريرة فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب واختلف في تعيينها والصحيح أنها فصيل ناقة صالح وذلك أنه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل (قوله لقوله تعالى يوم يأتي الخ) ظاهره أنه دليل للقول الثاني وليس كذلك بل الآية منشأ الخلاف فقيل إن معناها لاينفع نفسا أي كافرة أو مؤمنة عاصية ويكون قوله لم تكن آمنت راجعا للأولى وقوله أو كسبت راجعا للثانية ويكون التقدير لاينفع نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن ولاينفع نفسا مؤمنة توبتها من المعاصي فقوله أو كسبت معطوف على آمنت ففي الكلام حذف وعليه فغلق باب التوبة عام في المؤمن العاصي والكافر وقيل معناها أو نفسا منافقة كسبت في إيمانها خيرا أي تصديقا باطنا وعليه فهو خاص بالكافر (قوله الحق أنه من يوم طلوع الشمس من مغربها إلى يوم القيامة الخ) ورد أنه مائة وعشرون سنة فيتمتع المؤمنون فيها أربعون سنة لايتمنون شيئا الا أعطوه ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلايبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون في الطريق كالبهائم حتى ينكح الرجل المرأة وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن فيكونون على مثل ذلك حتى لايولد لأحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة (قوله وأما المؤمن المذنب الخ) هذا هو المعتمد (قوله لامجرد وقوع نسبة الصدق الخ) أي كما يقول السعد وسيأتي له توجيه بتكلفات (قوله كثير من الكفار) أي كأبي طالب فإنه كان يشهد له بالصدق من غير إذعان (قوله ويظهر من كلام بعضهم أنه الراجح) أي لأنه قول الأشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي إسحق الاسفرايني وجمهور المتكلمين (قوله وذهب المحقق التفتازاني الخ) رد ذلك بما تقدم في قوله حتى يلزم إيمان كثير من الكفار (قوله ويكون التكليف به الخ) جواب عما يقال الكيف

قال وهو معنى التصديق المقابل للتصور فى علم الميزان حيث يقال العلم إما تصور وإما تصديق أى فيكون التصديق عند الناطقة هو الإذعان بحيث يطلق عليه اسم التسليم قال فلو حصل هذا المعنى للكفار كان إطلاق اسم الكافر عليه من جهة أن عليه شيئا من أمارات التكذيب والإنكار كما لو فرضنا أن أحدا صدّق بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وأقرّ به وعمل ومع ذلك شد الزنار بالاختيار أو سجد للصنم بالاختيار نجعله كافرا لما أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل ذلك علامة التكذيب والإنكار وتحقيق هذا المكان على ما ذكرت يسهل لك الطريق إلى حل كثير من الاشكالات الموردة فى مسئلة الإيمان اهـ كلامه وعلى ما ذكرنا

فالإيمان بسيط وهو الحق وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقرّ بلسانه لالعذر منه ولا لاباء بل كان بحيث لو طلب منه النطق لأجاب فهو مؤمن عند الله تعالى ناج من الخلود فى النار فالنطق إنما هو شرط كمال فيه كبقية الأعمال من صلاة وصوم وزكاة وحج لاشرط صحة ولاجزء من حقيقته نعم هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية لأن التصديق لخفائه بكونه قلبيا لابد له من علامة ظاهرة تدل عليه وقيل إنه مركب من التصديق والنطق بالشهادتين فالنطق جزء من حقيقته إلا أن التصديق جزء لايحتمل السقوط والإقرار قد يحتمله كما فى المعذور من خرس أو إكراه وقيل بل النطق شرط صحة له ولافرق بينه وبين القول بالجزئية الا باعتبار أن الجزء داخل الماهية والشرط خارج عنها ثم الراجح أن الإيمان يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصها للقطع بأن إيمان الفساق لايساوى إيمان الصديقين والأنبياء والمرسلين ولقوله تعالى — وإذا تليت عليهم آياته زادته إيمانا — وغير ذلك من الآيات ولقوله صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضى الله عنهما حين سأله الإيمان يزيد وينقص نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وبالجملة فزيادة الأعمال الباطنية والظاهرية توجب زيادة إشراقه وضيائه فى القلب وقلتها توجب ضعفه وظاهر أن التصديق قد يقوى بقوة الأسباب ولذا يقال ليس الخبر كالعيان وقيل لايزيد ولاينقص لأن التصديق البالغ حد الجزم

وصف قائم بالنفس لاتكليف به وإنما التكليف بالأفعال الاختيارية (قوله قال) أى السعد دافعا ما يرد عليه من الإشكال وهو إن قلت إنه الإدراك يلزم عليه أنه يكفى وإن لم يكن عنده إذعان فأجاب بقوله فلو حصل الخ فتدبر (قوله وتحقيق هذا المقام الخ) قد علمت أن مذهبه تكلف فالحق الأول (قوله وعلى ما ذكرنا) أى على كل من التعريفين اللذين هما حديث النفس التابع للمعرفة أو هو المعرفة (قوله لا لعذر) أى وأما المعذور فمتفق على قبول الإيمان منه ولو على القول بأنه مركب (قوله ولا لاباء) أى لأن الآبى كافر بالإجماع (قوله نعم هو شرط) استدراك على قوله إنما هو شرط كمال فيه ويؤيده قوله تعالى أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وقوله عليه الصلاة والسلام اللهم ثبت قلبي على دينك قال شيخنا الأمير سمعنا من المشايخ كثيرا أن المدار عند المالكية على أى لفظ يفيد الوحدانية والرسالة ونقله اللقانى فى شرحه عن الأبى مخالفا لشيخه ابن عرفة المشترط اللفظ المخصوص ونحوه للرملى وجماعة من الشافعية ونحو ما للأبى للنووى (قوله وقيل إنه مركب من التصديق والنطق الخ) هذا الخلاف مقيد بالكافر الأصلى وأما أولاد المسلمين فمحكوم بإيمانهم عندنا وعند الله ولو لم ينطقوا طول عمرهم غير أنهم خالفوا الواجب الفرعى (قوله فالنطق جزء من حقيقته) هذا القول لأبى حنيفة وجماعة من الأشاعرة فالايمان عندهم اسم لعملى القلب واللسان جميعا (قوله وقيل بل النطق شرط صحة الخ) تحصل أن الأقوال ثلاثة لكنها ترجع إلى قولين لأن من قال إنه شرط صحة فقد وافق القائل فى المعنى بأنه شطر وبقى قول ثالث وهو أن الإيمان مركب من تصديق ونطق وعمل وهو للمعتزلة وعليه فمن ترك واجبا كالصلاة أو فعل محرما كالزنا فهو كافر (قوله إلا باعتبار الخ) أى لأنه على القول بالشطرية يكون الإيمان مركبا وعلى القول بالشرطية يكون بسيطا فتدبر (قوله بزيادة الأعمال) راجع لقوله يزيد وقوله ونقصها راجع لقوله وينقص فهو لف ونشر مرتب وزيادته بالأعمال على حسب الغالب وإلا فقد يزيد بفضل الله (قوله للقطع الخ) علة للأرجحية وحصل ما ذكره أدلة عقلية ونقلية صدر بالعقلى ثم ثنى بالنقلى (قوله زادتهم إيمانا) أى وما قبل الزيادة يقبل النقص إلا لعارض كعصمة الأنبياء فإن إيمانهم يستحيل عليه النقص وما ذكره الشارح من الترجيح قول جمهور الأشاعرة والماتريدية ومالك والشافعى وأحمد (قوله وقيل لايزيد ولاينقص) هو قول جماعة منهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه وتأولوا أدلة الأولين بأن آية وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا المراد المؤمن به فإن الصحابة كان يتجدد عليهم القرآن والأحكام شيئا فشيئا فكلما زادت الأحكام زاد عملهم بها ويؤوّل الحديث بأن الزيادة والنقص ترجع إلى الأعمال لا التصديق ومما يردّ قوله أيضا ما قاله ابن العربى أقسام الإيمان خمسة إيمان تقليد وهو من أخذ العقائد عن شيخ وجزم بها من غير معرفة دليل وإيمان علم وهو معرفة العقائد بأدلتها وإيمان عيان وهو معرفة الله بمراقبة القلب كأنه يراه وإيمان حق وهو رؤية الله بقلبه وهو مقام

لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان حتى إن من حصل له حقيقة التصديق فسواء أتى بالطاعات أو ارتكب المخالفات فتصديقه باق على حاله من غير تغير فيه أصلا وقيل الخلف لفظى لأن مايدل على أن الإيمان يزيد وينقص فمحمول على الايمان الكامل المركب من تصديق وعمل فالزيادة والنقصان مصروفان إلى مابه الكمال من الأعمال ومايدل على عدم الزيادة والنقص فمحمول على أصل الإيمان وهو التصديق وفيه نظر وأما الإسلام فهو لغة الخضوع والانقياد فهو غير الإيمان لغة قطعا وأما شرعا فقد اختلف فيهما فذهب أكثر الماتريدية وبعض محقق الأشاعرة إلى أنه الخضوع والانقياد للأوامر والنواهى بمعنى قبول ذلك والاذعان له وعليه فهو عين الإيمان فالإيمان والإسلام مترادفان شرعا قال النسفى فى العقائد والإيمان والإسلام واحد والأكثر من الأشاعرة مع كثير من الماتريدية إلى تغايرهما مفهوما كتغايرهما لغة إذ مفهوم الايمان تصديق القلب بكل ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين ضرورة أى الإذعان لذلك ومفهوم الإسلام امتثال الأوامر والنواهى ببناء العمل على ذلك الاذعان فهما مختلفان وإن تلازما شرعا بحيث لا يوجد مسلم ليس بمؤمن ولا العكس إذ يلزم من الاذعان الامتثال المذكور ومن

الامتثال الاذعان فليتأمل . فإن قلت إن الإسلام قد ينفرد عن الإيمان فى المنافق كما يشير إليه قوله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا . قلت كلامنا فى الإسلام المعتبر شرعا المنجى من خلود النار وأما ما فى الآية فالمراد به الانقياد الظاهرى فقط فإن قلت قد فسر النبى صلى الله عليه وسلم الإسلام بنفس العمل، حيث قال عليه الصلاة والسلام الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا فالجواب أن مراده عليه الصلاة والسلام بالإسلام علاماته الدالة عليه كما قال عليه الصلاة والسلام لوفد قدموا عليه أتدرون ما الإيمان بالله تعالى وحده ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم فقال شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس فقد فسر الإيمان بعلاماته لظهور أن الإيمان ليس ماذكر بل التصديق والإذعان قاله التفتازانى وقد جمع رحمه الله بين قولى الماتريدية والأشاعرة بالترادف وعدمه بأنهما خلاف فى حال فإن مفهوم الإسلام إن فسر بالانقياد الظاهرى بمعنى امتثال الأوامر والنواهى والعمل بمقتضى تلك الأحكام من غير ملاحظة الإذعان والتسليم القلبى كان مخالفا لمفهوم الإيمان وإن فسر بالاستسلام والانقياد الباطنى بمعنى قبول تلك الأحكام والاذعان لها وترك الإباء والاستكبار عنها كان متحدا معه اه وقوله من غير ملاحظة الاذعان يعنى فى مفهومه فلا ينافى أنه لابد من ملاحظة البناء عليه ليتأتى التلازم (وينطوى) أى يندرج (فى) معنى (كلمة الإسلام) أى الدالة على الاسلام وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله فاضافتها للاسلام من إضافة الدال للمدلول سميت كلمة لدلالتها على معنى واحد وهو الإسلام (ماقد مضى) ذكره (من سائر) أى جميع (الأحكام) الالهيات والنبويات والسمعيات بيان ذلك أنها جملتان الجملة الأولى

المشاهدة وإيمان حقيقة وهو الفناء بالله عما سواه فكل واحد أزيد مما قبله ومحل الخلاف فى غير إيمان الأنبياء والملائكة فإنه يزيد ولاينقص وقيل إن إيمان الملائكة لا يزيد ولاينقص . إن قلت إن قوله تعالى فى حق الخليل أولم تؤمن يوهم أن إيمان الأنبياء ينقص . أجيب بأن المعنى أولم يكفك إيمانك الكامل قال بلى ولكن ليطمئن قلبى برؤية المعجزة الباهرة تتقوم له الحجة على قومه (قوله لايتصور فيه زيادة ولانقصان) أى لأنه التصديق البالغ حد الجزم فلو قلنا بنقصه لكان ظنا وهو كفر ولو قلنا بزيادته لكان لامعنى له لأنه فى غاية الجزم وهو منتهى الزيادة وبقى قول ثالث للخطابى وهو أن الإيمان قول وهو لايزيد ولاينقص فإذا نقص ذهب (قوله وقيل الخلف لفظى) هذا القول للفخر الرازى جامعا بين القولين (قوله وفيه نظر) أى لأن الخلاف إنما هو فى أصل الإيمان وهو التصديق فهو حقيقى لا لفظى والمعول عليه الترجيح المتقدم (قوله الخضوع والانقياد) أى فيقال أسلمت الدابة واستسلمت أى انقادت (قوله والأكثر من الأشاعرة الخ) مقابل للقول الأول وهو المعتمد (قوله إذ مفهوم الإيمان) أى مدلوله (قوله وإن تلازما شرعا) أى ولايبعده قوله تعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لأن تغاير مفهوم المسلم والمؤمن كاف فى العطف فلايلزم منه مغايرة ذات المؤمن لذات المسلم (قوله فإن قلت إن الإسلام قد ينفرد عن الإيمان الخ) هذا السؤال وارد على ثبوت التلازم بينهما (قوله فإن قلت قد فسر النبى الخ) هذا السؤال وارد على القول بترادفهما ، وبيان ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم فسر الإسلام بالعمل ومن المعلوم أن العمل غير التصديق فكيف يقال بترادفهما؟ والحق أنهما مختلفان مفهوما متحدان ماصدقا متلازمان شرعا فقوله وقد جمع رحمه الله الخ تكلف ولا داعى اليه (قوله من إضافة الدال للمدلول) غير متعين بل يصح أن يكون من إضافة السبب للمسبب أومن إضافة الجزء للكل بناء على تكلف أن الإسلام اسم للعمل (قوله لدلالتها على معنى واحد) أى فسميت باسم مدلولها وإلا فهى كلام ومنه قوله تعالى- كلا إنها كلمة هو قائلها -قال ابن مالك :

وكلمة

لا إله إلا الله والإله هو المعبود بحق فالمعنى لا معبود بحق موجود أو في الوجود إلا الله فقد دلت هذه الجملة على نفي الألوهية التي هي استحقاق المعبود بالعبادة كما عرفت عن كل ما سواه منطوقا وعلى ثبوتها له تعالى وحده مفهوما وهذا يستلزم استغناءه تعالى عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه تعالى أما استغناؤه عن كل ما سواه فيوجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه إذ لو ماثل شيئا منها للزمه ما لزمها من الافتقار وهو محال ولو قام بغيره لكان مفتقرا الى ذلك الغير ويوجب له أيضا التنزه عن النقائص وهو يستلزم وجوب السمع والبصر والكلام والتنزه عن الأغراض في الأفعال والأحكام وإلا لكان مفتقرا إلى ما يتكمل به من ذلك الغرض وعدم وجوب فعل شيء من الممكنات أو تركه وعدم كون شيء من الممكنات يؤثر بقوة أودعها الله فيه وإلا لم يكن مستغنيا عن كل ما سواه كيف وهو الغني بالإطلاق عن كل ما سواه وأما افتقار كل ما سواه إليه تعالى فهو يوجب له تعالى القدرة والإرادة والعلم والحياة والوحدانية لما تقدم من أن التعدد يوجب العجز ويؤخذ منه حدوث العالم بأسره ونفي تأثير شيء منه بالطبع أو بالعلة وإذا وجب شيء استحال ضده هذا حاصل ما بينه الإمام السنوسي رضي الله عنه ولك أن تقول الله علم على الذات الواجب الوجود الخالق للعالم وقد دلت هذه الجملة على حصر الألوهية فيه تعالى وظاهر أن كونه واجب الوجود وخالقا للعالم يتضمن جميع ما ذكر . وأما الجملة الثانية وهي قولنا محمد رسول الله فقد دلت على ثبوت الرسالة له صلى الله عليه وسلم وذلك يستلزم صدقه في كل ما أخبر به وأمانته وتبليغه للعباد كل ما أمر بتبليغه من الأحكام وفطانته إذ الرسول لا يكون إلا معصوما واستحالة أضدادها عليه صلى الله عليه وسلم وجواز كل ما لا يؤدي إلى نقص في علو مرتبته من الأعراض البشرية ووجوب صدقه يستلزم الإيمان بكل ما جاء به ومن ذلك إرسال الرسل وهو يستلزم ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز والإيمان بسائر الكتب السماوية واليوم الآخر والحساب وما عليه مما مر من جميع السمعيات ولتضمنها جميع عقائد الايمان جعلها الشارع ترجمة على ما في القلب ولم يقبل من أحد الاسلام الا بها ومن ثم كانت أفضل الأذكار قال صلى الله عليه وسلم «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله» .

* وكأنه بها كلام قد يؤم * (قوله لا إله إلا الله) يصح نصب لفظ الجلالة ورفعه والمختار الرفع لقول ابن مالك * وبعد نفي أو كنفي انتخب * إتباع ما اتصل ، وهي من قبيل العام المخصوص وهو ما كان عمومه مرادا في اللفظ لا في المعنى فالاستثناء على ذلك متصل من حيث دخول لفظ الجلالة في عموم اللفظ وهو مخرج معنى فقوله إلا الله كشف لما راعاه في القلب عند النفي وهو من باب عموم السلب لا سلب العموم وإلا كان الاستثناء منقطعا وهو خلاف التحقيق (قوله فالمعنى لا معبود بحق) أي معناها المطابق والنفي المعبود بحق غير الله في ذهن المؤمن وفي نفس الأمر لا في ذهن الكافر إذ هو ثابت لا يتأتى نفيه فهو من المؤمن إخبار عما في قلبه وما في نفس الأمر ولا ينظر لما في قلوب الكفار وحذف تنوين معبود مشاكلة للفظ إله وإلا فحقه النصب لكونه شبيها بالمضاف (قوله موجود أو في الوجود) أشار بذلك إلى أن خبر لا محذوف واختار الشارح تقديره من مادة الوجود واختار غيره تقديره من مادة الإمكان بأن يقال لا إله ممكن إلا الله ويرد على كل إشكال أما الأول فلأن مفهومه يفيد أن هناك آلهة غير الله يمكن وجودها وإن لم تكن موجودة بالفعل . أجيب بأن نفي الإمكان أخذ من الدليل العقلي كما أن وجوب الوجود في حقه تعالى يؤخذ من الدليل العقلي لا من الاستثناء فإنه إنما يفيد ثبوت الوجود وأما الثاني فلأن منطوقه يفيد إمكان الله وكونه موجودا أو لا شيء آخر . وأجيب بأن وجوده تعالى علم أيضا من الدليل العقلي (قوله فيوجب له تعالى الوجود) . إن قلت إن عقيدة الوجود أخذت من الكلمة المشرفة إذ التقدير لا إله موجود إلا الله فلا حاجة الى أخذه من الاستغناء . أجيب بأن المأخوذ من الاستثناء مطلق الوجود والمأخوذ من الاستغناء وجوب الوجود فقوله يوجب له الوجود أي وجوب الوجود (قوله وقيامه بنفسه) إن قلت إن القيام بالنفس هو الاستغناء فيلزم عليه اتحاد الموجب والموجب فكأنه قال الاستغناء أوجب الاستغناء . أجيب بأن القيام بالنفس استغناء خاص وهو الاستغناء عن المحل والمخصص والاستغناء الموجب الذي هو أحد جزأي مدلول الكلمة المشرفة عام وإثبات العام يستلزم اثبات الخاص (قوله وهو يستلزم وجوب السمع الخ) الضمير عائد على التنزه وما ذكره مبني على أن دليل هذه الثلاث عقلي وتقدم أن الأقوى فيها الدليل السمعي وحينئذ فتكون مأخوذة من الجملة الثانية وهي محمد رسول الله إذ هي من جملة ما جاء به رسول الله فتدبر (قوله ولك أن تقول) أي في وجه تضمنها للعقائد (قوله يتضمن جميع ما ذكر) أي لأن وجوب الوجود يتضمن صفات السلوب ما عدا الوحدانية والتنزه عن الأغراض في الأفعال والأحكام وكونه خالقا للعالم يتضمن القدرة والإرادة والعلم والحياة والوحدانية وحدوث العالم بأسره ونفي العلة والطبيعة (قوله الا بها) أي لا بغيرها من نحو سبحان الله والحمد لله بل ولو قرأ جميع أسماء الله الحسنى وهذا لا ينافي الخلاف المتقدم في اشتراط لفظ أشهد والترتيب

وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة ولذلك اختارها السادة الصوفية فى السلوك إلى الله تعالى على غيرها من الأذكار؛ إذا علمت ذلك (فأكثرن) بنون التوكيد الخفيفة (من ذكرها) أى كلمة الإسلام (بالأدب) أى مع الآداب التى ذكرها القوم وهذا شروع منه ساعده الله تعالى فى فن التصوف الذى

هو حياة القلوب رتبه على معرفة عقائد الايمان لأنه لايمكن السير إلى الله تعالى إلا بعد معرفتها وحد التصوف علما هو علم بأصول يعرف به صلاح القلب وسائر الحواس وعملا هو الأخذ بالأحوط من المأمورات واجتناب المنهيات والاقتصار على الضروريات من المباحات ويقال هو الجد فى السلوك إلى ملك الملوك ويقال هو حفظ الحواس ومراعاة الأنفاس والمعنى متقارب وغايته صلاح القلب وسائر الحواس فى الدنيا والفوز بأعلى المراتب فى العقبى وموضوعه الأخلاق المحمدية من حيث التخلق بها . واعلم أن التصوف بمعنى العمل هو الطريقة وأما الشريعة فهى الأحكام التى وردت عن الشارع المعبر عنها بالدين وأما الحقيقة فهى أسرار الشريعة ونتيجة الطريقة فهى علوم ومعارف تحصل لقلوب السالكين بعد صفائها من كدرات الطباع البشرية ولاشئ أقرب لصفاء القلب من كثرة ذكر لاإله إلا الله مع الآداب التى ذكرها أهل الله رضى الله تعالى عنهم

ومتى ترك السالك الآداب أو أكثرها بعد عليه الوصول الى مطلوبه والآداب إما قبلية وإما مصاحبة وإما بعدية فالقبلية أن يجدد التوبة مما وقع فيه من المخالفات أو الخواطر الرديئة وأن يتطهر من الحدث والخبث وأن يتوجه الى الله تعالى برغبة ليحصل له الجمعية فى الذكر وأن يستغفر الله تعالى بما تيسر بأى صيغة كانت

فإن القائل بعدم الاشتراط يقول لابد من الإتيان بها ولو معنى (قوله وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة) منها قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لاإله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله ومنها أكثروا من شهادة أن لاإله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها ولقنوها موتاكم ومنها إن الله قد حرم على النار من قال لاإله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله ومنها جددوا إيمانكم أكثروا من قول لاإله الا الله ومنها لكل شىء مفتاح ومفتاح السموات قول لاإله إلا الله ومنها ليس من عبد يقول لاإله إلا الله مائة مرة إلابعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أوزاد ومنها ماقال عبد لاإله إلا الله قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضى الى العرش مااجتنبت الكبائر ومنها من قال لاإله إلا الله مخلصا دخل الجنة ومنها لاإله إلا الله لايسبقها عمل ولا تترك ذنبا وغير ذلك من الأحاديث التى لاتحصى كثرة (قوله إذا علمت ذلك الخ) أشار بذلك الى أن الفاء فى قوله فأكثرن للفصيحة أفصحت عن جواب شرط مقدر (قوله فى فن التصوف) مأخوذ من الصفاء وهو خلوص الباطن من الشهوات والكدرات قال بعض العارفين :

ياواصفى أنت فى التحقيق موصوف	وعارفى لاتغالط أنت معروف
إن الفتى من بوعده فى الأزل يوفى	صافى فصوفى لهذا سمى الصوفى

(قوله إلا بعد معرفتها) أى ومعرفة الأحكام الفقهية التى بها تصح عبادته ولذا قيل من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف وتفقه فقد تحقق (قوله علما) أى من جهة العلم وقوله بأصول أى بقواعد وضوابط وقوله وعملا معطوف على علما (قوله هو الجد) أى الاجتهاد وبذل الهمة (قوله حفظ الحواس) أى من كل مايغضب الله تعالى (قوله ومراعاة الأنفاس) أى فلا يضيع نفسا فى غير طاعة فإن الإنسان يخرج منه كل يوم وليلة مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نفس ينبغى له أن يراعيها ولايضيعها (قوله والمعنى متقارب) أى فى التعاريف الثلاثة (قوله وغايته صلاح القلب) مراده بالغاية الفائدة وقوله والفوز بأعلى المراتب هذا هو غايته (قوله وموضوعه الأخلاق المحمدية) أى وهى أوامر القرآن ونواهيه لما ورد عن عائشة أنها حين سئلت عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن وذكر الشارح من مباديه العشرة أربعة وبقى ستة وهى واضعه وهم العارفون الآخذون له عن النبى بالسند المتصل ونسبته أنه فرع علم التوحيد واستمداده من الكتاب والسنة واسمه علم التصوف وحكمه الوجوب ومسائله قضاياه التى يبحث فيها عن عوارضه الذاتية كالفناء والبقاء والمراقبة والمشاهدة والجلال والجمال وغير ذلك (قوله المعبر عنها بالدين) أى والملة (قوله لصفاء القلب) أى خلوصه من أدرانه وكدراته (قوله مع الآداب) أى مع القيام بها والتزامها (قوله إلى مطلوبه) أى وهو صفاء القلب (قوله والآداب إما قبلية الخ) هذه آداب لخصوص الذكر وأما آداب الطريق فقد ذكرها قباسيأتى مشتتة وذكرها فى رسالته التى ألفها فى طريق القوم مجموعة ولنذكرها تتميما للفائدة فنقول: وأما الآداب فهى كثيرة جدا فنقتصر منها على المهمات بعضها يتعلق بحق الشيخ وبعضها يتعلق بحق الإخوان الذين معه فى الطريق وبعضها يتعلق بحق العامة وبعضها يتعلق بحق نفسه وبالتى نذكرها يتيسر له إن شاء الله تعالى مالم نذكره . فالآداب التى تطلب من

وأن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كذلك وأن يستقبل القبلة لأنها أفضل الجهات وأن يستحضر شيخه ليكون رفيقه فى السير ثم يشرع فى الذكر. وأما الآداب الصاحبة له فأن يستحضر معناها إجمالا وأن يحقق الهمزة ويمد ألف لا مدا متوسطا ويفتح هاإله فتحة خفيفة ويمد ألف الله وألف إله مدا طبيعيا ويأتى بالهاء من الله ويقف عليها وأن يذكر بهمة وقوة وأن يكون ذكره رغبة فى مرضاة الله ومحبته وامتثالا لأمره لا الرياء ولا السمعة ولا لأمر دنيوى أو أخروى وأن ينفى الأكوان من قلبه لأن ملاحظة شىء منها قاطع عن الله تعالى ولولا أن للشيخ مدخلا فى السير ماسوغوا له ملاحظته فى حال البداية وأن يجلس كجلوسه فى التشهد إلا الصحب فيجوز التربع وأن يغمض عينيه لأن له تأثيرا فى تنوير القلب وأن يبتدئ بلا جهة اليمين ويرجع بإله ويختم بالله جهة اليسار مشيرا إلى قلبه فإذا أراد ختم الذكر ختمه بمحمد رسول الله. وأما الآداب البعدية فإنه يسكت ويسكن بخشوع فإن للذكر واردات ترد على قلب الذاكر ولا يتمكن الوارد من القلب إلا بذلك فإذا كان الوارد وارد زهد وجب التمهل حتى يتم ويتمكن من القلب فتستوى عنده الدنيا أقبلت أم أدبرت وإذا كان وارد توكل صار بعد ذلك مفوضا أمره إلى ربه فى كل شىء وإذا كان وارد صبر صار بعد ذلك لا ينزعج من تفاقم الأهوال وهكذا من الواردات قال الإمام الغزالى رضى الله عنه ولهذه السكتة آداب مراقبة الله تعالى وإجراء معنى الذكر على قلبه ونفى الخواطر كلها وجمع حواسه كلها بحيث لا تتحرك منه شعرة كحال الهرة عند اصطياد الفأرة وأن يكتم نفسه بقدر لطاقته مرارا أقلها ثلاثة إلى سبعة حتى يدور الوارد فى جميع أركانه وأن لا يبادر بشرب الماء عقب الذكر فإنه يطفىء ما حصل من أنواره

من المريد فى حق الشيخ أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا وباطنا وعدم الاعتراض عليه فى شىء فعله ولو كان ظاهره أنه حرام و يؤول ماانبهم عليه ولا يلتجئ لغيره من الصالحين ولا يزور صالحا إلا بإذنه ولا يحضر مجلس غيره ولا يستمع ممن سواه حتى يتم سقيه من ماء سر شيخه ولا يقعد وشيخه واقف ولا ينام بحضرته إلا بإذنه فى محل الضرورات ولا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه ولا يجلس على سجادته ولا يسبح بسبحته ولا يجلس فى المكان المعد له ولا يفعل فعلا من الأمور المهمة إلا بإذنه ولا يمسك يده للسلام وهى مشغولة بشىء بل يسلم عليه بلسانه ولا يمشى أمامه ولا يساويه فى مشيه إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صونا له وأن لا يذكره عند أعدائه وأن يحفظه فى غيبته كحفظه فى حضوره وأن يلاحظه بقلبه فى جميع أحواله ويرى كل نعمة وصلت له من بركته وأن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه وأن يصبر على جفوته وإعراضه عنه وأن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر وأن يلازم الورد الذى رتبه فإن مدد الشيخ فى ورده فمن تخلف عنه حرم المدد وأن يقدم محبته على محبة غيره ماعدا الله ورسوله فإنها المقصودة بالذات ومحبة الشيخ وسيلة . وأما الآداب التى فى حق إخوانه فأن يكون محبا لهم ولا يخص نفسه بشىء دونهم ويحب لهم مايحب لنفسه ويعودهم إذا مرضوا ويسأل عنهم إذا غابوا ويبتدرهم بالسلام وطلاقة الوجه وأن يراهم خيرا منه ويطلب منهم الرضى ولا يزاحمهم على أمر دنيوى بل يبذل لهم ماافتتح عليه به وأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ويتعاون معهم على حب الله وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه يخدمهم ولو بتقديم النعال لهم . وأما الآداب التى تتعلق بالعامة فالتواضع وبذل الطعام وإفشاء السلام والصدق معهم فى جميع الأحوال وأكثر ماتقدم فى الآداب المتعلقة بالإخوان يجرى هنا. وأما الآداب التى تتعلق به فى نفسه فأن يكون مشغولا بالله زاهدا فيما سواه غاضا عن المحارم ليس للدنيا عنده قيمة تاركا لفضول الحلال كالتوسعة فى المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب مقتصرا على قدر الكفاية مديم الطهارة لا ينام على جنابة ولا يفضى بيده إلى عورته إلا فى ضرورته ولا يكشف عورته ولو بخلوة ولا يطمع فيما فى أيدى الناس يحاسب نفسه على الدوام لا يأكل إلا حلالا وهو ماجهل أصله يكابد نفسه عن النظر إلى الصور الجميلة من النساء والأحداث فإن تلك قواطع عن الله تعالى تسد باب الفتح أجارنا الله من ارتكابه ويطالع كتب القوم ككتب سيدى عبد الوهاب الشعرانى فإنها تعلم الآداب . وحاصل ماهنالك أن طريق القوم سداها هذه الآداب ولحمتها الذكر فلا يتم نسجها إلا بهما انتهى (قوله وأن يصلى على النبى كذلك) أى بما تيسر بأى صيغة كانت (قوله وأن يستقبل القبلة) أى إن كان وحده وإلا تحلقوا (قوله وأن يحقق الهمزة) أى الأولى والثانية احترازا عن تسهيلها بحيث تصير ياء فإنه لحن (قوله ولولا أن للشيخ مدخلا فى السير) أى من حيث إن ملاحظته ترد الشيطان عنه (قوله ويرجع بإله) أى جهة صدره (قوله وجب التمهل حتى يتم) حذفه من الأواخر لدلالة الأول عليه والأوضح أن يقول ولا يتمكن الوارد من القلب إلا بذلك فيجب التمهل حتى يتم ويتمكن من القلب فإذا كان الوارد وارد زهد استوت عنده الدنيا إلى آخر ماقال والمراد بالوارد الملك الحاضر للذكر فإذا ختم الذاكر أتحفه بتحفة من ربه لأن العارفين قالوا جليس الملك لا يخلو من تحفة فكيف بجليس ملك الملوك ففى الحديث أنا جليس من ذكرنى (قوله عقب الذكر) أى أو أثنائه فعليه

فإن داومت على الذكر بهذه الآداب (ترق) أى تصعد واثبات الألف ضرورة على حد : ولاترضاها ولاتملق (بهذا الذكر) المشتمل على الآداب أى بسببه (أعلى الرتب) جمع رتبة وهى الخليقة الحسنة المحمودة عاقبتها وأدنى الرتب الإسلامية لوم النفس على ما صدر منها من المخالفات وأعلاها رتبة الصديقية ينالها العبد بعد دخوله فى مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه ورتبة الصديقية فى نفسها مراتب متفاوتة بعضها أعلى من بعض وأعلاها رتبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ولا يعلو مقام الصديقية إلا مقام النبوة فصاحب مقام الصديقية لو تخطى مقامه لنزل فى مقام النبوة إلا أن النبوة قد ختمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والصديقية لم تختم فمقام الصديقية مقام الولاية الكبرى والخلافة العظمى وهذا المقام تترادف فيه الفتوحات وتعظم التجليات وتتم المشاهدات والكشوفات لكمال النفس وحسن صفائها ولا يمكن الوصول إليه

إلا بعد الفناء وهو زوال صفات النفس المذمومة بالكلية حتى لاتصير ملتفتة إلى شىء منها بل تزهدها كما تزهد أكل الجيفة مثلا وصفاتها المذمومة هى الحسد والحقد وحب الجاه والصيت والمحمدة والرياسة والشهوات والكبر والرياء والعجب والنفاق والغرور وبغض أحد من الخلق لغير غرض شرعى ونحو ذلك فإذا زالت عنه هذه الأوصاف القبيحة اتصف بأضدادها من الصفات الحميدة كالشفقة والرأفة على الخلق حتى يحب لغيره مايحب لنفسه والإخلاص وحسن الخلق والسخاء والمسكنة التى طلبها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وهذه المسكنة هى خضوع النفس لمقام الألوهية وخفض الجناح للبرية حتى لايشم صاحبها للرياسة رائحة وصاحبها هو العبد الحقيقى الصديق فمن لم يتصف بها لم تخل نفسه من منازعة الحق تعالى فى أخص أوصافه لأن الرياسة إنما تكون للفاعل المختار الغنى على الإطلاق وهى لاتفارق الإنسان إلا بعد المجاهدة الكبرى فمفرقها لاينقطع عن أحد إلا من خصه الله بالعبودية المحضة ولذا قالوا آخر مايخرج من قلب الصديقين حب الرياسة ولا يسهل الوصول إليها عادة الا بمداومة ذكر لا إله إلا الله ليلا ونهارا مع تعلق القلب بالله وحده والجوع والسهر والاعتزال عن الناس والصمت الا عن ذكر الله تعالى وملاحظة بقية أركان الطريق التى سيأتى بيانها إن شاء الله تعالى وهو المسمى بالمجاهدة قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهذا الترقى هو المسمى بالسلوك إلى ملك الملوك عند الطائفة . وأما السير إلى الله تعالى فهو توجه القلب إلى الرب مع مخالفة النفس فى شهواتها ولو مباحة طلبا لمرضاة الله تعالى وإيثارا له على ماسواه فالسير كالسبب فى السلوك وقد يطلق السلوك

أن يصبر بعد الذكر مدة أقلها نحو نصف ساعة فلكية وكلما كثر كان أحسن (قوله فإذا داومت الخ) أشار بذلك إلى أن قوله ترق جواب شرط مقدر وهو أحد وجهين فى الواقع بعد الأمر والآخر أنه مجزوم فى جواب الأمر (قوله على حد ولا ترضاها) هو عجز بيت وصدره * إذا العجوز غضبت فطلق * وماقاله الشارح أحد أجوبة ثلاثة عند اثبات الألف فى المجزوم فالثانى أنها زيدت للاشباع الثالث أن الجازم إنما حذف الحركة فقط وهى لغة بعض العرب (قوله رتبة الصديقية) أى غير الأنبياء وإلا فرتبتهم لايصل إليها غيرهم (قوله وهو أن تعبد الله الخ) أشار للحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا لجبريل عليه السلام حيث سأله عن الإحسان فقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك فأشار بقوله كأنك تراه الى مقام المشاهدة وهى شهود الله بالقلب بلا كيف ولا انحصار كأنه ناظر إليه ومشاهد له ببصره وشبهه برؤية البصر لأنه فى الحس والعادة أقوى وأشار بقوله فان لم تكن تراه فإنه يراك إلى مقام المراقبة وهى كما يأتى ملاحظة الحق تعالى فى كل حال أى أنه يسمعه ويراه (قوله وأعلاها رتبة أبى بكر الصديق) أى ولم يرتق إليها غيره من باقى الأمة المحمدية فضلا عن سائر الأمم لما فى الحديث الشريف ما طلعت الشمس على أحد بعد النبيين أفضل من أبى بكر وفى رواية أيضا لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجح (قوله لكمال النفس) علة لقوله وهذا المقام تترادف الخ (قوله والصيت) أى الشهرة بين الناس (قوله هى خضوع النفس لمقام الألوهية الخ) أى لأن قصارى أمر العبد عدم وآيل إليه (قوله فى أخص أوصافه) أى وهى العظمة والكبرياء لما فى الحديث العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فى شىء منهما قصمته (قوله إنما تكون للفاعل المختار) أى وهو الله تعالى (قوله وملاحظة بقية أركان الطريق الخ) أى وهى خمسة تجديد التوبة والشكر والصبر والفكر والشيخ العارف. والحاصل أن الشارح رضى الله عنه عد الأصول عشرة لكن منها أربعة مشتركة بين أهل الطريق وغيرهم وهى الفكر والشكر والصبر وتجديد التوبة وستة مخصوصة بأهل الطريق لتوقف وصولهم عليها عادة وهى دوام الذكر والصمت والسهر والجوع والعزلة والشيخ العارف الذى يدل على الله تعالى . وقد نظم بعضهم الستة المختصة ماعدا الشيخ والذكر بقوله :

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال

مابين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه العالى

(قوله

على المعنى الثانى أيضا والسلوك الى الله تعالى طريقة النبيين والصديقين والعلماء العاملين الا أنه مختلف فسلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبدؤه الترقى من نفوس مطهرة كاملة الى مالانهاية له من المقامات الاحسانية وهو فى نفسه متفاوت فسلوك أولى العزم منهم أعلى وأجل من سلوك غيرهم وسلوك سيد أولى العزم عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام أعلى من غيره إذ مبدؤه نهاية غيره وأما سلوك غيرهم فمن نفوس أمارة أو لوامة ظلمانية الى نفس كاملة صديقية والنهايات تختلف فى الاشراق بحسب اختلاف البدايات فبإحراق البداية يكون إشراق النهاية

النفوس سبعة بحسب أوصافها والافهى واحدة الأولى النفس الأمارة بالسوء وهى التى لاتأمر صاحبها بخير فإذا جاهدها صاحبها وخالفها فى شهواتها حتى أذعنت لاتباع الحق وسكنت تحت الأمر التكليفى ولكنها تغلب صاحبها فى أكثر أحوالها ثم ترجع إليه باللوم على ماوقع سميت لوامة وهى الثانية فإذا أخذ فى المجاهدة والكد حتى ملت إلى عالم القدس واستنارت بحيث ألهمت فجورها وتقواها سميت ملهمة وهى الثالثة وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية الدقيقة

من الرياء والعجب وغير ذلك فإذا لزم المجاهدة حتى زالت عنها الشهوات وتبدلت الصفات المذمومة بالمحمودة وتخلقت بأخلاق الله تعالى الجمالية من الرأفة والرحمة واللطف والكرم والود سميت مطمئنة وهى الرابعة وهذا المقام هو مبدأ الوصول الى الله تعالى ولكنها لاتخلو من دسائس خفية جدا كالشرك الخفى وحب الرياسة إلا أنها لخفائها ودقتها لايدركها إلا أهلها الذين نوّر الله بصائرهم لأن ظاهرها الصلاح والاتصاف بالصفات الحميدة من الكرم والحلم والتوكل والزهد والورع والشكر والصبر والتسليم والرضا بالقضاء مع انكشاف بعض أسرار وانخراق بعض عادات وظهور بعض كرامات فلربما ظن صاحبها أنه الإمام الأعظم وأن مقامه هو المقام الأفخم وهذا من جملة الدسائس فإذا أدركته العناية الالهية واستند الى شيخه بالكلية ولازم المجاهدة حتى تمكن من الصفات المحمودة وانقطع عنه عرق الرياء وصارت نفسه ذليلة واستوى عنده المدح والذم ودخلت فى مقام الفناء ورضيت بكل مايقع فى الكون من غير اعتراض أصلا سميت راضية وهى الخامسة ولكن رؤية الفناء والإخلاص ربما أوقع فى شىء من الإعجاب فيرجع به القهقرى فليستعذ بالله من ذلك مع مداومة الذكر والالتجاء الى الله وملاحظة أنه لايتم له الخلاص الابمدد الشيخ فإذا فنى عن الفناء وخلص من رؤية الإخلاص تجلى عليها بالرضا وعفا عن كل مامضى وتبدلت سيآتها حسنات وانفتح لها أبواب الأذواق والتجليات فصارت غريقة فى بحار التوحيد وآنستها بلابل الأسرار بالتغريد ولذا سميت مرضية لأنها بعنايات الله مرعية وهى السادسة إلا أن صاحب الهمة العلية لايرضى بالوقوف عند هذه المقامات وإن كانت سنية بل يسير من الفناء الى البقاء ويطلب وصل الوصل بتمام اللقاء فتناديه حقائق الأكوان انما نحن فتنة فلا تكفر

(قوله على المعنى الثانى) أى وهو التوجه إلى الرب مع مخالفة النفس فى شهواتها الخ فمعنى تسميته سالكا أنه متسبب فى السلوك (قوله وهو فى نفسه متفاوت) أى فالسلوك مقول بالتشكيك (قوله نهاية غيره) أى من أولى العزم (قوله والنهايات تختلف الخ) أى نهايات غير الأنبياء عليهم السلام (قوله فباحراق البداية) أى بالمجاهدة بالذكر والفكر وقوله يكون إشراق النهاية أى بالعلوم والمعارف والأسرار (قوله والنفوس سبعة) أى عند السادة الخلوتية وأما عند السادة الشاذلية فثلاثة أمارة ولوامة ومطمئنة فأدخلوا الملهمة فى اللوامة وأدخلوا الراضية والمرضية والكاملة فى المطمئنة ووجه ذلك أن النفس اللوامة إذا كثر منها اللوم صارت عيوبها بين عينيها فاشتغلت بها عن غيرها وهى الملهمة وأن المطمئنة إذا ترقت فى الكمالات رضيت بما قضاه الله وقدره فجوزيت بالرضا من خالقها فإذا زاد ترقيها كملت فهذه مطمئنة وزيادة فلا خلف بينهم (قوله الأولى الأمارة) وهى مأخوذة من قوله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء (قوله لاتأمر صاحبها بخير) أى خالص من العلل فلاينافى أنها قد تأمر بخير معلول كما اتفق لرجل أمرته نفسه بالجهاد يوما فطلب من الله أن يطلعه على دسائسها فأطلعه الله على أنها تريد أن تجاهد وتقتل مرة واحدة لتستريح من قتلك لها كذا كذا مرة (قوله سميت لوامة وهى الثانية) أى وهى مأخوذة من قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وقوله سميت ملهمة وهى الثالثة أى وهى مأخوذة من قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها (قوله وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية) ومن جملة علامتها الشوق والهيمان والسكر إذ هو فى هذا المقام فان عما سوى الله تعالى ولكن هذا كثير العطب لاينجو منه عادة إلا باستناده لشيخه بالكلية (قوله سميت مطمئنة وهى الرابعة) هذه ومابعدها السابعة مأخوذة من قوله تعالى ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى (قوله هو مبدأ الوصول) أى ولذا يقولون هو أول قدم يضعه المريد فى الطريق وقبله يسمى مريدا (قوله فى بحار التوحيد) من إضافة المشبه به للمشبه وكذا قوله بلابل الأسرار وقوله بالتغريد هو فى الأصل صوت البلابل الحسن والمراد بها دواعى القرب لحضرة الرحمن (قوله فتناديه حقائق الأكوان) أى ذواتها

وأن إلى ربك المنتهى فإذا سار إلى منازل الأبطال وخلف الدنيا وراء ظهره ناداه ربه بأحسن مقال يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي فيدخلها ربها في عباد الإحسان ويخلع عليه خلع الرضوان ويدخلها جنات الشهود ويجلسها في مقعد صدق عند الملك المعبود وفي هذا المقام قدمت المجاهدة والمكابدة لأن صفات الكمال صارت لها طبعا وسجية وتسمى النفس فيه بالكاملة وهي السابعة وهي أعظم النفوس قدرا وأكملها فخرا ومع ذلك لا ينقطع ترقيها أبدا لأن الكامل يقبل الكمال فلم تزل تترقى حتى تشهد الحق تعالى قبل الأكوان ومشاهدته تعالى قبل كل شيء هو المسمى عندهم بالمعاينة وهذا هو عين اليقين بعد أن حازت علم اليقين الذي هو معرفته تعالى بالبراهين ثم حق اليقين وهي مشاهدته تعالى في كل شيء من غير حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال كالمرآة ترى فيها وجهك من غير حلول الوجه فيها ولا اتحاد وهذا مشهد ذوقي لا يدركه إلا أهله وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة لأنها صارت طبعه إما باللسان وإما بالجنان وإما بالأركان فحركاته حسنات وأنفاسه عبادات ولذا قال سيدي محمد وفا أبو سيدي علي وفا رضي الله عنهما :

وبعد الفنا بالله كن كيفما تشا
فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

فهو محفوظ من الوقوع في المخالفات لحضوره دائما مع الله في جميع الحالات. واعلم أن الكاملين في الناس من أقل الأقل إذ السالكون إلى الله تعالى من المؤمنين قليلون وكن والواصلون منهم قليلون والكاملون منهم قليلون إذ السير إلى الله تعالى صعب جدا لا يقدر عليه إلا ذو همة علية وصدق كامل إذ ترك المألوفات من الطعام والمنام وجمع المال وحب الجاه وسائر الشهوات لا يقدر عليه إلا القليل من الأبطال والطريق فيها مفاوز ومهلكات فالناجي فيها قليل ولذا قيل:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال وبينهن حتوف
والرجل حافية ومالي مركب واليد صفر والطريق مخوف

(وغلب) في حال اشتغالك بالذكر المذكور (الخوف) من الله تعالى

(قوله وأن إلى ربك المنتهى) أي فلا تلتفت لغيره فإنه فتنة شاغل لك عن مقصودك ، ومن ذلك قول العارف ابن الفارض :

قال لي حسن كل شيء تجلى بي تملى فقلت قصدي وراكا
وجد القلب حبه فالتفاتي لك شرك ولا أرى الإشراكا

(قوله قدمت المجاهدة والمكابدة) أي ومع ذلك فلا يأمن لنفسه بل دائما يتعهدها ويربيها قال السيد البكري النفس حية تسعى ولو بلغت مراتبها السبعة (قوله هو المسمى عندهم بالمعاينة) أي المراقبة (قوله بعد أن حازت علم اليقين) أي وهو الذي كان متصفا به قبل الدخول في المطمئنة (قوله وهي مشاهدته تعالى في كل شيء) أي وهو المسمى في اصطلاحهم بالمشاهدة فتحصل أن المراقبة وتسمى بالمعاينة هي أن يشهد الله قبل الأكوان ثم يثبتها به لأنها آثاره كما أشار له بعض العارفين بقوله :

هذه آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وأن المشاهدة هي أن يرى الله في كل شيء فلا تحجبه رؤية الله عنها ولا يحجب بها عن الله ويقال لصاحبها من أهل الجمع والفرق وهو أعلى المقامات (قوله وبعد الفناء بالله الخ) أي بعد انقضاء الفناء وثبوت البقاء سواء كان في المراقبة أو المشاهدة وقوله كن كيفما تشاء ليس المقصود رفع التكليف عنه وإنما المقصود بيان حفظه من الزلل بدليل قوله * فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر * وهو بمعنى قول ابن الفارض

فليصنع القوم ما شاءوا لأنفسهم هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وقد وضحه الشارح بقوله فهو محفوظ الخ (قوله واعلم أن الكاملين الخ) ليس قصد الشارح بتلك العبارة التنفير من مجاهدة النفس بل هي مأمور بها ممدوح عليها سالك أو لم يسلك لقوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى الآية وإنما المقصود زيادة التحريض على تلك المقامات السنية نظير قول ابن الفارض * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * إلى أن قال :

نصحتك علما بالهوى والذي أرى مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

(قوله ولذا قيل) أي قولا صحيحا لبعض العارفين (قوله كيف الوصول الخ) استفهام تعجبي استبعادي وسعاد كناية عن الحضرة العلية ودونها أي سعاد وقوله قلل الجبال جمع قلة والمراد بها شواهق الجبال وهو من إضافة الصفة للموصوف والظرف خبر مقدم وقلل مبتدأ مؤخر والجملة حال من سعاد وقوله وبينهن حتوف الظرف خبر مقدم وحتوف بالحاء والتاء مبتدأ مؤخر جمع حتف بمعنى مهالك لسعة المسافة والجملة حال من جبال وقوله والرجل حافية مبتدأ وخبر وكذلك ما بعده وقوله صفر بكسر فسكون أي خلية من الدنيا التي يستعين بها على أجرة الركوب والزاد الموصل وهو كناية عن عدم تأهله للقرب من حضرة الحق لكونه نظر إلى حوله وقوته فرأى الأمر مستبعدا كبعد من كانت هذه أوصافه في وصوله إلى محبوبته وليس المقصود اليأس لنفسه ولا لغيره وإنما المقصود الوصول إلى الله تعالى بالعجز والافتقار إليه لا بالحول ولا بالقوة قال بعض العارفين في هذا المعنى :

مادمت في حال الصحة (على الرجاء) في رحمته وعفوه يريد أنه لابد للعبد من الخوف والرجاء معا لأنهما كجناحي الطائر متى فقد أحدهما سقط إلا أنه في حال الصحة والسلامة ينبغي تغليب جانب الخوف على جانب الرجاء لأنه كالسوط ينساق به إلى الاعتناء بالعبادة وبه تزول الرعونات النفسية عن القلب إن شاء الله تعالى فإذا **نزل به المرض وأشرف على الموت فينبغي تغليب جانب الرجاء على الخوف لأنه حال القدوم على الكريم والخوف هم وقلق لما هو آت والحزن هم لما فات والرجاء تعلق القلب بمرغوب يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب فإن لم يأخذ في الأسباب فطمع وهو مذموم شرعا (وسر) سيرا حثيثا (لمولاك) أي سيدك وخالقك (بلا تناه) أي بلا تباعد عن الطريق المستقيم الموصل الى الله تعالى بأن تعلق قلبك بغيره تعالى وتقدم أن السير عبارة عن تعلق القلب بالله تعالى مع مخالفة النفس في شهواتها إيثارا له تعالى على غيره وهذا هو الطريق المستقيم الموصل الى الله تعالى وهي طريق الشطار من أهل المحبة والشوق الى بارئ النسم ومبناها على الموت بالإرادة لخبر «موتوا قبل أن تموتوا» ولذا قال سيدي عمر بن الفارض:**

ونفسي كانت قبل لوامة متى أطعها عصت أو أعص كانت مطيعتي

وكن عاجزا عنها تكن قادرا بها فعدلك عنها منك نحو السوى ظلم

ومن ذلك المعنى قول السيد البكري :

وأتيت إليك خليا من صومي وصلاتي مع حججي

(قوله مادمت في حال الصحة الخ) هذا هو مذهب مالك وعند الشافعي يجعلهما كجناحي الطائر مستويين صحة ومرضا . واعلم أن الخوف والرجاء حالتان لابد لكل شخص منهما ولا يخلو منهما أحد سلك الطريق أولا لكن قال العارفون إن خوف السائر إلى الله تعالى يسمى قبضا ورجاءه يسمى بسطا والمتوسط يسمى أنسا وهيبة والكامل يسمى جلالا وجمالا (قوله والرجاء) أي بالمد وأما بالقصر فمعناه الناحية قال تعالى والملك على أرجائها أي نواحيها (قوله سيرا حثيثا) أي سريعا شديدا والمعنى أقبل على عبادة الله بكليتك ولا تضيع عمرك سبهللا فإنه ذخيرة لك في الحديث واعمل لربك على قدر حاجتك إليه (قوله بأن تعلق قلبك بغيره) تصوير للتباعد عن الطريق المستقيم (قوله إلى بارئ النسم) أي خالقها والنسم جمع نسمة كشجرة وشجر فهو اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء (قوله على الموت بالإرادة) أي بالاختيار والقصد (قوله متى أطعها) أي في شهواتها ولذاتها وقوله عصت أي خالفت ربها وقوله أو أعصى أي أخالفها وأقمع شهواتها وقوله كانت مطيعتي أي موافقة لي على ما أريد منها من طاعة الله تعالى (قوله ما الموت أيسر بعضه) أي من الجوع والسهر والصمت والعزلة والتغرب ولبس خشن الثياب ونحو ذلك من المشاق التي يكون بها تربية النفس وأفعل التفضيل على معنى من والمعنى حملتها متاعب الموت أسهل من بعضها فإنه كان يواصل الجوع أربعينا أربعينا فاتفق أنه طلبت نفسه شهوة فزادها عشرا فصار أكله بعد كل خمسين وقوله وأتعبتها أي بتلك الأمور وقوله كيما تكون مريحتي أي بفناء شهواتها (قوله فعادت) أي صارت مريحة لي وقوله ومهما حملته أي المشاق التي الموت أيسر من بعضها وقوله تحملت مني أي أخذته بقبول وانشراح ورضا لأنسها بالحق ورفضها الخلق (قوله وأصولها عشرة) أي أصول طريق الشطار من أهل المحبة والشوق وتقدم أن المختص بهم ستة منها والأربعة عامة (قوله الأول التوبة) هي لغة مطلق الرجوع واصطلاحا الرجوع عما كان مذموما في الشرع الى ما هو محمود فيه ولها بداية ونهاية فبدايتها التوبة من الكبائر ثم الصغائر ثم المكروهات ثم خلاف الأولى ثم من رؤية الحسنات ثم من رؤية أنه صار معدودا من فقراء الزمان ثم من رؤية أنه صدق في التوبة ثم من خاطر له في غير مرضاة الله عز وجل وأما نهايتها فكلما غفل عن شهود ربه طرفة عين بدأ بالتوبة لأنها أساس لكل مقام يرتقي إليه العبد حتى يموت فكما أن من لا أرض له فلا بناء له فكذلك من لا توبة له فلا حال له ولا مقام، ومن كلام العارفين من أحكم مقام توبته حفظه الله تعالى من سائر الشوائب التي في الأعمال (قوله ولو صغيرة) أي هذا إذا كان كبيرة بل ولو صغيرة وفي كلامه إشارة الى أن الذنوب قسمان صغائر وكبائر وهو مذهب أهل السنة ففيه رد على المرجئة القائلين إن الذنوب كلها صغائر ولا يضر مع الإيمان ذنب وعلى الخوارج حيث قالوا إن كل ذنب كبيرة ومرتكبها كافر واعلم أن الكبائر لا تحصر بعدد وإنما لها أمارات منها إيجاب الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار

 حملتها ما الموت أيسر بعضه وأتعبتها كيما تكون مريحتي فعادت ومهما حملته تحملت

مني وإن خففت عنها تأذت وأصولها عشرة الأول التوبة من كل ذنب ولو صغيرة على التحقيق وإليه أشار بقوله (وجدد)

وجوبا (التوبة) أي الرجوع إلى الله تعالى (للأوزار) أي من أجل ارتكابك الأوزار جمع وزر وهو المعصية وأركانها ثلاثة الندم على ما وقع منه من المخالفات لمراعاة حق الله سبحانه وتعالى والعزم على أن لا يعود لمثله وهذان لابد منهما

في كل توبة والثالث الإقلاع عن الذنب في الحال وهذا إنما يأتي في ذنب لم ينقض فيجب الكف عن استتمام الزنا وشرب الخمر وعن أذية أحد ورد المظالم الى أهلها واستسماح المظلوم إن أمكن وإلا استغفر له وتصدق له بما يمكنه فإن الله تعالى إذا علم صدق العبد أرضى الله عنه خصماءه وتصح التوبة من ذنب دون آخر بخلاف السير الى الله تعالى فإنه إنما يصح بالتوبة عن الجميع وتجب المبادرة بها فتأخيرها ذنب آخر وتوبة الكافر عن كفره بالإسلام مقبولة قطعا والمؤمن المذنب من ذنبه مقبولة ظنا وقيل قطعا ولا تنتقض التوبة بالرجوع الى الذنب ولو رجعت إليه في اليوم ألف مرة ويجب تجديدها عند كل رجوع إليه (لا تيأسن من رحمة الغفار) أي الستار للذنوب فإن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء والولي هو الذي كلما وقع تاب قال الله تعالى إن الله يحب التوابين وهم الذين كلما أذنبوا تابوا ومن أحبه الله تعالى قربه وأدناه وليس شيء أشد على الشيطان من تجديد المؤمن للتوبة واليأس أي القنوط من رحمة الله تعالى كبيرة أو كفر قال تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . الثاني شكر المنعم جل وعز وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من عقل وسمع

وبصر ولسان وغيرها الى ماخلق لأجله وإليه أشار بقوله (وكن على آلائه) جمع ألى كظبي بمعنى النعمة أي كن على نعمائه التي أنعمها عليك ظاهرية كانت كالسمع والبصر وسلامة الأعضاء أو باطنية كالإيمان والعلم (شكورا) أي كثير الشكر فهو يرجع الى اعتقاد بالجنان وخدمة بالأركان ونطق باللسان بأن يعتقد أن لا نعمة إلا منه تعالى وينطق بلسانه بأنه لا إله إلا هو وبغيره من الأذكار ويعمل بجوارحه كل ماطلب منه من المأمورات واجبة كانت أو مندوبة ومن النعم التي يجب الشكر عليها التوفيق للتوبة والشكر على الشكر والشكر لا نهاية له ولذا قال عليه الصلاة والسلام سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والشكر بهذا الاعتبار عزيز جدا عليه لأنه طريق الصديقين ولذا قال تعالى وقليل من عبادي الشكور . الثالث الصبر على البلاء وهو حبس النفس على ما أصابها مما لا يلائمها رضا بتقدير المالك المختار من غير انزعاج وإليه أشار بقوله (وكن على بلائه) من مرض وضيق عيش وفقد مال وعيال وأذية أحد وغير ذلك ومنه الأحكام التكليفية كالصلاة والصوم (صبورا) أي كثير الصبر فإنه تعالى يحب عبده الصبور قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والصبر وصف أولي العزم والهمم العلية وقد ورد فيه وفي الشكر من الآيات والأحاديث الشريفة ما لو تتبع لأدى الى مزيد التطويل المخرج عن المقصود. وبالجملة يندرج تحتهما كل الدين من المأمورات والمنهيات فناهيك بهما مدحا لمن اتصف بهما فتأمل ثم علل طلب الصبر بقوله (فكل أمر) أي وإنما طلب منك الصبر لأن كل ما برز في الكائنات فهو (بالقضاء) أي بسببه وهو عند الأشاعرة إرادة الله المتعلقة أزلا بتخصيص الكائنات ببعض ما يجوز عليها أي على طبق علمه (و) بسبب (القدر)

ونحوها ومنها وصف فاعلها بالفسق نصا ومنها اللعن كلعن السارق وأكبرها الكفر بالله تعالى ثم القتل العمد وماخرج عن حد الكبيرة وضابطها فهو صغيرة ولا تحصر أفرادها وربما تقلب الصغيرة كبيرة بأمور منها الإصرار والتهاون والفرح والافتخار بها (قوله في كل توبة) أي من كل ذنب (قوله في ذنب لم ينقض) أي بأن كان يمكن استمراره (قوله مقبولة قطعا) أي باتفاق الأشعري وإمام الحرمين والقاضي لقوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف (قوله مقبولة ظنا) هو قول إمام الحرمين والقاضي وقوله وقيل قطعا هو قول الأشعري والفرق بين الكافر والعاصي أن الكافر مطرود عن رحمة الله بالكلية والعاصي ليس بمطرود بل غاية مافي العاصي تطهيره بالعذاب ثم يدخل الجنة فالكافر يحتاج تأليفه بقبول توبته إذ لو لم تقبل توبته لا يدخل الجنة بخلاف العاصي فمآله للجنة ولو بلغ في العصيان مهما بلغ (قوله ولا تنتقض التوبة بالرجوع الى الذنب) أي وإنما رجوعه له ذنب آخر (قوله وليس شيء أشد على الشيطان الخ) أي لأنه بالتوبة يهدم جميع ماسوله لابن آدم (قوله كبيرة) أي إن استعظم ذنبه وأيس من غفرانه وقوله أو كفر أي إن اعتقد أن الله لا يغفر الذنوب عموما وإنما كفر لمخالفته الكتاب والسنة (قوله بأن يعتقد الخ) راجع للاعتقاد بالجنان وقوله وينطق بلسانه راجع لنطق اللسان وقوله ويعمل بجوارحه راجع لخدمة الأركان ففيه لف ونشر ملخبط (قوله والشكر على الشكر) أي والتوفيق على الشكر ، ومنه قول بعضهم :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

(قوله لأنه طريق الصديقين) أي الأنبياء وكبار الأولياء ومنه حديث أفلا أكون عبدا شكورا (قوله الصبر على البلاء) مثله الصبر على الطاعة وعن المعصية (قوله يندرج تحتهما كل الدين من المأمورات والمنهيات) وبيان ذلك أن الصبر إما على الطاعة أو عن المعصية أو على المصيبة والشكر إما باللسان أو بالجنان أو بالأركان ولاشك أنهما قد جمعا معالم الدين وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات (قوله وهو عند الأشاعرة الخ) هذا قول من خاض في القدر وبعضهم لم يخض فيه مستدلين بقوله صلى الله

حسب الحال وهو عندهم إيجاد الله تعالى الأمور على طبق إرادته وقال الماتريدية القضاء علم الله المتعلق أزلا بوجود الأشياء والقدر إيجاد الأمور على طبقه وعلى كل فالقضاء صفة ذات بقيد تعلقها والقدر صفة فعل ونظم ذلك العلامة الأجهورى بقوله :

إرادة الله مـــع التعلق　　فى أزل قضاؤه فحقق
والقدر الإيجاد للأشيا على　　وجه معين أراده علا
وبعضهم قد قال معنى الأول　　العلم مع تعلق فى الأزل
والقدر الإيجاد للأمور　　على وفاق علمه المذكور

(وكل مقدور) أى أمر قد قدره الله تعالى أى أبرزه الى الوجود بما سبق فى سابق علمه وقضائه (فما عنه مفر) أى لابد من وقوعه على طبق ماأراد وعلم ولا محيص عنه فيجب إذن الصبر والتسليم لما قدره العليم الحكيم فان لم يصبر وانقلب على وجهه فقد خسر الدنيا والآخرة من غير تخفيف عنه ولا ناصر ينصره . الرابع الرضا وهو الخروج عن رضا نفسه بالدخول فى رضا ربه بالتسليم للأحكام الأزلية والتفويض للتدبيرات الأبدية بلا إعراض ولا اعتراض واليه أشار بقوله مفرعا على ماقبله (فكن) أيها الطالب لرضا

مولاه (له) تعالى (مسلما) فى كل ماقدره وقضاه أو أمر به من أحكام الدين أو نهى عنه بأن ترضى بذلك من غير إعراض ولا اعتراض (كى) أى لأجل أن (تسلما) من آفات الدنيا والآخرة . الخامس اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك الى أن ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يصحب شيخا يدله على الطريق الى الله واستقل بما عنده من عبادة أو علم فقــد تعرض لإغواء الشيطان له ولهذا قيل من لاشيخ له فالشيطان شيخه وبالجملة من لم يسلك على يد شيخ عارف فلا يمكنه الترقى الى منازل القرب

عليه وسلم إذا ذكر القدر فأمسكوا وبأنه سر إبليس لمن عرفه أن يفشيه ولذا لما سئل عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال هو طريق مظلم لاسبيل إليه فأعيد السؤال فقال البحر عميق لاتلجه فأعيد السؤال فقال سر الله قد خفى علينا فلا نفشيه (قوله على طبق إرادته) أى ويلزم منه أنه على طبق العلم (قوله إيجاد الأمور على طبقه) أى العلم ويلزم منه أنه على طبق الإرادة (قوله وعلى كل) أى من قول الأشاعرة والماتريدية (قوله صفة ذات بقيد تعلقها) أى فهى إما الإرادة المتعلقة بالأشياء أزلا وهو قول الأشاعرة أو العلم المتعلق بالأشياء أزلا وهو قول الماتريدية فالقضاء قديم على كليهما (قوله والقدر صفة فعل) أى وهى حادثة عند الأشاعرة قديمة عند الماتريدية لأنها التكوين (قوله ونظم ذلك) أى ماتقدم من تعريف القضاء والقدر على كل من المذهبين (قوله أراده علا) أى تنزه فعلا فعل ماض ففى البيت جناس تام ،(قوله فى سابق علمه وقضائه) أشار بذلك الى أن فى المتن حذف الواو مع ماعطفت أى ومقضى (قوله لما قدره) أى وقضاه (قوله من غير تخفيف عنه ولا ناصر ينصره) فيه تلميح للمثل الذى ضربه الله تعالى لمن لم يصبر على أحكامه بقوله تعالى من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ (قوله فى كل ماقدره وقضاه) أى من خير وشر (قوله من غير إعراض) أى عما أمر به ونهى عنه وقوله ولا اعتراض أى على ماقدره وقضاه ففيه لف ونشر مشوش (قوله على يد شيخ كذلك) أى قد سلك طريق أهل الله (قوله وعلامته السخاء) أى الجود والكرم بما عنده وقوله وحسن الخلق أى بأن يرحم الصغير ويوقر الكبير (قوله إلا لأمر اقتضى ذلك) أى كتعظيم أتباعه (قوله وأن تظهر على أصحابه البركة والصلاح) أى لما قيل :

عن المرء لاتسل وسل عن قرينه　　فكل قرين بالمقارن يقتدى

(قوله سوى مذاهب الأئمة الأربعة) أى وهم الإمام مالك والشافعى وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم . أما مالك فهو ابن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن حارث بن غيمان بمعجمة فمثناة تحتية ابن خثيل بخاء معجمة مضمومة فمثلثة مفتوحة فمثناة تحتية الأصبحى بفتح الباء نسبة إلى ذى

ولو أتى بعبادة الثقلين وعلامته السخاء وحسن الخلق والشفقة على خلق الله تعالى وعدم انكبابه على جمع الدنيا وعدم الهوى ولو بالتكلم بمصطلح القوم إلا لأمر اقتضى ذلك وعدم الشكوى من ضيق الدنيا أو من إعراض الناس عنه وأن يرى عليه مخايل الذل والانكسار وحب الخمول وأن تظهر على أصحابه البركة والصلاح وهذا مأخوذ من قولنا (واتبع) فى سيرك (سبيل) أى طريق (الناسكين) جمع ناسك أى عابد (العلما) جمع عالم وهو العارف بالأحكام الشرعية التى عليها مدار صحة الدين اعتقادية كانت أو عملية والمراد بهم السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان وسبيلهم منحصر فى اعتقاد وعلم وعمل على طبق العلم . وافترق من جاء بعدهم من أئمة الأمة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فرق فرقة نصبت نفسها لبيان الأحكام الشرعية العملية وهم الأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين لكن لم يستقر من المذاهب المرضية سوى مذاهب الأئمة الأربعة وفرقة نصبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التى كان عليها السلف وهم الأشعرى والماتريدى ومن تبعهما وفرقة نصبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ماذهب اليه الفرقتان المتقدمتان وهم الإمام

أصبح بطن من حمير وهو من العرب عهده فى قريش فى بنى تيم الله فهو مولى عهد لا مولى عتاقة عند الجمهور فهو من بيوت الملوك لأن القاعدة عند العرب إذا جاءوا فى النسب بذى يكون من ذلك ، حملت به أمه ثلاث سنين وقيل أكثر وطول الحمل علامة على وفور عقل المولود . ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الأشهر بذى المروة موضع من مساجد تبوك على ثمانية برد من المدينة ولا ينافيه قول عياض إنه مدنى الدار والمولد والمنشأ لان ذا المروة من أعمال المدينة وقيل ولد سنة تسعين ومات سنة تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع وقبره مشهور وكان أنس أبوه فقيها وجده مالك كان من كبار التابعين أحد الأربعة الذين حملوا عثمان إلى قبره ليلا وغسلوه ودفنوه وجده أبو عامر صحابى حضر مع المصطفى مغازيه كلها إلا بدرا ومالك من أتباع التابعين على الصحيح وقيل من التابعين لإدراكه عائشة بنت سعد ابن أبى وقاص وهى صحابية والصحيح أنها تابعية وأخذ العلم عن سبعمائة شيخ منهم ثلثمائة من التابعين وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم لا تنقضى الساعة حتى تضرب أكباد الإبل من كل ناحية إلى عالم المدينة يطلبون علمه وفى رواية يوشك أن تضرب أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة فكانوا يزدحمون على بابه لطلب العلم وأفتى الناس وعلمهم نحو سبعين سنة بالمدينة ومكث خمسا وعشرين سنة لم يشهد الجماعة فقيل له ما يمنعك من الخروج فقال إن من الأعذار أعذارا لا تذكر . وجلس للتدريس وهو ابن سبع عشرة سنة وكان يقول لا ينبغى للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيعه فإنه ذل وإهانة للعلم وكان إذا أراد أن يجلس للعلم توضأ وصلى ركعتين وسرح لحيته وتطيب وجلس على وقار وهيبة ومنع الناس من رفع أصواتهم وبخر المجلس بعود؛ وقال عبدالله بن المبارك كنت عند الإمام مالك بن أنس وهو يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يصفر ويتلوى ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال إنما صبرت إجلالا لحديثه صلى الله عليه وسلم وكان مهابا جدا إذا أجاب فى مسئلة لا يمكن أن يقال له من أين وكان يرى المصطفى كل ليلة فى النوم وكان يرخى الطيلسان على رأسه حتى لا يرى ولا يرى وكان لا يدخل الخلاء إلا كل ثلاثة أيام مرة ويقول والله لقد استحيت من الله فى كثرة ترددى للخلاء وقال أشهب ابن عبد العزيز رأيت أبا حنيفة بين يدى مالك كالصبى بين يدى أمه وسئل أبو حنيفة عن مالك فقال ما رأيت أعلم بسنة رسول الله منه وقال الليث بن سعد لقيت مالكا بالمدينة فقلت له مالك تمسح العرق عن جبينك فقال عرقت مع أبى حنيفة إنه لفقيه يا مصرى ثم لقيت أبا حنيفة فقلت له ما أحسن قول مالك فيك فقال له والله ما رأيت أسرع بجواب صادق وزهد تام من مالك بن أنس . وأما الشافعى فهو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عم المصطفى نسبة لشافع لأنه أكرم أجداده ولأنه صحابى ابن صحابى ولد الشافعى بغزة يوم وفاة أبى حنيفة ونشأ يتيما فى حجر أمه مع قلة عيش وضيق ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر وأذن له شيخه وهو مسلم بن خالد بالافتاء وهو ابن خمس عشرة سنة وعليه حمل حديث عالم قريش يملأ طباق الأرض علما لأن الكثرة والانتشار فى جميع الأقطار لم يحصلا فى عالم قرشى مثله قال الأئمة منهم أحمد هذا العالم هو الشافعى . وأما أبو حنيفة فهو النعمان بن ثابت بن طاوس بن هرمز ملك بنى شيبان فهو من العرب وقيل من الفرس كفى بيته وقيل بدوانه ذكر جماعة أنه أدرك نحو عشرين صحابيا وسمع الحديث من تسعة منهم وهم أنس بن مالك وعمرو بن حريث وعبد الله بن أنس وعبدالله ابن الحارث وجابر بن عبد الله بن أبى أوفى وواثلة بن الأسقع ومعقل بن يسار وأبو الطفيل عامر وعائشة

بنت مجرة . وأما أحمد بن حنبل فهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل هلال بن أسد المروزى الشيبانى يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى نزار بن معد بن عدنان البغدادى قدمت به أمه من مرو وهى حاملة به فولدته ببغداد وهوتلميذ الشافعى قال الشافعى خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من الإمام أحمد بن حنبل وكان يحيى الليل كله من وقت كونه غلاما وله فى كل يوم وليلة ختم . وفضل هؤلاء الأئمة أشهر من الشمس فى رابعة النهار . ونظم بعضهم تاريخ ولادة الأربعة ووفاتهم مدة عمرهم بقوله :

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ومالك فى قطع جوف ضبطا والشافعى صين ببرند
وأحمد بسبق أمر جعد فاحسب على ترتيب نظم الشعر ميلادهم فموتهم كالعمر

فولادة أبى حنيفة سنة ثمانين وجمله يكن ووفاته سنة مائة وخمسين وجمله سيف وعمره سبعون وجمله سطا . وولادة مالك سنة تسعين وجمله فى ووفاته سنة مائة وتسعة وسبعين وجمله قطع وعمره تسعة وثمانون وجمله جوف . وولادة الشافعى سنة مائة وخمسين يوم وفاة أبى حنيفة وجمله صين ووفاته سنة مائتين وأربع وجمله ببر وعمره أربع وخمسون وجمله ند . وولادة أحمد سنة أربع وستين ومائة وجمله بسبق ووفاته سنة إحدى وأربعين ومائتين وجمله أمر وعمره سبع وسبعون وجمله جعد رضى الله عنهم وعنابهم أجمعين (قوله أبو القاسم) هى كنيته واسمه الجنيد بن محمد سيد الطائفة الصوفية وإمامهم نشأ وولد بالعراق وكان فقيها على مذهب أبى ثور صحب خاله السرى السقطى والحارث المحاسبى ومحمد بن على القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين فهو من أهل القرن الثالث. ومن كلامه ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات ، ومن كلامه أيضا الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن كلامه أيضا لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان مافاته أكثر مما ناله ، ومن كلامه أيضا إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسىء بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلالهم ، ومن كلامه أيضا من الأعمال مالا يطلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب وماطويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم لله واعتماد الخوف وإجلال أوامره ونواهيه ، ومن كلامه أيضا احفظوا ساعاتكم فإنها زائلة غير راجعة وصلوا أورادكم تجدوا نفعها فى دار الإقامة ولا يشغلكم عن الله قليل الدنيا فان قليلها يشغل عن كثير الآخرة وكان من أوراده أربعمائة ركعة كل يوم وكان صائم الدهر لايفطر إلا إذا دخل عليه إخوانه فيأكل معهم وهو ساكت ويقول ليست المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم ودخل عليه إبليس فى صورة نقيب فقال أريد أن أخدمك بلا أجرة فقال له افعل فأقام يخدمه عشر سنين فلم يجد قلبه غافلا عن ربه لحظة واحدة فطلب الانصراف وقال له أنا إبليس فقال له عرفتك من أول ما دخلت وإنما استخدمتك عقوبة لك فإنه لاثواب لأعمالك فى الآخرة فقال ما رأيت قوتك ياجنيد فقال اذهب ياملعون أتريد أن تدخل على الإعجاب بنفسى ثم خرج خاسئا وفضله كالشمس فى رابعة النهار ألحقنا الله بنسبه وحققنا بحسبه (قوله سيدى أحمد بن الرفاعى) قال المناوى فى الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية هو أحمد بن على بن أحمد بن يحيى بن حازم بن رفاعة الزاهد الكبير أحد الأولياء المشاهير أبو العباس الرفاعى المغربى صوفيا عظيما نبيلا قدم أبوه من العراق وسكن أم عبيدة بأرض البطائح وولد بها سنة خمسمائة ونشأ بها وتفقه على مذهب الشافعى وتصوف وجاهد نفسه حتى انتهت إليه الرياسة فى علوم القوم وكشف مشكلاتها واجتمع به خلق كثير وأحسنوا فيه الاعتقاد قال ابن خلكان وغيره وهم الطائفة الرفاعية ويقال لهم الأحمدية والبطائحية ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية والنزول

أبو القاسم الجنيد ومن تبعه فهؤلاء الفرق الثلاثة هم خواص الأمة المحمدية ومن عداهم من جميع الفرق على ضلال وإن كان البعض منهم يحكم له بالإسلام فالناجى من كان فى عقيدته على طبق ما بينه أهل السنة وقلد فى الأحكام العملية إماما من الأئمة الأربعة المرضية ثم تمام النعمة والنجاة فى سلوك مسلك الجنيد وأتباعه بعد أن أحكم دينه على طبق ما بينه الفريقان المتقدمان ممن سلك مسلكه القطب الربانى الإمام سيد أحمد بن الرفاعى وأتباعه والقطب الربانى الإمام

إلى التنانير وهي تضرم نارا والدخول في الأفرنة وينام أحدهم في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر ويوقد لهم النار العظيمة ويقام السماع فيرقصون عليها الى أن تنطفئ * وكان رضي الله عنه كثيرا ما يتجلى الحق عليه بالعظمة فيذوب حتى يصير بقعة ماء ثم تدركه الرحمة فيجمد شيئا فشيئا حتى يرد الى بدنه المعتاد ويقول لجماعته لولا لطف الله ماعدت اليكم. ومن كراماته أن رجلين تحابا في الله اسم أحدهما معالي والآخر عبد المنعم خرجا يوما للصحراء فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار ينزل من السماء فسقط منها ورقة بيضاء فلم ير فيها كتاب فأتيا الشيخ ولم يخبراه بالقصة فنظر اليهما ثم خر ساجدا وقال الحمد لله الذي أراني عتق أصحابي من النار في الدنيا قبل الآخرة فقيل له هذه بيضاء فقال أي اولادي يد القدرة لاتكتب سوداء وهذه مكتوبة بالنور، ولما حج وقف تجاه الحجرة الشريفة النبوية وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر حتى قبلها والناس ينظرون إليها وأخبر بوقت موته وصفته فكان كما قال وأراد شراء بستان فأبى صاحبه أن لايبيعه إلا بقصر في الجنة فارتعد وتغير واصفر ثم قال قد اشتريت منك بذلك قال اكتب لي خطك فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ما ابتاع اسمعيل من العبد أحمد الرفاعي ضامنا على كرم الله له قصرا في الجنة يحف به حدود الأول لجنة عدن الثاني لجنة المأوى الثالث لجنة الخلد الرابع لجنة الفردوس بجميع حوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضا عن بستانه في الدنيا والله شاهد على ذلك وكفيل فلما مات إسمعيل دفنت معه الورقة فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا . مات رضي الله عنه ببلده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ولم يعقب وإنما المشيخة لابن أخيه (قوله سيدى عبدالقادر الجيلاني) قال المناوي في الكتاب المذكور هو ابن موسى بن يحيى الجيلاني الحنبلي كان في الفقه إماما وفي التصوف لايسامى ولد ببغداد سنة سبعين وأربعمائة ونشأ بها حتى شب فسلك طريق القوم فجد واجتهد وكابد الأهوال حتى كان يلف على رأسه خرقة ويلبس جبة ويمشي حافيا ويتقوت بقمامة البقل وورق الخس ويجاهد نفسه بأنواع الشدائد وأتاه الخضر مرة وهو لايعرفه فقال اقعد هنا حتى آتيك فأقام في ذلك الموضع ثلاث سنين ومكث سنة لايأكل ولايشرب ولاينام واحتلم في ليلة في بدايته في الشتاء أربعين مرة يغتسل لكل مرة ولم يزل على ذلك الحال حتى طرقه الحال فهام في البراري والجبال الى أن اتصف بالجمال ومن كراماته أنه كان حين رضاعه لايرضع في رمضان فكان الناس إذا شكوا في الهلال رجعوا إليه وكان الذباب لايصيبه وراثة من جده المصطفى صلى الله عليه وسلم وأقام أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وكان يفتي على مذهب الشافعي وأحمد معا فيتعجب علماء العراق من حسن أجوبته ورأى مرة نورا ملأ الأفق ونودي منه أنا ربك وقد أبحت لك المحرمات فقال اخسأ يالعين فانقلب النور دخانا وظلاما فقال نجوت مني بفقهك وقد أضللت بهذا سبعين صديقا فسئل بم عرفت أنه الشيطان؟ قال بقوله أبحت لك المحرمات وسقطت عليه وهو يدرس حية ففر من حضر فدخلت في ذيله وخرجت من طوقه والتفت على عنقه فلم يقطع كلامه ولم يتغير ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لايفهم وانصرفت فسئل فقال قالت اختبرت عدة من الأولياء فلم أجد كثباتك فقلت ماأنت إلا دويبة يحركك القضاء والقدر وكلامه ومناقبه أفردا بالتأليف مات سنة نيف وستين وخمسمائة ببغداد رضي الله عنه وعنابه (قوله السيد أحمد البدوي) قال المناوي فيه أيضا هو ابن علي بن ابراهيم بن محمد بن أبي بكر البدوي الشريف الحسيب أصله من بني بري قبيلة من عربان الشام ثم سكن والده المغرب ولد رضي الله عنه بفاس سنة ست وتسعين وخمسمائة

سيدى عبدالقادر الجيلاني وأتباعه والقطب الرباني السيد أحمد البدوي وأتباعه

وخمسمائة ونشأ بها وحفظ القرآن وقرأ شيئا من فقه الشافعي وحج أبوه به وبإخوته سنة تسع وستمائة وأقاموا بمكة ومات بها أبوه سنة سبع وعشرين وستمائة ودفن بالمعلى وعرف بالبدوى للزومه اللثام ولبس لثامين فلم يفارقهما ولم يتزوج قط واشتهر بالعطاب لكثرة عطبه من يؤذيه ثم لزم الصمت فكان لايتكلم إلا بإشارة وتوله ثم حصلت له جمعية على الحق فاستغرق إلى الأبد وكان عظيم الفتوة قال المتبولى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقى أولياء مصر بعد محمد بن إدريس أكبر فتوة منه ثم نفيسة ثم شرف الدين الكردى ثم المنوفى انتهى وكان يمكث أربعين يوما لايأكل ولايشرب ولاينام وأكثر أوقاته شاخص ببصره نحو السماء وعيناه كالجمرتين ثم يسمع هاتفا يقول ثلاثا قم واطلب مطلع الشمس فإذا وصلته فاطلب مغربها وسر الى طندتا فيها مقامك أيها الفتى فسار إلى العراق فتلقاه العارفان الكيلانى والرفاعى فقالا يا أحمد مفاتيح العراق والهند واليمن والشرق والغرب بأيدينا فاختر أيها شئت فقال لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح ثم رحل الى مصر فتلقاه الظاهر بيبرس بعسكره وأكرمه وعظمه فدخلها سنة أربع وثلاثين وستمائة فأقام بطندتا على سطح دار لايفارقه ليلا ولانهارا اثنتى عشرة سنة وإذا عرض له الحال صاح صياحا عظيما وتبعه جمع منهم عبد العال وعبد المجيد ولما دخل طندتا كان بها جمع من الأولياء فمنهم من خرج منها هيبة له كالشيخ حسن الاخنائى فسكن أم خنان حتى مات وضريحه بها ظاهر يزار ومنهم من مكث كالشيخ سالم المغربى وسالم الشيخ البدوى فأقره على حاله حتى مات بطندتا وقبره بها مشهور ومنهم من أنكر عليه كصاحب الإيوان العظيم بطندتا المسمى بوجه القمر كان وليا كبيرا فثار به الحسد فسلبه ومحله الآن بطندتا مأوى الكلاب وليس فيه رائحة صلاح ولا مدد . وكان رضى الله عنه إذا لبس ثوبا أو عمامة لايخلعها لالغسل ولالغيره حتى تبلى فتبدل وإذا أمر أحدا من أصحابه بالاقامة فى مكان لايمكنه مخالفته وكان يعرف من هو من أولاده بالكشف ولايقبل إلا من علمه منهم وكان لايكشف اللثام عن وجهه فقال له عبد المجيد أرنى وجهك قال كل نظرة برجل قال أرنيه فكشف فمات حالا وله كرامات شهيرة جدا منها قصة المرأة التى أسر ولدها الافرنج فلاذت به فأحضره فى قيوده ومر به رجل يحمل قربة لبن فأشار بأصبعه اليها فانقدت فخرج منها حية انتفخت وأنكر عليه ابن اللبان فسلب القرآن والعلم فصار يستغيث بالأولياء حتى أغاثه ياقوت العرش فشفع له فرد ذلك عليه وأنكر عليه الشيخ خليفة الابيارى وحط على من يحضر مولده فابتلى بحية قرصت فمه ولسانه فمات واجتمع به ابن دقيق العيد فقال له إنك لاتصلى ماهذا سنن الصالحين فقال له اسكت وإلا طيرت دقيقك ودفعه فإذا هو بجزيرة متسعة جدا فضاق ذرعه حتى كاد يهلك فرأى الخضر فقال له لابأس عليك إن مثل البدوى لايعترض عليه اذهب إلى هذه القبة وقف ببابها فانه سيأتيك العصر ليصلى بالناس فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك ففعل فدفعه فإذا هو ببابه وكراماته أشهر من أن تذكر مات سنة خمس وستين وستمائة رضى الله عنه وعنا به (قوله السيد ابراهيم الدسوقى) قال المناوى فيه أيضا هو قرشى هاشمى شافعى أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات وخرق لهم العادات انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام وكان يتكلم بجميع اللغات من عجمى وسريانى وغيرهما ويعرف لغات الوحش والطير وذكر عنه أنه صام فى المهد وأنه رأى اللوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين وأنه فك طلسم السبع المثانى وأن قدمه لم تسعه الدنيا وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة وأن الدنيا جعلت فى يده كخاتم وأنه جاوز سدرة المنتهى وجالت نفسه فى الملكوت ووقف بين يدى الله وله كرامات شهيرة منها أن تمساحا خطف صبيا فأتته أمه مذعورة فأرسل نقيبه ونادى بشاطىء البحر معاشر التماسيح من ابتلع صبيا فليطلع فطلع ومشى معه الى الشيخ فأمره أن

والقطب الربانى السيد إبراهيم الدسوقى وأتباعه

يطرحه فطرحه حيا وقال للتمساح مت بإذن الله فمات وله كلام فى الحقائق نثر وتظم ذكره فى كتاب مجلد ضخم سماه الجوهرة من جملته قصيدته التائية وهى طويلة منها قوله :

سقانى محبوبى بكأس المحبـة ... فتهت على العشاق سكرا بخلوتى
ولاح لنا نور الجـلالة لو أضا ... لصم الجبال الراسيات لدكت
ونادمـنى سرا بسر وحكمة ... وأن رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهدا حفظت لعهده ... وعشت وثيقا صادقا بمحبة
وحكمنى فى سائر الأرض كلها ... وفى الجن والأشباح رب البرية
وفى أرض صين الصين والأرض كلها ... إلى أقصى بلاد الله صحت ولايتى
أنا الحرف لا أقرا لكل مناظر ... وكل الورى عن أمر ربى رعيتى
وكم عالم قد جاءنا وهو منكر ... فصار بفضل الله من أهل خرقتى
وماقلت هـذا القول فخرا وإنما ... أتى الاذن كى لاتجهلون طريقتى
تجلى لى المحبوب فى كل وجهة ... فشاهدته فى كل معنى وصورة

مات سنة ست وسبعين وستمائة رضى الله عنه وعنا به (قوله السيد على أبوالحسن الشاذلى) قال ابن عباد فى المفاخر العالية فى المآثر الشاذلية هو ابن عبدالله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن أبى بطال على بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن عمر بن إدريس المبايع له ببلاد المغرب ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن سيد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية أبى محمد الحسن ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بقرية غمارة من قرى أفريقية قريبة من سبتة وهى من المغرب الأقصى فى نحو ثلاث وتسعين وخمسمائة من الهجرة فلقب بالشاذلى لأنه قال له شيخه سيدى عبد السلام بن مشيش ياعلى ارتحل إلى أفريقية واسكن بها بلدا تسمى شاذلة فان الله يسميك الشاذلى وبعد ذلك تنتقل إلى تونس ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق وترث فيها القطبانية قال ولما دخلت مدينة تونس وأنا شاب صغير وجدت فيها مجاعة شديدة ووجدت الناس يموتون فى الأسواق فقلت فى نفسى لوكان عندى ماأشترى به خبزا لهؤلاء الجياع لفعلت فألقى فى سرى خذما فى جيبك فحركت جيبى فاذا فيه دراهم فأتيت الى خباز بباب المنارة فقلت له عدخبزك فعده على فتناولته الناس فتناهبوه ثم أخرجت الدراهم فناولتها الخباز فقال أنتم معاشر المغاربة تستعملون الكيمياء قال فأعطيته برنسى وكرزى من على رأسى رهنا فى ثمن الخبز وتوجهت الى جهة الباب وإذا برجل واقف عند الباب فقال لى ياعلى أين الدراهم فأعطيتها له فهزها فى يده وردها الى وقال ادفعها الى الخباز فانها طيبة فرجعت الى الخباز ودفعتها له فقال نعم هذه طيبة وأعطانى برنسى وكرزى ثم طلبت الرجل فلم أجده فبقيت حائرا فى نفسى الى أن دخلت الجامع فى يوم الجمعة وجلست عند المقصورة فى الركن الشرقى فركعت تحية المسجد وسلمت وإذا بالرجل على يمينى فسلمت عليه فتبسم وقال لى ياعلى أنت تقول لوكان عندى ماتطعم به هؤلاء الجياع لفعلت تتكرم على الله الكريم فى خلقه ولوشاء لأشبعهم وهو أعلم بمصالحهم منك قلت له ياسيدى بالله من أنت قال أحمد الخضر كنت بالصين وقيل لى أدرك ولى عليا بتونس فأتيت مبادرا اليك فلما صلينا الجمعة نظرت إليه فلم أجده ومن مناقبه أنه كان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء وأكابر الدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادى أمامه من أراد القطب فليه بالشاذلى وقال أعطيت سجلا مد البصر فيه أصحابى وأصحاب أصحابى

والقطب الربانى السيد على أبوالحسن الشاذلى وأتباعه

الى يوم القيامة عتقالهم من النار وقال لولا لجام الشريعة على لسانى لأخبرتكم بمايكون فى غد وبعد غد الى يوم القيامة وقال قلت يارب لم سميتنى بالشاذلى ولست بشاذلى فقيل لى ياعلى ماسميتك بالشاذلى إنما أنت الشاذّ لى بتشديد الذال المعجمة يعنى المنفرد لخدمتى ومحبتى . ومن كراماته أنه لما أتى من المغرب وكتبوا للسلطان فى شأنه مكاتيب شنيعة فخرج من الاسكندرية وذهب إلى السلطان واعتقده فأرسلوا له ثانيا إنه كيماوى فزال اعتقاده فيه ثانيا واتفق أن خازن داره فعل أمرا يوجب القتل فخاف من السلطان وهرب إلى الشيخ بالاسكندرية فحماه منه فأرسل السلطان يغلظ عليه ويقول تلف مماليكى فقال نحن ممن يصلح مانحن ممن يفسد ثم أخرج المملوك من الخلوة وقال بل على هذا الحجر فبال عليه فانقلب الحجر ذهباوكان نحو خمسة قناطير فقال الشيخ خذواهذا للسلطان يضعه فى بيت المال فلما وصل اليه رجع عما كان فيه من الاعتقاد الفاسد ثم نزل لزيارته وطلب من الشيخ المملوك ليبول له على مايشاء من الحجارة فقال الشيخ الأصل فى ذلك الإذن من الله تعالى ولم يزل السلطان على اعتقاده وعرض عليه الأموال والأرزاق فأبى وقال الذى يبول خادمه على الحجر فيصير ذهبا بإذن الله تعالى لا يحتاج لأحد من الخلق . ومنها أنه تكلم مرة فى الزهد وكان فى المجلس فقير عليه أثواب رثة وكان على الشيخ أثواب حسان فقال الفقير فى نفسه كيف يتكلم الشيخ فى الزهد وعليه هذه الكسوة وأنا الزاهد فى الدنيا فالتفت إليه الشيخ وقال ثيابك هذه ثياب الرغبة فى الدنيا لأنها تنادى عليك بلسان الفقر وثيابنا تنادى بلسان الغنى والتعفف فقام الفقير على رؤوس الناس وقال أنا والله متكلم بهذا فى سرى وأستغفر الله وأتوب إليه فكساه الشيخ كسوة جيدة ودله على أستاذ يقال له ابن الدهان وقال له عطف الله عليك قلوب الأخيار وبارك لك فيما أتاك وختم لك بخير . ومناقبه وكراماته أفردت بالتأليف توفى فى شوال عام ست وخمسين وستمائة وكان عمره ثلاثا وستين سنة ودفن بحميرة ببرية عيذاب فى واد على طريق الصعيد رضى الله عنه وعنابه (قوله سيدى محمد الخلوتى) قال المناوى فى الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية هو ابن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتى ولد سنة ست وتسعين وثمانمائة ونشأ فى كنف الله حتى شب وترعرع فصار يميل الى الخير ويحضر مجالس الذكر وينشد فيها كلام القوم ورزق حسن الصوت وطيب النغمة أخذ عن الشيخ دمرداش فأحبه وقربه وشغله بالطريق وأخلاه مرارا وظهرت نجابته وجد واجتهد واشتهر وتلقى عنه علم الأوفاق والحرف والزايرجا والرمل فأتقن ذلك ولما دنت وفاة الشيخ أجاز جماعته واستخلف الشيخ حسن ولم يتعرض له مع نجابته فلازم الأدب وسكت فلما احتضر الشيخ قال لولده سيدى محمد قصرنا فى شأن الشيخ كريم الدين مع استحقاقه وأشهدكم أنى أجزته فاكتبوا له وأعطوه جبتى فكتب له ولدا الشيخ من الإجازة صدرا فمات الشيخ فأكلها بعده لكنه أعطى الجبة لغيره فأخذها ولبسها فقتل فدفعت للموصى له بها فكان ذلك علامة تقدمه فاجتمع عليه خلق كثيرون وانتهت إليه الرياسة فى طريق الخلوتية وعلا قدره وظهر أمره ولما كثرت جماعته تحول إلى زاوية بالقرب من قنطرة سنقر على الخليج وكان هينا لينا متواضعا للزائرين مهابا على السالكين أخلى مرة رجلا فقال ياسيدى أدركت كل مايدرك بالقوى الحساسة بذاتى حتى كأنى عين . الاسم الذى أشتغل به من جميع جهاتى فزجره زجرة مزعجة ارتعدت منها جوارحه فزال ذلك منه وكان هو والعارف الشعرانى فى عصر واحد يقصدان للزيارة والتسليك فلما مات الشعرانى انفرد الخلوتى بالوجاهة وأقبل عليه الخاص والعام ولم يزل الشيخ مقيما على الإرشاد وأمره دائما فى ازدياد بحيث إنه اذا خرج من الشارع يكثر الزحام على تقبيل يديه ورجليه الكرام ومابرح كذلك حتى وافاه الحمام فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وتسعمائة عن نحو تسعين سنة وأغلقت البلد لشهده وحمل نعشه على الأصابع من زاويته

والقطب الربانى سيدى محمد الخلوتى وأتباعه والقطب الربانى سيدى عبد الله النقشبندى وأتباعه فهؤلاء كلهم سادات الأمة المحمدية رضى الله عنهم وعنابهم آمين فالشيخ الذى يدل على الله تعالى يجب أن يكون قد سلك على طريقة شيخ من مشايخ الطريق وتعب وجاهد نفسه حتى تهذبت وزالت عنها الرعونات البشرية وإلا فيجب اجتنابه فإن كثيرا من الناس من قلد إماما من الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ولكنه فى عقائده زائغ عن اعتقادهم فلم يعتقد معتقد أهل السنة وهم فرق شتى قد ضلوا فى عقائدهم

كالقدرية وغيرهم ومن الناس من لم يرض بتقليد إمام من الأئمة الأربعة ولا باعتقاد أهل السنة وهم أضل ممن قبلهم ومن الناس من يزعم أنه سالك طريق أهل الله تعالى فيتزيا بزيهم ويتكلم بما يوهم الناس أنه منهم والحال أنه بطال يملأ بطنه من الطعام سواء كان حلالا أو حراما وليله من النام ويثب على الدنيا وثوب الأسد على الفريسة وربما جعل نفسه شيخا وله أتباع يصطادون له بشرك مشيخته قاذورات الحطام الفاني ويزعمون أنهم على شيء أولئك هم الكاذبون وقد أشار لهم العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه بقوله :

رضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا

بل تأخروا ورجعوا القهقرى لأنهم تبعوا هوى أنفسهم والشيطان يقودهم إلى كل ما يحبه منهم كما قال :

وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـ * ـهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا

حتى صار من أخلاقهم أن من تصدق عليهم بصدقة أو أكرمهم بكرامة اتخذوا ذلك عادة وطلبوا بها من فعل معهم الاحسان حتى يضيقوا عليه المسالك ويقولون أعطنا عادتنا وإلا تكشف عليك فيوهمون الناس أنهم أرباب أحوال

وأن الله تعالى يصدقهم في المقال كلا ماهذه طريقة الفقراء أهل الله إنما طريقتهم التواضع والانكسار وحب الخمول والعفة والزهد والورع والايثار والتوكل وأما هؤلاء فهم أشرار الناس يأكلون أموال الناس بالباطل ويدعون المراتب العلية وهم في الدركات السفلية وقد كثروا في هذا الزمان حتى ملئوا طباق الأرض في كل قطر ومكان نعوذ بالله منهم قال أستاذنا السيد البكرى في ألفية التصوف .

وقدنا في ذا الزمان شرهم * حتى سما في الناس جدا ضرهم

ولم يكن لهم هنا من يردع * من أجل ذا لدين الحنيق ودعوا

ولما نظر أهل الله الى كثرتهم وكثرة فسادهم واختلال عقائدهم أغلقوا أبواب زوايا الإرشاد وفوضوا الأمر الى رب العباد فلبين واختفوا في الناس فلم يعرفهم الا من خصه الله بالأنوار الإلهية والسعادة السرمدية فعلى من تشوقت نفسه الى سلوك طريق التجريد حتى يستغرق في بحار التوحيد ملازمة التقوى والالتجاء الى الله والتوسل اليه برسوله عليه الصلاة والسلام في أن يجمعه على شيخ عارف يربيه ويخرجه من الظلمات النفسية ويصفيه ويسقيه من خمر المحبة ويصافيه فإذا علم الله صدقك أطلعك عليه فإذا اجتمعت به فشد يدك عليه وكن كالميت بين يديه وقل الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ثم خذ في الجد والابتهال وجد بنفسك لا بالمال كما قال:

فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فإن قبلتها منك يا حبذا البذل ومن لم يجد في حب نعمى بنفسه * ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

السادس الجوع اختيارا بأن لا يأكل أكثر من أكلة خفيفة في يومه وليلته من الحلال وهو ما جهل أصله ولا يمكنه ذلك في ابتداء أمره إلا بكثرة الصوم فإنه لجام السائرين. واعلم أن العمل ثمرة المأكول فلأكل الحرام لا ينشأ عنه إلا أعمال خبيثة محرمة والحلال الصرف لا ينشأ عنه إلا الأعمال الصالحة والمتشابه ينشأ عنه أعمال مختلطة لا تخلو عن الرياء والعجب والخواطر الردية . السابع

الى الجامع الأزهر وصلى عليه فيه واختلف جماعة في دفنه فقال بعضهم يدفن مع شيخه دمرداش وقال آخرون المصلحة دفنه في زاويته لتصير مقصودة بالزيارة واستقر الأمر على ذلك فدفن بها وأسف الناس عليه جدا . ومناقبه وكراماته أشهر من أن تذكر رضى الله عنه وعنا به (قوله كالقدرية) هم فرقتان الأولى تنكر تعلق علم الله بالأشياء قبل وجودها وتقول إنما يعلمها حال وقوعها وهذه الفرقة انقرضت قبل ظهور الإمام الشافعى وقدرية ثانية تقول الله يعلم الأشياء قبل وجودها غير أن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم استقلالا بسبب إقدار الله لهم والأولى كفار والثانية فساق (قوله وغيرهم) أى كالفلاسفة والسمنية والمجسمة وباقى الفرق الاثنين وسبعين (قوله فيتزيا بزيهم) أى من لبس الخشن من اللباس ونحوه (قوله ويثب على الدنيا) أى يسرع وينكب على تحصيلها (قوله رضوا بالأماني) الضمير راجع للقوم المصرح بهم في قوله :

تعرض قوم للغرام وأعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا

والمراد بالأمانى ماتمنوه لأنفسهم ووقفوا عنده وهو التعرض للمشيخة من أجل تحصيل الدنيا (قوله وقد كلوا) أى تعبوا ولم يحصلوا شيئا (قوله وعن مذهبى) متعلق بقوله ضلوا وقوله لما استحبوا أى حين أحبوا الفانى وآثروه على الباقى وهو العمى وقوله على الهدى أى بدله وقوله حسدا مفعول لأجله أى أحبوا الحظوظ المعجلة بدل الهدى من أجل حسدهم لأهل الطريق على أحوالهم ومراتبهم فهم تزيوا بزيهم صورة ولم يعملوا مثل عملهم (قوله وقدنا) زاد وكثر (قوله حتى سما) أى علا وارتفع (قوله من يردع) أى يزجرهم ويردهم للصواب (قوله الجوع اختيارا) إنما طلب الجوع لأن به يحصل الذل ويتحلل من الأجزاء الترابية والمائية بقدر ما يكون فيصفو القلب ولأن خواطر النفس لا تضعف إلا به قال بعض العارفين مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع وقال بعضهم الشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الإحراق ولا تنطفئ ناره حتى تحرق صاحبها وقال بعضهم من أراد أن يأكل في اليوم مرتين

العزلة عن الناس قاطبة إلا عن شيخه المربى له أو أخ صالح يعينه على الطاعة والهمة وإلا لضرورة بيع أوشراء إذ مخالطة الناس تكسب القلب ظلمة لوفرض أنها تخلو عن ارتكاب المحرمات فكيف ولايخلو مجلس عنها من غيبة ونميمة وغيرهما ولبعضهم :
لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال فأقلل من لقاء الناس إلا * لأخذ العلم أو إصلاح حال . الثامن الصمت إلا عن ذكر الله تعالى فإن الكلام يوجب التفرق والمطلوب الجمعية وهذا على تقدير مخالطة الناس لضرورة وهذه مأخوذة من قولنا (وخلص القلب من الأغيار) أى مما سوى الله تعالى من مال وزوجة وولد وجاه وعلم وعمل وغيرها من كل مشغل عن تعلق القلب بالرب (بالجد) بكسر الجيم أى الاجتهاد أى بسببه قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والمجاهدة تكون بمخالفة النفس فى هواها مع الخوف من الله تعالى بعد التوبة قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى أى جنة الشهود فى الدنيا وجنة الخلود فى العقبى إلا أن شرط السير أن لايكون خائفا من عذاب الله وإلا كان عبد سوء لايعمل إلا إذا خاف العقاب بل يخافه إجلالا ومهابة ولذا قال تعالى ولمن خاف مقام ربه ولم يقل عذاب ربه فافهم . التاسع السهر فلاينام الثلث الأخير من الليل للتهجد والاستغفار وذكر الله تعالى وإليه أشار بقوله (والقيام فى الأسحار) وخصه بالذكر وإن دخل فيما قبله لمزيد الاعتناء به وقد مدحهم الله تعالى فى غير آية قال تعالى كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحارهم يستغفرون وللذكر فى ذلك الوقت تأثير أكثر منه فى غيره العاشر التفكر فى بديع صنع الله لإدراك دقائق الحكم لتزداد علما وحبا واذكر قياما وقعودا واضطجاعا على سبيل الدوام وإليه أشار بقوله (والفكر والذكر على الدوام) واعلم أن الذكر أعظم أركان الطريق لأن المقصود منها تخليص القلب مما سوى الله تعالى وهو أعظمها فى ذلك لأن كثرته توجب استيلاء المذكور على القلب حتى لايكون فيه سواه بل جميع الأركان تنشأ عنه لأنه يورث القلب نورا ساطعا به يزهد الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة ولذا قالوا من أعطى الذكر فقد أعطى منشور الولاية فالمداومة عليه دليل ولاية المشتغل به ولكونه أعظم الأركان وقع الحث عليه فى القرآن المجيد أكثر من غيره من الأركان قال تعالى فاذكرونى أذكركم وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض الآية وقال تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وقال تعالى إذا لقيتم

فليبن له ممعلفا وفى الحديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه (قوله العزلة عن الناس قاطبة) أى لما فيها من خيرى الدنيا والآخرة لما ورد أن رجلا قال يارسول الله أى الناس أفضل قال رجل يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال رجل يعتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه وقال بعضهم من أراد أن يسلم له دينه وأن يستريح بدنه ويقل غمه فليعتزل الناس . وقال العكندرى فى حكمه : مانفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة وفى الحديث ليأتين على الناس زمان لايسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذى يروغ (قوله الصمت) أى لما ورد من سره أن يسلم فليلازم الصمت وإنما آثر القوم السكوت لما علموا فى الكلام من الآفات وحظ النفس واظهار صفات المدح والميل الى أن يتميز عن أشكاله بحسن النطق وغير ذلك من آفات الكلام (قوله أن لايكون خائفا من عذاب الله) أى أن لايقصر خوفه على العذاب بل يجعل خوفه من جلال الله وهيبته وصاحب هذا المقام لاينقطع خوفه ولوتقطع اربا اربا فى العبادة وأما الخائف من العذاب فمداره على امتثال المأمورات واجتناب المنهيات (قوله فافهم) إنما أمر بالفهم لدقة المقام وتغاير المشربين (قوله والقيام فى الأسحار) أى لأنه نور المؤمن يوم القيامة يسعى بين يديه ومن خلفه لما فى الحديث يحشر الناس فى صعيد واحد يوم القيامة فينادى مناد أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يأمر لسائر الناس بالحساب وورد عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الآثام وورد مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لاينامون قال بعض العارفين ينبغى لمن ثقل عليه قيام الليل وترادف عليه الكسل أن يفتش نفسه فربما يكون ذلك من وقوعه فى المعاصى الباطنة كرياء وعجب وحقد وحسد وتكبر وحب محمدة ودنيا ونحو ذلك فيبادر الى التوبة من مثل ذلك والى فعل الأمور المكفر للذنوب فإن الذنوب إذا كفرت عن العبد فقد طهرت ذاته ومابقى لها مانع من الوقوف بين يدى ربها فى تلك الأوقات الشريفة إلا عدم القسمة (قوله التى حبها رأس كل خطيئة) أى لما ورد حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال بعضهم العبادة مع محبة الدنيا شغل قلب وتعب فهى وإن كثرت قليلة وإنما هى كثيرة فى وهم صاحبها وهى صورة بلا روح ولهذا ترى كثيرا من أرباب الدنيا يصومون كثيرا ويصلون كثيرا ويحجون كثيرا وليس لهم نور الزهاد ولاحلاوة العبادة (قوله فقد أعطى منشور الولاية) أى المرسوم من الله تعالى له فمن وفق للذكر وأدامه فقد أعطى المرسوم بأنه

فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال تعالى وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وقال تعالى ولذكر الله أكبر وقال تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات إلى غير ذلك والذكر نوعان الأول الذكر باللسان وهو شأن أصحاب البدايات فيجب عليهم موالاة الذكر باللسان مع تكلف الحضور بالقلب حتى يصير الحضور طبيعة له ولايترك الذكر لوجود الغفلة فيه فلرب ذكر مع غفلة يرفعه إلى الذكر مع الحضور ولرب ذكر مع الحضور يرفعه الى الذكر مع الغيبة عما سوى المذكور فإذا غاب عما سوى المذكور استغرق في عين بحر الوحدة فيصير القلب حينئذ بيت الرب تعالى فينشأ عنه الذكر من غير قصد ولاتدبر لامتزاجه بروحه وجسمه وأنواع الذكر اللسانى كثيرة منها التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن وغير ذلك وأسرعها إجابة للمبتدى لاإله الاالله مفردة عن محمد رسول الله على التحقيق فيما عدا الختم فإذا أراد الختم ختم بها وفى بعض الطرق الشاذلية أنه يذكرها على رأس كل مائة هذا إذا ذكر وحده أما إذا ذكر مع جماعة فلا يذكرها إلا عند الختم مع إخوانه ولهذا درج أرباب الطرق المحمدية على الاقتصار عليها فإذا كمل السالك فالأفضل له أن يضم معها محمد رسول الله والأفضل حينئذ الاشتغال بتلاوة القرآن ليتخلق به وتفاض عليه العلوم اللدنية من أسراره فإن لم يكن يحفظ القرآن اشتغل بسماعه ممن يقرؤه وإن كان القارئ صاحب غفلة ويكون الأمر على حد قول العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه: ياأخت سعد من حبيبى جئتنى ✿ برسالة أديتها بتلطف فسمعت مالم تسمعى ونظرت ما ✿ لم تنظرى وعرفت مالم تعرفى

النوع الثانى الذكر بالقلب وهو شأن أرباب النهايات ومنه الفكر فى بدائع المصنوعات وأعظمها المراقبة الآتى بيانها وبعضهم بعد الأصول أكثر من ذلك وبعضهم يعدها أقل وفى الحقيقة كلها أمور لابد منها وعمدتها الذكر والصدق فى التوجه بمخالفة النفس فى شهواتها ومقاساة الصبر على يد شيخ كامل (مجتنبا) حال من فاعل خلص (لسائر) أى لجميع (الآثام) كبائرها وصغائرها ظاهرها كالقتل والزنا وشرب الخمر وأكل الحرام والغيبة والنميمة والنظر الى محرم وغير ذلك وباطنها كالحسد والحقد والغرور والرياء والعجب والكبر والبخل والنفاق وحب الجاه والرياسة (مراقبا لله فى الأحوال) أى جميع أحوالك فانك بالمراقبة ترتقى الى المشاهدة وبالمشاهدة ترتقى الى المعاينة والمراقبة ملاحظة الحق تعالى عند كل شىء مثلا إذا لاحظته حال قصد النفس الوقوع فى المعصية وجدته تعالى مطلعا عليك فترجع عنها حياء منه وإذا لاحظته حال أكلك وجدته تعالى هو الذى ساق إليك ذلك الطعام من غير حول منك ولاقوة لك ثم وجدته حرك يدك الى تناوله وجعل فيك القدرة على رفعه لفمك ثم حرك فمك وأجرى فيه الريق ثم خلق فيك قوة اللذة فساقه إلى المعدة ثم رتب على ذلك قوة فى جسمك وربك فجعل منه للحم نصيبا وللعظم نصيبا وللعصب نصيبا ومافضل مما لامنفعة فيه أخرجه فتعلم بذلك أنه لافاعل سواه فإذا قوى هذا المعنى فيك سمى وحدة الأفعال وصرت مشاهدا لله فى كل شىء فإذا قويت هذه المشاهدة حتى غبت عما سوى الله سميت معاينة ووحدة الذات فإذا زاد التمكين شاهدت بعد ذلك أنه خالق لعبده وماعمل وهذا معنى قولهم مشاهدة الله قبل كل شىء وهذه أمور ذوقية من وراء طور العقل لايعرفها إلا أهل العنايات والنفوس القدسية رضى الله عنهم وعنا بهم . ومن آداب هذه الطائفة التى يحصل بها الكمال ملازمة الطهارة والنوم عليها وعدم كشف العورة المغلظة فى الخلوات حياء من الله ومن الملائكة ومنها توقير الكبير والشفقة على الصغير والأرامل والمساكين بل على جميع الخلق ومنها الأدب مع أهل العلم خصوصا

ولى الله تعالى ومن سلب ذلك قد عزل عن الولاية ولله المثل الأعلى كمراسيم ملوك الدنيا بالوظائف (قوله ولايترك الذكر لوجود الغفلة فيه الخ) فى كلامه إشارة لقول صاحب الحكم لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله تعالى فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك مع وجود ذكره وعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز (قوله فلا يذكرها إلا عند الختم مع إخوانه) أى باتفاق الخلوتية والشاذلية (قوله الاشتغال بتلاوة القرآن) أى لأن قلبه صار بيت الرب فيفيض عليه الأسرار والأنوار (قوله على حد قول العارف الخ) أى على مثاله (قوله ومنه الفكر) أى من الذكر بالقلب وهو أفضل الأذكار قال الشاذلى رضى الله عنه ذرة من أعمال القلوب خير من مثاقيل الجبال من أعمال الأبدان (قوله وبعضهم يعدها أقل) أى من العشرة المذكورة فبعضهم يعدها ستة الجوع والسهر والعزلة والصمت ودوام الذكر والشيخ وبعضهم يعدها أربعا ماعدا الذكر والشيخ ولكل وجهة (قوله وعمدتها الذكر) أى أعظم أركانها (قوله أى فى جميع) أشار بذلك إلى أن أل فى الأحوال للاستغراق (قوله وصرت مشاهدا) المناسب أن يقول مراقبا وقوله فإذا قويت هذه المشاهدة المناسب المراقبة (قوله ومن آداب هذه الطائفة) شروع منه فى ذكر بعض آداب طريق القوم وتقدم لنا ذكرها مفصلة (قوله والنوم عليها) أى على الطهارة ولو وضوء جنب (قوله

خدمة الشريعة ومشايخ الطريق فإنهم ورثة الأنبياء ومنها أن لايزور أحدا من الصالحين مادام تحت التربية قبل الكمال خوفا من أن
يرى كرامة أوخلقا فى أحدهم لم يره فى شيخه فيعتقد فى شيخه النقص فيحرم مدده ومنها سوء الظن بنفسه وحسنه بغيره حتى يرى أن كل
أحد أحسن منه حالا ومنها أن لاينتصر لنفسه فى أمر ومنها أن يرى عبادته دائما قد دخلها الخلل من الرياء والخواطر الردية ومثلها يستحق
عليها العقاب لولا مسامحة الله تعالى له فيستغفر من عبادته ومن استغفاره ومنها أن لايتكلم بكلام العارفين من الفرق والجمع والفناء والبقاء
مالم يكمل على أن الأولى للكامل ترك ذلك إلا لحاجة تقتضى ذلك ومنها محاسبة النفس على ما ارتكبته من المحرمات والمكروهات وفضول
المباحات وعلى ما وقع فى نفسه من الخواطر النفسانية والشيطانية والاستغفار منها والفرق بين الخاطر النفسانى والشيطانى أن الأول يكون
بالحاح على المعصية أو الشهوة كالطفل الذى يلح على أمه حتى تعطيه ما يريد فيجب قمعها عن ذلك بملازمة الذكر وبيان عاقبة هذا الأمر
والتوجه الى الشيخ والثانى يكون من غير إلحاح بل يأمر بالمعصية ويزينها فان طاوعه الشخص وإلا انتقل لآخر لأن قصده الغواية على أى
حالة تكون لا لمعصية بخصوصها وأما الفرق بين الخاطر الربانى والخاطر الملكى أن الأول ما فيه تنبيه على الخير من غير حث ولا يؤدى إلى
حيرة والثانى ما فيه حث على الطاعة . ومنها مدح أعدائه وعدم التكدر من ذكرهم والدعاء لهم بالمغفرة والتوفيق
ومنها الدعاء لعصاة المؤمنين
كذلك ومنها مطالعة كتب
القوم ليتعلم منها الأدب
ويعرف منها حال أهل الله
تعالى فبالآداب ترتقى الى مقام
الأحباب أنشدنا شيخنا :-
ماوهب الله لامرئ هبة
أحسن من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما
فان فقد الحياة أجمل به
فإذا جاهدت النفس بما
مر هان عليها إن شاء الله
تعالى الخلوص من ظلمة
الأغيار وتبدلت صفاتها
المذمومة بالصفات الممدوحة
فيخلع الحق تبارك وتعالى
عليك خلع الأخلاق
المحمدية من الحلم والعلم والشفقة والرأفة والخضوع والزهد والورع والسخاء وغير ذلك من مكارم الأخلاق كما أشرت إلى ذلك
بقولى (لترتقى معالم الكمال) أى الى معالم هى الكمالات وهى الأخلاق المحمدية وحينئذ يكون هذا العبد خليفة الله فى أرضه وعلامة
زوال الرعونات البشرية من القلب والتحلى بالأخلاق المرضية أن يستوى عنده المدح والذم والمنع والاعطاء وإقبال الناس عليه
وإدبارهم بل يرجح الذم والمنع والادبار على مقابلها (وقل) متضرعا إلى ربك قولا ملتبسا (بذل) فان الله تعالى عند المنكسرة
قلوبهم يا (رب لاتقطعنى * عنك بقاطع) من كل فتنة يشتغل القلب بها عن العبودية من حب المال والولد والجاه والشهوات إنما
أموالكم وأولادكم فتنة زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن
ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . ومن القواطع الكبر والحقد والرياء والعجب ومنها العبادة لأجل حصول ثواب
أوحصول فتح لدنى ليكون من أولياء الله وإنما شأنهم أن يعبدوا الله تعالى لذاته وامتثالا لأمره ونهيه ثم إن حصل لهم فتح فذلك
من فضله وإن حجبوا فذلك من عدله إذ ليس للعبد على مولاه حق وإنما الحق له تعالى على العبد فالعبد مطلوب بأن يخلص نفسه
من الرعونات النفسية وليس على الله تعالى أن يهبه المعارف القدسية والذى يعبده لذلك معدود عندهم من عبيد السوء الذين إذا لم
يؤجروا لم يعملوا وهذا ينافى كونه عبدا محضا قال العارف بالله تعالى ابن عطاء الله السكندرى فى الحكم .

(قوله أن لايزور أحدا من الصالحين) أى حيا وميتا إلا بإذنه (قوله إلا لحاجة تقتضى ذلك) أى كالتعليم
(قوله والفرق بين الخاطر النفسانى الخ) الذى ذكره غيره أن الخاطر النفسانى مايلزم معصية بعينها
والشيطانى مايلزم معصية لابعينها والرحمانى مايلزم طاعة بعينها والملكى مايلزم طاعة لابعينها (قوله
ومنها مدح أعدائه) فيجاهد نفسه على ذلك حتى يتخلق به كما قال بعض العارفين :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

(قوله بل يرجح الذم والمنع الخ) قال صاحب الحكم فى هذا المعنى ورود الفاقات أعياد المريدين (قوله
متضرعا) حال من فاعل قل (قوله بذل) جعله الشارح متعلقا بمحذوف صفة لمصدر محذوف مفعول
مطلق لقل والباء للملابسة وفيه كائنة والأسهل جعل الجار والمجرور متعلقا بمحذوف حالا من فاعل قل
والتقدير قل يارب لاتقطعنى الخ حال كونك ملتبسا بالذل (قوله فإن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم)
تعليل لما قبله وفيه اقتباس من الحديث القدسى أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى (قوله من كل فتنة)
بيان للقاطع وقوله من حب المال الخ بيان للفتنة (قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة الخ) هذه أدلة
ثلاثة على ما ذكره من أن حب المال والولد والشهوات من جملة القواطع (قوله ومنها العبادة الخ) أى
من جملة القواطع عن الله تعالى (قوله وإنما شأن من يعبد الله تعالى لذاته) أى لكونه مستحقا وأهلا
للعبادة ورد فى مناجاة داود عليه السلام ياداود إن لم أخلق جنة ولا نارا أفلا أستحق أن أعبد (قوله
إذ ليس للعبد على مولاه حق) أى وأما قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة فمعناه على سبيل التفضل
والإحسان (قوله من عبيد السوء) ليس المراد أن ذلك حرام يعاقب عليه بل المراد أن ذلك انحطاط

تشوفك الى مابطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ماحجب عنك من الغيوب، لايقال إذا كانت العبادة لأجل الفتح من القواطع فكيف يصح أن تأمره بطلبه بقولك * وقل بذل رب لاتقطعني * عنك بقاطع، لأنا نقول طلب الفتح من فيض فضل الله تعالى لا فى مقابلة شىء لكن مع الاستقامة أمر مطلوب شرعا كطلبك منه سعة الرزق وصحة البدن والشفاء من الأمراض الحسية ألا ترى أنه أوجب عليك طلب الهداية فى كل يوم وليلة سبعة عشر مرة فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وطلب منك ندبا غير ذلك فى النوافل كثيرا بلاحد وهذا غير العبادة لأجل حصول شىء فانها ليست طريق المقربين فافهم (و) قل بذل يارب (لاتحرمنى) بفتح التاء من حرم أو بضمها من أحرم بمعنى منع أى لاتمنعنى (من) اعطاء (سرك) المراد به النور الإلهى الذى يفرق به العبد بين الحق والباطل فى نفس الأمر المشار اليه بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى نورا فى قلوبكم تميزون به بين الحق والباطل على ماهو عليه فى نفس الأمر (الأبهى) أى الأنور من كل نور فان علم اليقين وهو معرفة الأشياء بالبرهان نور وأنور منه حق اليقين وهو معرفتها بالمشاهدة من غير مخالطة وممازجة وأنور منه عين اليقين وهو معرفتها بالمخالطة والممازجة فليس من استدل على وجود نار برؤية الدخان كمن شاهدها على بعد وليس من شاهدها كمن خالطها وعلم وقودها وماهى عليه (الزيل للعمى) يعنى الجهل وفى كلامه إشارة الى أن الدعاء ينفع وهو مما لاشك فيه عند أهل الحق والقرآن العظيم مشحون به وهو فى السنة أكثر من أن يحصى خلافا للمعتزلة ويجب أن لا يكون بممتنع عقلا أوشرعا أو عادة وينبغى أن يكون مصاحبا للذل والانكسار وأن يكون فى الأوقات الشريفة كالأسحار وعقب الصلوات وأن لا يكون فيه تحجير على الله تعالى كان يسأل قضاء حاجة بخصوصها فى هذا الوقت بعينه مثلا مالم يشتد الكرب كالخلاص من ظالم مثلا ثم إن الدعاء فى ذاته هو مخ العبادة لأن فيه إظهار الفقر والفاقة الى الله تعالى وأن الله هو الغنى القادر على كل شىء وإن لم تحصل استجابة وعدم حصول الإجابة إما لتخلف شرط وإما لعلم الله أن عدم الإجابة خير له أوغير ذلك (و) قل بذل يارب (اختم) لنا أعمالنا وأحوالنا وأعمارنا (بخير) حتى لاتقبضنا اليك إلا على أتم حالات التوحيد على شوق اليك ورغبة فيك واقبض أرواحنا بيدك وبدل سيئاتنا حسنات وخذ بأيدينا عند العثرات ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين (يارحيم) أى ياأرحم (الرحما) فيه إشارة وتلميح الى قوله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ولايخفى مافى الكلام من حسن الاختتام هنا وأقول متمثلا بقول صاحب البردة :

عن المراتب العلية (قوله تشوفك الى مابطن فيك من العيوب) أى تطلعك وقصر نظرك على عيوبك واشتغالك بها وتخليص نفسك منها (قوله خير من تشوفك الى ماحجب عنك) أى أفضل من تطلعك الى ماستر عنك من المغيبات لأنه تعالى لايجب عليه شىء لعبيده (قوله لايقال الخ) عبر بذلك إشارة لضعف هذا التوهم وبعده (قوله هذا) أى الطلب المذكور (قوله فافهم) أى الفرق بين الطلب والعبادة فطلب المراتب من الله تعالى غير مذموم والمذموم العبادة لذلك (قوله بمعنى منع) تفسير لكل من اللغتين (قوله فان علم اليقين الخ) حاصل ماذكره أن الأمور ثلاثة علم يقين وعين يقين وحق يقين وكلها مذكورة فى القرآن أما الأول فقال الله فيه لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم والثانى قال الله فيه ثم لترونها عين اليقين والثالث قال الله فيه فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين (قوله فليس من استدل على وجود نار الخ) لف ونشر مرتب (قوله يعنى الجهل) أشار بذلك الى أن المراد بالعمى العمى المعنوى وهو انطماس البصيرة (قوله إلى أن الدعاء ينفع) أى مما نزل ومما لم ينزل (قوله عند أهل الحق) أى وهم أهل السنة والجماعة (قوله خلافا للمعتزلة) أى حيث قالوا بعدم جواز الدعاء محتجين بأن ماقدره الله يكون فلا حاجة للدعاء ويفسرون الدعاء المذكور فى الآيات بالعبادة (قوله بممتنع عقلا) أى كالجمع بين الضدين وقوله أوشرعا أى كالدعاء بأن الله يأتيه بمحرم كالخمر ونحوه وقوله وعادة أى كصعود للسماء مثلا (قوله وعدم حصول إجابة) أى بعين المطلوب (قوله إما لتخلف شرط) أى من شروط الإجابة بعين المطلوب إذ هى كثيرة منها أكل الحلال والثقة بالله وله آداب منها الوضوء واستقبال القبلة ورفع الأيدى وتخليله بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وختمه بها وأعظمها حضور القلب لما فى الحديث إن الله لايقبل دعاء من قلب لاه (قوله واقبض أرواحنا بيدك) أى بحيث لانشاهد ملكا يقبضها (قوله عند العثرات) أى عند حصول الشاق والمتاعب (قوله فيه إشارة تلميح الخ) وفيه إشارة أيضا الى حديث إذا قال العبد ياأرحم الراحمين قال الله له أنا أرحم الراحمين أقبل عليك فسل (قوله يرحمكم من فى السماء) يحتمل أن من واقعة على الملائكة وهو ظاهر ويحتمل وقوعها على الله تعالى وحينئذ فالمعنى من فى السماء أمره وسلطانه (قوله من حسن الاختتام) أى حيث قال: واختم بخير يارحيم الرحما (قوله هذا) مفعول لمحذوف والتقدير افهم هذا الذى ذكرته لك (قوله صاحب البردة) هو العلامة شرف الدين البوصيرى

(قوله

أستغفر الله من قول بلا عمل * لقد نسبت به نسلا لذى عقم   أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به * وما استقمت فما قولى لك استقم

نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ومن الطمع فى غير مطمع وجهنا اليك مطايا الآمال فلا تحرمنا لذة الوصال واحملنا على مطايا التوفيق واسلك بنا أنفع طريق إنك أنت الجواد الكريم الرءوف الرحيم ولما كان تأليف هذا

الكتاب والاقدار عليه من نعم الله تعالى وكان شكر النعم واجبا ختم كتابه بحمد الله تعالى بقوله (والحمد لله على الانعام) لهذا الكتاب ولما كانت كل نعمة وصلت إلينا ولاسيما نعمة علم التوحيد فهى بواسطته عليه الصلاة والسلام وجب عليه أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم بقوله (وأفضل الصلاة والسلام) أى وأعظم أنواع النعم والتحية من رب البرية (على النبى) أى المخبر عن الله تعالى بطلب التوحيد وعبادة الواحد العدل فى جميع الأمور بما يئول اليه عاقبة أمر الممتثل وعاقبة أمر المخالف (الهاشمى) نسبة لهاشم جد أبيه عليه الصلاة والسلام (الخاتم) أى المتمم للأنبياء والمرسلين (و) على (آله) أى أتباعه (و) على (صحبه) عطف خاص على عام (الأكارم) جمع أكرم فقد جادوا بأنفسهم فى نصرة الله ورسوله مع ما اشتملوا عليه من الأخلاق الحسنة والرأفة والرحمة محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون رضى الله عنهم وعنا بهم آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أنهاه مؤلفه عفا الله عنه فى شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

(قوله لقد نسبت به) أى بذلك القول الخالى من العمل (قوله لذى عقم) أى لشخص متصف بالعقم وهو عدم النسل (قوله أمرتك الخير) منصوب على نزع الخافض أى بالخير (قوله فما قولى لك استقم) استفهام إنكارى توبيخى (قوله مطايا الآمال) من اضافة المشبه به للمشبه أى الآمال الشبيهة بالمطايا وكذا قوله مطايا التوفيق (قوله أنفع طريق) من إضافة الصفة للموصوف (قوله من نعم الله) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر كان والتقدير كائنا وحاصلا والنعم جمع نعمة وهى كل ملايم تحمد عاقبته شرعا (قوله ختم كتابه) جواب لما (قوله على الانعام) اختار الحمد على الفعل لأنه حمد بلا واسطة بخلافه على النعمة (قوله وجب) أى تأكد (قوله والعدل فى جميع الأمور) أى التوسط فيها (قوله عاقبة أمر الممتثل) أى بالبشارة وقوله وعاقبة أمر المخالف أى بالنذارة (قوله جد أبيه) أى لأنه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان (قوله أى المتمم للأنبياء والمرسلين) أى فى الزمان والشرف (قوله أى أتباعه) أى فى الإيمان فيشمل كل مؤمن ولو عاصيا (قوله الأكارم) وصف للصحب بدليل تفريع الشارح (قوله محمد رسول الله الخ) استدلال على ماقبله (قوله رضى الله عنهم) عن فى كل بمعنى المجاوزة والمعنى جاوز غضبه عنهم وعنا بسبب حبهم والاقتداء بهم (قوله وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ختم كتابه بما ختم به الله سورة الصافات اقتداء وتبركا .

وقد تم هذا التعليق المبارك يوم الأربعاء المبارك لأربع بقين من شهر رمضان سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين من هجرته عليه الصلاة والسلام تجاه مقام سيدنا الحسين رضى الله عنه وعنا به وختم لنا بالسعادة الكاملة والرحمة الشاملة آمين .

بحمد الله تعالى قد تم طبع حاشية الشيخ « أحمـــد الصاوى » على شرح الخريدة للقطب الكامل والغوث الواصل أبى البركات الشيخ « أحمد الدرديرى » .

[القاهرة فى يوم الخميس ٢ رجب سنة ١٣٦٦ هـ ٢٢ مايو سنة ١٩٤٧م]

مصححا عمرفق « أحمد سعد على »
أحد علماء الأزهر الشريف ورئيس التصحيح